AL-HADAF
الهدف
كل الحقيقة للجماهير
فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية

الهدف - فلسطين - العدد 72 (1546) - حزيران / يونيو 2025

مُحالٌ أن يَصمُتَ

النّبضُ النّاريُ مُحال

الجبهــة الشّعبية لتحرير فلسطين

تنعي الرفيقة المناضلة التاريخية

نــفوز فوزيــه جــابــر

«أم الفدى»

من الرعيل الأول في حــركة القوميين العرب والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، والتي ترجلت يوم السبت الموافق 2025/06/14 في العاصمة الأردنية عمّان، بعد حياة حافلة بالعطاء والنضال والتضحية في سبيل الوطن والقضية

الافتتاحية

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
P. F. L. P.

فعل المقاومة وصمودها..
والأفق المفتوح

في ضوء ما تشهده المنطقة من أحداث مهمة ومتداخلة ومتصلة ببعضها البعض، أبرزها العدوان الإسرائيلي المباغت على إيران فجر (2025/6/13). والذي تحددت أهدافه بمحاولات إسقاط النظام السياسي والقضاء على البرنامج النووي وحرمانه من القيام بأي عملية تخصيب مهما كانت نسبتها، وتدمير البرنامج الصاروخي وخصوصا الباليستي لمنع إيران من مواجهات محتملة في المستقبل مع الكيان، فالهدف الصهيوني من هذا العدوان هو بالمحصلة النهائية تثبيت بنية ودعائم هذا الكيان.

وما بين الرد والرد المقابل الذي استمر نحو أسبوعين بقيت المنطقة تتأرجح ما بين حسابات الميدان واستراتيجيات السياسة وكذلك النتائج التي ترتبت على هذا الفعل الصهيوني ظلت هي الأخرى أسيرة معادلات إقليمية ودولية متنقلة بحيث أصبحت نهاية هذه المواجهة متاحة على غير مستوى، لجهة إعلان الانتصار من قبل التحالف الأمريكي الصهيوني وفي المقابل الانتصار الإيراني. وفي مقاربة الأفق السياسي يمكننا القول إن الأهداف الموضوعة للعدوان الصهيوني الأمريكي على إيران لم تتحقق بفعل الرد الإيراني الذي سرعان ما رتب صفوفه، وانتقاله للهجوم والتحدي وعبّر عن نفسه بسلسلة الهجمات الصاروخية والسيبرانية والتي أصابت أهدافها بدقة في عمق الكيان.

والناظر للتدخل الأمريكي في خضم المعركة لطرح النهاية لها يدرك أن ميزان القوى في غير مصلحة الكيان الصهيوني الأمر الذي أربك ترامب والموقف الغربي برمته ووضعه أمام استحقاق وقف الحرب أو التدخل العسكري لتجنيب اسرائيل الهزيمة، وفي كلتا الحالتين تخرج إيران منتصرة.

صحيح أن العدوان توقف اليوم، لكنه ما زال مفتوحا على مصراعيه، فالتصريحات الأميركية والصهيونية تؤكد بأن التهديدات ما زالت قائمة.

والمدقق في سيل هذه التصريحات بعد نهاية المواجهة يستخلص أن هناك اندفاعة أميركية إسرائيلية لترتيبات المنطقة من خلال الترويج لحملة تطبيع قادمة حول ما يسمى المشروع الإبراهيمي.

كل هذا وما زال جرح غزة الغائر يتعمق يوما بعد يوم في ظل صمودها الأسطوري. وأمام التوحش الأمريكي الصهيوني تظهر بوضوح صورة المنطقة بين ضرورة استمرار المقاومة، وبين الإذلال الواضح والصريح لكل قوى الأمة مجتمعة. وما بين هذين الخيارين تظهر العنجهية الأمريكية الصهيونية في أعلى تجلياتها.

ربما يصح القول في هذا السياق إن الامبريالية قد وصلت أعلى درجات توحشها وربما أصبحنا لأقرب نقطة من النزال الشامل معها، وأيضا لا يجب أن نغفل أن عدونا هو الآخر مثخن بالجراح ويعاني أعلى درجات القلق والتوتر الوجودي منذ قيام الكيان. والناظر إلى استطلاعات الرأي داخل المجتمع الصهيوني يدرك ان حسبة السياسة والاقتصاد والخسائر البشرية على ما يبدو أنها لم تعد أولوية لهذا الكيان بل باتت الأولوية لديه هي الحفاظ على وجوده بدعم غربي صريح. على الأرجح لا يمكن عزل العدوان على إيران عن أهداف مخطط حرب الإبادة التي تجري منذ أكثر من عشرين شهرا في غزة والضفّة لاستكمال الاستيلاء على فلسطين وتهويدها بالكامل، بيد أن كل النتائج التي حالت دون تحقيق هذا المخطط لم تكن لتتحقق لولا فعل المقاومة وصمودها منذ السابع من أكتوبر 2023 وحتى اللحظة.

كل الحقيقة للجماهير

الهدف AL-HADAF

كل الحقيقة للجماهير

فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية

العدد رقم (72) - (1546) - حزيران (يونيو) 2025

أسسها عام 1969

الأديب الشهيد

غسان كنفاني

رئيس التحرير

كايد الغول

مدير التحرير

محمد أبو شريفة

المدير الفني

منير الرفاعي

تصميم الغلاف

جيفارا عبد القادر

المدقق اللغوي

أيمن الحسن

متابعة إدارية

حسن شتيوي

المقالات المنشورة لا تتطابق بالضرورة مع وجهة نظر الهدف

يسمح بالنقل وإعادة النشر بشرط الإشارة إلى المصدر

عناوين مجلة وبوابة الهدف:

غزة بجوار مشفى الشفاء ـ نهاية شارع الثورة

الهاتف: 082836472

البريد الإلكتروني:

hadafmagazinenew@gmail.com

تصدر عن

دائرة الإعلام المركزي

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

الافتتاحية

- فعل المقاومة وصمودها.. والأفق المفتوح — 1

- الإعلامي المغربي أحمد طنيش — حوار: أمينة عباس — 3

شؤون فلسطينية

- أهمية إحياء المناسبات بما نستخلصه من دروس وعبر — صلاح صلاح — 8
- تقدير موقف — 11
- غزة في عين الإبادة الجماعية: تحليل للأبعاد المركبة! — د. سعيد سلّام — 12
- المعايير المزدوجة وحرب الإبادة في غزة — علي زيدان — 14
- — 18

شؤون عربية

- الخليج في عاصفة العدوان الصهيوني الأمريكي على إيران — رضي الموسوي — 20
- قراءة في تحولات الموقف العربي من المواجهة الإيرانية مع اسرائيل!؟ — بسّام عليّان — 22
- متى يتدخل حزب الله بمواجهة التخويف الإسرائيلي بعد إنتهاء العدوان على إيران — حمزة البشتاوي — 24
- سوريا على خريطة الطاقة العالمية في لعبة الأمم منطقة عبور أم مركز نفوذ؟ — عزيز موسى — 25

شؤون دولية

- العدوان على إيران ينسف مقولة « أمريكا أولاً» — محمد صوان — 27
- من اتخذ قرار الحرب على إيران ! ولماذا ؟ — حاتم استانبولي — 29
- حتى نفهم ما يجري في الساحة الإقليمية — حمة الهمامي — 31
- الشرق الأوسط: بحثاً عن محددات التوازن الاستراتيجي — حاتم الجوهري — 35

شؤون العدو

- جذور التغلغل اليهودي في الولايات المتحدة الأمريكية — د. محمد عياش — 37
- دبلوماسية الخداع ومسار ترامب مع نتنياهو وسقوط الرهان — أحمد عويدات — 39
- من داخل الأسوار: اليهود أنفسهم يعلنون أن إسرائيل ليست نهاية الطريق — نبال عمر — 41

- **دراسات الهدف:** الاهداف الحقيقية وراء الاغتيالات الصهيونية المنهجية ضد علماء الذرة الإيرانيين والعرب — **نواف الزرو** — 43

- **تحقيق الهدف:** النكسة ترتد على العدو: حزيران يحترق بنار إيران — **أحمد زقوت** — 47

- **تقرير الهدف:** تكلفة المواجهة بين ايران والكيان — 48

- **ترجمات الهدف: ترامب يعلن النصر... والاستخبارات تكشف الخديعة** — **ترجمة: نور نوارة** — 49

شؤون ثقافية

- حوار مع المخرج نجاش عبد الرحمن حول فيلمه كوبا في أفريقيا — حاوره وائل الزريعي — 51
- قراءة في كتاب: "مذكرات صهيونيّ" — د. عبد الحسين شعبان — 53
- عالمية أدب النكبة — د. ثائر يوسف عودة — 56
- وليد عبد الرحيم مقاوم السرطان محب للحياة — بسام سفر — 58
- ويستمر الأدب الفلسطيني شباباً ورسوخاً — غرز الدين جازي — 60
- قصة أغنية يا يما في دقة ع بابنا والمغني الشعبي «أبو عرب» — موسى سعيد مراغة — 64
- الأديب المناضل يسري الغول — وفاء حميد — 66
- شربل — راكان حسين — 68
- صوت (الأنثى) في الأدب الفلسطيني — تماضر سعيد عودة — 69
- الفيلسوفة اليهودية «جوديت بتلر»: أمنيتي أن ينتهي الاحتلال ويتوقف عنفه الفاشي — وسيم السلطي — 72

استُبعدَ المهني عن الإعلام وأصبح التافه في الواجهة

حوار الهدف

الإعلامي المغربي أحمد طنيش

أجرى الحوار: أمينة عباس ـ صحفية سورية

إعلامي مغربي كبير ينتمي لجيل كانت القضية الفلسطينية بوصلته يحفظ عن ظهر قلب أشعار محمود درويش وتوفيق زيّاد ويواكب فدوى طوقان التي كتبت عن النكسة والاحتلال، ومعين بسيسو الذي كتب في السجون والمنافي، فسار هذا على نهجهم في النضال والأدب ومعظمه انخرط في مجال الصحافة، وهو منهم،»لكونها ضمير الأمة، ورسالة للعالم» ومن هذا الجانب كان حوارنا معه :

■ ما أبرز ما ميز جيلكم الذي عاش مرحلة انتجت نمطاً نضاليًا مختلفاً؟

أنتمي لمواليد أواخر الستينات وأوائل السبعينات من القرن الماضي، وهو قرن مختلف، ما زالت تداعياته تصاحبنا، فهي المرحلة التي خلقت في محطات أخرى نمطًا نضاليًا له علاقة جدلية بالأدب والفن والشعر والإبداع عمومًا، والحس النضالي وأدبيات المواقف، وهو المسار الذي سرنا على دربه وما زال يسكننا، فمنا من احترف المجال الفني أو الأدبي، وحتى السياسي بأثر وتأثير تلك المرحلة، حيث الحضور القوي للقضية الفلسطينية أبرز ما كان هاجسها وتوجهاتها فحينما كنا أطفالًا في المؤسسات العمومية التعليمية في السبعينات وأوائل الثمانينات، مثلنا مسرحيات، عناوينها مقتبسة من أشعار كبار الشعراء، دون أن نعرفهم إلا من خلال مختارات من أشعارهم التي كنا نرددها، ونؤدي أدوارنا بانهزامية وبكاء على الأطلال. أذكر عناوين «لا تصالح»، «أنا عربي»، «حنظلة»، «عصفور طل من الشباك» إلخ، ثم تعرفنا على فيروز، وجوليا بطرس، ومارسيل خليفة، وأميمة الخليل، واللائحة طويلة، وقد تدرج فيها شعراء كبار من العراق ومصر ولبنان وسورية، لقد واكبنا هذه المرحلة، وكانت أنشطتنا ومهرجاناتنا، وحفل ختام حفلاتنا المدرسية، لا تخلو من غناء عن القضية ورفع الكوفية، وغصن زيتون، وصوت أمٍّ ثكلى، وبكاء طفل يسائل الضمير العربي. وفي يفاعتنا وشبابنا الأول تابعنا مهرجان المربد بالعراق، وصوته الوضّاح، ودفاتر النكسة لنزار قباني، وتابعنا الماغوط، وأمل دنقل، ومحمود درويش، وناجي العلي، وقرأنا الروايات العربية الكبرى، ومعظمنا انخرط في مجال الصحافة، وأنا منهم، لكونها ضمير الأمة، ورسالة للعالم، وفي فترة الستينات والسبعينات، برز عدد من الشعراء والسياسيين، ومعظمهم أدباء وكتّاب وإعلاميون، أصبحوا أصواتًا مركزية للقضية الفلسطينية، سواء من داخل فلسطين المحتلة أو من المنافي أو عبر العالم العربي، جمعهم همّ الهوية، والمقاومة، ومطلب العودة، والانتصار للقضية. وتحوّل الشعر إلى سلاح ثقافي في وجه الاحتلال والنكبة، فكان جيلي يحفظ عن ظهر قلب أشعار محمود درويش، وكنا نردد في تظاهراتنا الخاصة أشهر قصائده: «سجّل أنا عربي»، «بطاقة هوية»، «على هذه الأرض ما يستحق الحياة»، وصولًا إلى توفيق زيّاد، وقد أصبحت قصيدته «هنا باقون» شعارًا للأرض والهوية الفلسطينية، كما واكب جيلي فدوى طوقان التي كتبت عن النكسة والاحتلال، ومعين بسيسو الذي كتب في السجون والمنافي. وهذه المداخل سيرتنا

> القضية الفلسطينية قضية إنسانية كونية

على نهجها، وفتحت أعيننا على الشعر وكتابته، وعلى الفنون عمومًا والأدب والفكر.

لقد كانت أزمة 1967 بارزة بألمها وإكراهاتها، سيما وهي حديثة الوقوع، وقد أنتجت جرحًا وارتكاسة، كما أنتجت أدبًا وفكرًا وصدمة. وكان جيلي ابن المرحلة التي وحدت الوطن العربي من الماء إلى الماء، على الأقل من جانب ما سُمّي حينها بالنكسة، وبدأت أطروحة وفكر النهضة يتجدد مع النقد الذاتي، وجلد الذات. ومن ثم سُمّي جيلي بالجيل المهزوم، وجيل أمل الانتصار، وجيل هُزمت رموزه، وكل هذا الإرث وُضع على عاتق ومسؤولية النهضة المأمولة التي لم تتحقق لذا حينما أقوم برجع زمني، أجد أن المرحلة أثّرت في جيل بكامله، وأنا منهم، ومعظم جيلي فنانون وأدباء وسياسيون وكتّاب قصة، ومعظمهم يساريّو الفكر، هم خريجو هذه المرحلة بكل إكراهاتها.

■ إذا أردنا أن نعود إلى بدايات ارتباط المملكة المغربية بالقضية الفلسطينية ماذا تقول في هذا الشأن؟

يرجع الارتباط بالقضية الفلسطينية في المغرب إلى عهد الحركة الوطنية المغربية، ولا سيما بعد اندلاع أحداث «حائط البراق» عام 1929، حيث لم يفتر رجالاتها «علال الفاسي، عبد الله كنون، محمد حجي، المهدي بنونة، عبد الخالق الطريس» الذين تبلور وعيهم السياسي والقومي بالقضية، عن نصرة فلسطين في محافل الرأي العالمي والدفاع عن عروبتها، وجمع التبرعات لصالح الفلسطينيين، مثلما عملت على تمتين أواصر شبيبة الجيل الجديد بها من خلال إرسال وفود طلابية إلى بعض حواضرها مثل القدس والخليل. ويمكن أن نقيس درجة هذه العلاقة وصورها وأبعادها المعبّرة والكثيفة في كتابات المغاربة وأفكارهم وفنونهم وتعبيراتهم الإبداعية المختلفة: «أدب الرحلات، الشعر، القصة، الرواية، المسرح، التشكيل، السينما، الأغنية الغيوانية»، وكذلك من خلال مخيالهم الشعبي الذي كانت تغذّيه جملةٌ من الصور والتمثلات عن القضية الفلسطينية وأطوار عذاباتها، وفصول المرويات الفدائية والمشاهد المأساوية التي تنقلها إليه وسائط العصر الحديثة. كما صدرت بعد النكبة جريدة «فلسطين» التي لم تكن تنشر إلا ما له صلة بقضية فلسطين، ثم جريدتا «المحرر» و«الاتحاد الاشتراكي» تاليًا، حين كانتا تخصصان أسبوعيًّا صفحة خاصة بفلسطين ويوميات الكفاح الذي يخوضه شعبها ضد الصهيونية والإمبريالية. وكانت الجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني، التي تأسست عام 1968، والتي ضمّت في نسيج أطيافها مفكرين، وأدباء، وساسة، ومحامين، وأطباء، وأساتذة، وطلبة، وعمالاً، تحشد – على مدار عقود – مظاهرات مليونية للتعبير عن روح الإجماع الوطني مع فلسطين، وعن التضامن الشعبي مع شعبها من أجل قضيته الإنسانية العادلة. مثلما بادر اتحاد كتاب المغرب منذ مؤتمره الثاني، الذي انعقد في تموز 1968 في الرباط، إلى دعم الكفاح العادل والمشروع الذي يخوضه الشعب الفلسطيني، وإلى مقاومة الخطر الصهيوني وفضح أساليبه العنصرية. واختارت جمعية أصدقاء المعتمد أن تكون فلسطين موضوع

مهرجان الشعر المغربي في دورته الثالثة، وهو اختيار يعكس إيمان الشعراء بالقضية وضرورة التزام القصيدة الحديثة بالدفاع عن الحرية، ونصرة المظلومين، والتطلع إلى تحقيق الرفاه والعدالة الاجتماعية. كما كرّست مجلة «أنفاس»، صيف 1969، عددًا خاصًّا من أجل فلسطين، تزيّنه ملصقات عن آلامها وتوقها إلى الحرية لفنانين من أمثال: محمد حميدي، وعبد الله الحريري، ومحمد المليحي، ونور الدين النوري، وغيرهم. ودأبت الجامعة الوطنية للأندية السينمائية، بعد تأسيسها عام 1973، على إقامة أسابيع السينما الفلسطينية بمناسبة يوم الأرض في عدة مدن مغربية، مثلما عملت مجلة «سينما 3» التي كان يديرها الراحل نور الدين الصايل، على التعريف بالقضية ضمن احتفائها بسينما العالم الثالث ونزعاتها التحررية. ومن جهة أخرى، كان الأديب المغربي، على اختلاف توجهاته الفكرية وقيم إبداعه الجمالية، ما فتئ يعبّر عن روح ارتباطه بأرض فلسطين ويتغنّى برموزها وتضحياتها الجسام من أجل الحرية، سواء في الشعر: «إدريس الجاي، محمد الوديع الآسفي، عبد الرحمن الدكالي، عبد القادر المقدم، مصطفى المعداوي، محمد الحلوي، عبد الكريم الطبال، محمد أبو عسل، حسن الطريبق، مليكة العاصمي، محمد بن دفعة، محمد علي الهواري، علي الصقلي، أحمد بنميمون، حسن الأمراني، إدريس الملياني، جلول دكداك، محمد مستاوي»، أو في القصة والرواية: «عبد المجيد بن جلون، عبد الكريم غلاب، مبارك ربيع، محمد الهرادي، أحمد المديني، خناثة بنونة» صاحبة رواية «النار والاختيار» (1969) التي عالجت القضية الفلسطينية باعتبارها قضية وجود، واستطاعت أن تؤثر في أجيال من المتعلمين بعد أن قررت وزارة التربية الوطنية تدريسها في التعليم الثانوي سنين عديدة. كما برز في المسرح «عبد القادر البدوي، عبد الكريم برشيد، مولاي أحمد العراقي، محمد مسكين، ثريا جبران، عبد الحق الزروالي».

■ ولكن كيف تعامل هذا الجيل مع المتغيرات السياسية التي طرأت على القضية الفلسطينية؟

درس جيلنا عند أساتذة عاشوا النكسة، وكنا جيل النكسة، وكان أملنا أن ننتصر، وطالت مراحل الانتكاسات واحدة تلو الأخرى، رغم كل المحاولات، درس جيلنا وقرأ «بروتوكولات حكماء صهيون»، وفهم اللعبة، ورُميت الجمرة بين يديه ساخنة، وكانت الانتفاضات، وكانت الحركات الطلابية عبر الوطن العربي، والمؤتمرات العربية، والأحزاب، والمنظمات تحمل القضية، ومن لا يحملها يعتبر خائنًا. جيلنا عبر من هذه المراحل و عا شها ، وصولًا إلى أن

> **السياسة طبّعت والثقافة رفضت وما نزال**

أصبحت الجمرة ضئيلة، صغيرة، باردة، مهملة، منسية، مطفأة. جيلنا تابع خطاب ياسر عرفات، وعاش وهم السلام واتفاقيات أوسلو، وتابع وانتظر مخرجات المؤتمرات العربية وقرارات الجامعة العربية، وعايش القضية ورهانها في لعبة الزمن، التي يتقنها الطرف الآخر. جيلنا لم يكتب شعرًا، ولا قصة، ولم يتلقَّ الأدب الذي وُلد في زمن النكسة كأدب عادي، بل كتب معظم الإبداع في تلك المرحلة، فكانت الحروف سيوفًا، والأفكار قنابل.

■ وماذا عن حضور القضية الفلسطينية في المسرح المغربي وعلاقة الجيل الجديد بها فنيًا؟

تحتفي سيرة المسرح المغربي دائمًا بمرحلة مسرح الهواة، الذي يُعد مدرسة المسرح المغربي، بدءًا من ستينيات القرن الماضي إلى أواسط الثمانينيات، وهي المرحلة التي كانت فيها معظم الأعمال عن القضية الفلسطينية، بتوقيع مبدعين كبار، ومنهم: د. عبد الكريم برشيد، وعبد المجيد فنيش، ود. عبد الرحمن بن زيدان، واللائحة طويلة. وبفضل هؤلاء الرواد ونضالهم، ومطالبتهم في كل المناسبات، تأسس عهد وطني للمسرح، الذي يضم حاليًا بعض الأساتذة الذين كانت لهم علاقة بهذا المسرح المؤسِّس، ومن المؤسف أن معظم الجيل الجديد قام بقطيعة مع القضية العربية عمومًا، بدعوى أن الفن رؤية كونية، ومواضيعه لكل البشرية، مع حضور محتشم للبعض على صعيد الإنتاج والالتزام بالقضية، لأن التطبيع سبقه نسيان القضية، وليس ملل النضال.

■ كان وما زال، الأدب بكل أجناسه، والفنون بكل أنماطها، واجهة نضالية ضد الاحتلال الإسرائيلي، فكيف تنظر إلى الأدب الفلسطيني كشكل من أشكال المقاومة؟

وضع الأديب الفلسطيني غسّان كنفاني مصطلح «أدب المقاومة» ليصف الأدب الذي بدأ يُكتب في فلسطين المحتلّة بعد نكبة عام 1948، ونكسة 1967، وباقي النكبات وقد جسّد هذا الادب واقع التهجير والمنفى، وأرخ الكتّاب الفلسطينيون تجاربهم من خلال الروايات، والشعر، والمذكرات، وسار على دربهم الكتّاب عبر الوطن، وكان الأدب الفلسطيني بمثابة شهادة على الصمود، ودعوة للتضامن الدولي مع القضية الفلسطينية، التي لم تكن قضية شعب جبار فحسب، بل هي قضية إنسانية كونية.. وما زال أدب المقاومة في فلسطين المحتلّة حيًّا، يُكتب تحت ظرف استعماري فرض حصارًا من كل الأنواع، ومن ضمنه الحصار الثقافي، الذي حرّمهم من امتدادهم الثقافي، والاجتماعي، والسياسي، والأدبي في الوطن العربي، ولا بد من الإشارة إلى أن أدب المقاومة يشمل أنواعًا مختلفة من الأعمال الإبداعية: السرديات من قصة، وشعر، ورواية، وفنون لأن للأدب والفن دورًا كبيرًا في تحريك الوجدان، ومواجهة الطغيان، وممارسة تعبير إنساني يوثق لحظات الظلم. وكمتتبع وممارس للعمل الإبداعي، كتبت القصة، والشعر، والمسرحية، كما كتبها جيلي، وأذكر كانت لدينا لقاءات في أكثر من مناسبة ثقافية،

وأكثر من مسابقة فنية، محورها القضية الفلسطينية، وكانت بيانات كبار المبدعين الأولى في المؤتمرات التأسيسية في السبعينيات، والثمانينيات، وحتى التسعينيات، تندد بما يُمارس ضد الشعب الفلسطيني، وتُعلن تضامنهم مع المبدعين، والأدباء الفلسطينيين، وكان لا أحد ينتمي للإبداع عمومًا ما لم يُنجز عملاً أو عملين وأكثر عن الأدب والفن الفلسطيني.

■ ما القيمة الحقيقية اليوم لكل ما كُتب عن القضية الفلسطينية في ظل دعوات السلام مع إسرائيل؟

الجمرة التي كانت ساخنة، وكان من المنتظر أن تبقى ساخنة، للأسف بردت وفقدت حرارتها، لأن الطرف الآخر ربح الرهان ظرفيًا، حينما استفاد من حيلة الزمن، وربح الوقت الكافي، ففقدت القضية جيلها، وخلفت جيلاً لم تبقَ قضيته الأولى، وفقد رجالات كانت تحمل هم القضية. وكانت البداية مع دعوات السلام، ووصلت مرحلة التطبيع أو بيع القضية، وصولًا إلى مرحلة التخلي عنها، وأكبر دليل واقع غزة الآن. وعلى الرغم من ذلك، استمر أدب المقاومة ولم ولن يموت، لأنه تاريخ ومتحف أدبي، وما كُتب عن القضية سيظل إدانة ولن يُمحى. وهنا أعطي دليلاً بسيطًا وصغيرًا ولكن قيمته كبيرة: في السنة الماضية، نظمت مؤسسة جامعية مغربية حفل تخرج لطلبتها، وحضره عميد كلية علوم كضيف، ورفض أن يُقدّم شهادة التخرج لطالبة كانت موشحة بكوفية فلسطينية، ورفضت الطالبة أن تزيل الكوفية، فاحتفى بها كل الحضور، ونددوا بالعميد وخوّنوه، حتى انسحب، ذليلاً صغيرًا. وبعد ذلك، أصبحت الكوفية رمزاً كل الطلبة والمؤسسات والجمعيات، وهو دليل على الحضور التاريخي الرمزي للقضية الفلسطينية المستمر في الزمان والمكان ومع كل الأجيال.

■ وماذا عن تأثير السياسة على مفهوم القضية الفلسطينية في الأدب والفن وحتى الإعلام؟

في الحقيقة، هذا سؤال مركب، يمكن أن نتناوله من خلال بناء سؤال تقييمي آخر: من يقود من؟ هل السياسي يقود المثقف، أم المثقف يقود السياسي؟ حينما يقود السياسي المثقف، من السهل أن تجد التراجع عن القيم والمبادئ، ولن تجد موقفًا ثابتًا، سيما وأن السياسي براغماتي بطبعه، وغير مستقر على قرار، وبذلك أنتج نظرية أنه من الممكن أن يتواطأ مع الشيطان من أجل المصلحة؛ لذا حُورب المثقف، وأُبعد من مواقع القرار بتواطؤ وبلعبة السياسي، الذي دعمته عدة جهات لغرض ربح المصلحة المتبادلة. من هنا، نجد أن السياسة بمفهومها المصلحي النفعي، هي التي طبعت، ولكن الثقافة رفضت وما تزال ترفض، ودورها يكمن في الأدب والفن، والإعلام الذي يسير في معظمه من طرف الأيديولوجية، وتمويله يُموَّه، مع استثناءات كبيرة بالطبع، وحضور أصوات إعلامية ممثلة في المثقف العضوي المنخرط في قضايا المجتمع.

■ كإعلامي يمارس الإعلام منذ سنوات طويلة ويقوم بتدريسه، ما أبرز تحولات هذا الإعلام برأيك اتجاه القضية؟

أولًا: واكبت القضية تاريخ الإعلام بدءًا من الإعلام التقليدي (1948–1987)، وقد كان حينها تعبويًا قوميًا عربيًا، يُمارَس عليه دوليًا السيطرة على المضمون والخطاب، وكانت حينها مركزية صوت «المقاومة» والانتماء العاطفي، بالنسبة لجل الإعلام العربي في علاقته مع القضية الفلسطينية كـ«قضية العرب الأولى»، وكان الإعلام صوتًا موحدًا إلى حد كبير، رغم التناقضات السياسية بين الأنظمة، والدليل توظيف مصطلحات في القضية: «الشهيد»، «اللاجئ»، «الفدائي».

ثانيًا: أتت مرحلة إعلام الانتفاضات (1987–2000)، وفيها بدأ الإعلام يتفاعل مع تطور التقنيات بتغطيات حية لأحداث الانتفاضة الأولى والثانية، وهنا نسجل صعود القنوات الفضائية، وتحول الصورة من (الحجر، الكوفية، الطفل) إلى خطاب عالمي، مع بداية ظهور الرواية الفلسطينية المرئية خارج القالب الرسمي، وتقوية الصحفي/الميداني كمصدر معلومات بدلًا من المتحدث الرسمي.

ثالثًا: مرحلة الإعلام الرقمي – الإعلام الجديد (2000–2014)، وهي مرحلة شبكات التواصل (فيسبوك، يوتيوب، تويتر وغيرها)، التي أصبحت أدوات مقاومة مع ظهور جيل «المواطن الصحفي»، وتراجع السيطرة الرسمية على الرسائل، ودخول الجمهور كمُنتِج ومؤثر: صوت الفرد، الشاهد، المدوّن. وهي المرحلة التي وُسِمت بتشتت الخطاب لكن اتسع تأثيره عالميًا».

رابعًا: الإعلام ما بعد التطبيع – إعلام مرحلة غزة 2023، وهنا ظهرت مؤشرات وانقسام حاد بين روايتين: «الرواية الإنسانية» و«الرواية السياسية». وظهر تسونامي تضامني عالمي إثر العدوان على غزة (2023–2024)، وصولًا إلى 2025، وصعود ترامب إلى الحكم والتحكم، والملاحظ فيها تزايد الرقابة الرقمية، وحظر المحتوى الفلسطيني، وعودة الخطاب الأخلاقي العالمي: صور الأطفال، الحصار، الإبادة، وبروز صحفيين فلسطينيين عالميين (مثل وائل الدحدوح، هشام زقوت، بلال التلاوي)، ثم تواطؤ بعض وسائل الإعلام الكبرى، مما أعاد مبدأ «الموضوعية» في الإعلام. هذه الموضوعية التي هي الحكم والمطلب حاليًا، والقضية الفلسطينية الآن تحتاج أكثر من أي وقت آخر لإعلام نزيه، غير مؤدلج.

■ ما زلنا نفتقد حسن الاستفادة من التطور العلمي التكنولوجي في الإعلام، والدليل ما تبثه فضائياتنا من برامج سطحية. أي نتائج سنحصد من جراء ذلك برأيك؟

من خلال رأي ممارس ومُتتبع وأستاذ للإعلام، ورئيس تحرير جريدة إلكترونية متخصصة في الثقافة، أقول يكمن التأثير السلبي لها على المجتمع في أن بعضها يساهم في نشر القيم السلبية أو تعزيز السلوكيات غير الصحية، وتشويه صورة الواقع وتعزيز الانقسامات الاجتماعية.. وبناءً على ذلك، هناك حاجة إلى مزيد من الاهتمام بجودة المحتوى الذي يُبث على الفضائيات، وضمان أن يكون هادفًا ومفيدًا للمشاهدين، ولن يتم هذا

إلا إذا أُسنِدت الأمور لأهلها ومهنييها. لكن الملاحظة أن سلطة المال هيمنت وغيّرت كل الحقائق، مع الإعلان بشكل صريح عن الزواج العرفي والمصلحي بين المال والسياسة، التي تخدم أجندة أيديولوجية محددة ولها أهداف. وقد أوصلتنا هذه الاستراتيجية إلى الباب المسدود، فتوارى المثقف، وأُعلن موته، واستُبعد المهني، وأصبح التافه والفارغ في الواجهة. وعليه، فالنتائج التي سنحصدها واضحة: تتمثل في تتفيه جيل بأكمله، وقتل مرحلة تاريخية، وزيادة نسبة الجهل والأمية والتفاهة، لتتعاظم الأقزام، ويُزوَّر التاريخ، وتُدفن النهضة التي لم تكتمل.

■ إذاً إلى ماذا نحتاج لتطبيق قانون إعلامي حضاري يلبي احتياجات الشباب العربي؟

لتحقيق ذلك، نحتاج إلى وضع قوانين وتطوير تشريعات إعلامية تحترم حقوق الإنسان، وتنظم عمل وسائل الإعلام، مع مراعاة خصوصية كل بلد عربي، وكذلك تعزيز دور الإعلام في التنمية واستخدامه كأداة للتنمية والتوعية، من خلال نشر المعلومات والثقافة والتعليم، وتحسين جودة المحتوى الإعلامي ورفع مستواه من خلال تدريب الأطر الإعلامية، وتوفير الموارد اللازمة، وتشجيع وسائل الإعلام على ممارسة الرقابة الذاتية من خلال وضع معايير ومبادئ أخلاقية واضحة، وكذلك تفعيل دور المجتمع المدني وتعزيز ترسانة قانونية لمراقبة أداء وسائل الإعلام والمساهمة في تطوير السياسات الإعلامية العمومية، والتعاون الإقليمي والدولي، وتعزيز التعاون بين الدول العربية والمنظمات الدولية، لتبادل الخبرات والموارد في مجال الإعلام. من خلال هذه الخطوات، يمكننا العمل على تطبيق قانون إعلامي حضاري يلبي احتياجات الشباب العربي، ويساهم في بناء مجتمع أكثر وعيًا وتنمية.

■ لنتحدث بالتفصيل عن تجربتك المسرحية التي تناولت فيها القضية الفلسطينية؟

وأنا طفل في المستوى الابتدائي، اختارتني أستاذة اللغة العربية وأنا في المستوى الثاني، أن أمثل في مسرحية موضوعها القضية الفلسطينية وقد نجح المسرح في تأهيلي للمجتمع والحياة

> **السياسة طبّعت والثقافة رفضت وما نزال**

وكانت القضية دائماً في أنشطتنا المدرسية معنا تسكننا، ومرت تجربتي من دار الشباب ومسرح الهواة والتكوين في المسرح ثم المسرح في الثانوي والمسرح الجامعي، وفي كل مرحلة كنت أتابع أعمالاً مسرحية عن القضية الفلسطينية في المسرح المغربي والعربي، وكنت محظوظاً حين انتميت1991 لفرقة مسرحية عريقة، تأسست سنة 1952 وهي فرقة مسرح البدوي التي مرت بمراحل متعددة مارست فيها كل المهمات التي لها علاقة بالمسرح ومنها مهمة المسؤول الإعلامي كما أسست مركزاً للتوثيق والإعلام فيها وأشرفت على توثيق الذاكرة المسرحية من نصوص وكتابات وأبحاث، كذلك خضت تجربة الإخراج التجريبي مع فرق مدرسية ومنها المدارس الابتدائية، التي قدمت معها نصوصاً لمسرح الطفل، من تأليفي وإخراجي تعددت تيماتها بين الأسطورة وتاريخ الفن، وآخر عمل مسرحي للطفل حمل عنوان «أجراس زائرة» عن القضية الفلسطينية كتبتها بنضج معرفي وفني، بأسلوب سهل وغير مباشر ومناسب لعمر فئة بين 10 إلى 15 سنة، لغاية غرس القضية وإحياء الجمرة التي رميت بين أيدينا ذات طفولة.

أهمية إحياء المناسبات بما نستخلصه من دروس وعبر

صلاح صلاح ـ أحد مؤسسي حركة القوميين العرب والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

يُعد قطاع غزة اليوم محورًا لأزمة إنسانية وسياسية غير مسبوقة، حيث تتداخل خيوط المأساة الإنسانية مع صراعات سياسية داخلية في كيان الاحتلال والإرهاب الإسرائيلي ومواقف دولية مُعقدة. تُشير اتهامات الإبادة الجماعية الموجهة لكيان الاحتلال والإرهاب الإسرائيلي إلى خطورة الوضع، وتُلقي بظلالها على كل بُعد من أبعاد الأزمة. يستمر الفلسطينيون في دفع الثمن الأكبر، بينما تتزايد المخاطر السياسية على حكومة بنيامين نتنياهو، ويبقى الموقف الأمريكي حجر الزاوية الذي يُحدد مسار الأحداث. سوف نحاول في هذا التحليل الغوص عميقاً في كل من هذه الأبعاد والتداعيات بعيدة المدى.

بمناسبة ذكرى النكبة التي يجري إحياؤها العام السابع والسبعين. وهي إحدى أهم أربع مناسبات كنا نحرص على إحيائها في بداية تكويننا السياسي في إطار حركة القوميين العرب (سايكس بيكو، وعد بلفور، قرار التقسيم، يوم النكبة) في تلك المرحلة نتذكر الاهتمام الذي كنا نعطيه لهذه المناسبات، والجهد الذي كنا نبذله لإحيائها مع التأكيد على أن الهدف الأساسي من ذلك هو لاستخلاص الدروس والعبر والمضي قدماً، لا نرضخ للأمر الواقع بكل ما يفضح من تواطؤ ومؤامرات، ولا نستسلم للهزيمة بكل ما تحمله من إحباط ويأس. واثقين من أن جيلاً جديداً يجب أن يتشكل يحمل الراية ويستمر.

واليوم بعد سبعة وسبعين عاماً ماذا أستخلص:

أولاً: في تلك المرحلة التي قلما يتطرق لها الباحثون والمحللون تشكل جيل ما بعد النكبة الذي حقق الكثير من الإنجازات ذات المضامين الإستراتيجية، أهمها:

أ- التصدي لكل الآثار السلبية للنكبة، خاصة النفسية والمعنوية؛ الشعب مهزوم ومحبط، يفقد كل شيء: الأرض، الوطن، الذكريات، التاريخ، قبور الآباء والأجداد، بحاجة لمن يحميه من الانهيار والاستسلام واليأس. جيل ما بعد النكبة الشاب في مطلع العمر قام بهذه المهمة، بإمكانيات وأساليب متواضعة، بإحياء المناسبات والمهرجانات الكشفية والرياضية، بالحفلات والعروض الفنية، بالبيانات والمنشورات..... إلخ

ب- بعد النكبة جرت محاولات جادة تقودها الولايات المتحدة الأمريكية لاختصار قضية فلسطين باعتبارها قضية لاجئين يعانون البؤس والشقاء والحرمان، فبدأت تطرح المشاريع الواحد تلو الآخر تحت عناوين التوطين والتهجير والتجنيس.

وكل مشروع من هذه المشاريع كان يستوجب الصلح مع العدو الإسرائيلي، من أفشل هذه المشاريع التي كانت تُرصد لها ميزانيات هائلة، وتقدمها

وتروّج لها الولايات المتحدة الأمريكية، وهي في أوج قوتها؟ بالتأكيد ليس الأنظمة العربية، لا أبالغ القول بأن هذا الجيل جيل ما بعد النكبة يستند إلى بعض الأحزاب الناشطة في الوسط الفلسطيني في تلك الفترة، خاصة حركة القوميين العرب، هو الذي أفشل تلك المشاريع التي ما زالت تتكرر حتى اليوم، وتحاول بعض القوى توليد موجات لجوء جديدة كما يجري في غزة والضفة، للدخول بمرحلة مساومات جديدة.

ج- هذا الجيل، جيل ما بعد النكبة هو الذي أسس لإيجاد منظمة التحرير الفلسطينية ولاحقاً لانطلاق الثورة الفلسطينية. هذا الحراك الشعبي الفلسطيني خاصة في المخيمات كان له صدى وتأثير ونتائج، وكانت تتنافس الأحزاب على قيادته والتي ظهرت مؤشراته في اتحادين الطلاب والعمال.

فأتى تشكيل م. ت. ف. استجابة لمطلب شعبي يعززه الحراك الشعبي في المخيمات وأطر العمل النقابي والشعبي التي كانت تتشكل بمبادرات ذاتية.

في نفس السياق يمكن القول بأن الثورة الشعبية المسلحة لا يقررها مجموعة أشخاص في غرفة سرية، بل حصيلة تراكم لنضال جماهيري، وفعل سياسي وإعلامي يتقاطع فيه العامل الذاتي الذي يمثله الحراك المتواصل والنشاط المتراكم لجيل ما بعد النكبة مع تداعيات الظرف الموضوعي بدءاً بفشل مشاريع الصلح وصولاً إلى هزيمة الأنظمة العربية بنكسة ٦٧ لتفسح الطريق أمام انطلاق الثورة التي كانت كل قياداتها وكوادرها ومقاتليها من جيل ما بعد النكبة.

قد تبرز أسماء بعض القيادات، وتلعب بعض الأحزاب أو التنظيمات دوراً مميزاً لكن ليس من حق أحد فرداً أو جماعة، شخصاً أو تنظيماً الادعاء بأن هذه ثورته أو تلك انتفاضته. ما قام به جيل ما بعد النكبة هو استمرار لما قام به جيل ما قبل النكبة الذي عانى من قمع الانتداب البريطاني وثقل وجوده البغيض. هو الذي أفشل مهمة الانتداب البريطاني، لإقامة «وطن قومي لليهود في فلسطين» رغم كل الجرائم التي ارتكبها على مدار ٣٠ عاماً، فاضطر إلى سحب قواته واللجوء إلى الأمم المتحدة. ونفس هذا الجيل (جيل ما قبل النكبة) هو الذي فرض على الولايات المتحدة الأمريكية أن تعيد النظر بقرار التقسيم الذي بذلت جهوداً لإقراره. وكاد هذا الجيل أن ينجح بالدفاع عن وطنه وإقامة دولته المستقلة لولا تواطؤ الأنظمة العربية، وتخاذل جيوشها المهزومة.

ثانياً:

الحركة الصهيونية لم تخف أهدافها منذ البداية؛ لا تقتصر على اغتصاب فلسطين فقط وإنما تتعداها لإقامة دولة تمتد من الفرات إلى النيل، ولم يترك القادة الصهاينة فرصة منذ ما قبل إعلان قيام دولة «إسرائيل» وما بعدها إلا وطرحوا رؤيتهم لدولتهم الموعودة، وكان آخرها الخارطة التي عرضها نتنياهو في الأمم المتحدة. لكن في المقابل لم ينجح القوميون العرب بمفكريهم وسياسييهم ومناضليهم وأحزابهم دحض هذا الادعاء الصهيوني وبلورة البعد القومي للقضية الفلسطينية، على صعيد شعبي، وعلى مستوى الرأي العام، ولم تف جهودهم البعد القومي للقضية الفلسطينية لتبيان حقيقة أن موقف الدعم والإسناد والمشاركة من أي إنسان عربي أو حزب عربي، أو نظام عربي مع أبناء فلسطين ليس فقط لأنهم جزء من الشعب العربي، وليس فقط لأن فلسطين جزء من الوطن العربي، أو لأنها إحدى دول الجامعة العربية، ويتحمل الجميع مسؤولية تحريرها، خاصة الأنظمة العربية لغسل عار التفريط بها والتواطؤ عليها. ليس هذا فقط بل لأن المشروع المعلن عنه جهاراً نهاراً على كل المستويات، والملتزم به في كل المواقع الصهيونية وقيادات دولة الكيان يشكل خطراً على الشعب العربي أفراداً وجماعات، أحزاباً سياسية ودولاً عربية. فكلهم مستهدفون في المشروع الاستعماري الصهيوني الإجلائي، من هنا تأتي أهمية الدعوة لتشكيل الجبهة القومية العربية المشاركة في الثورة الفلسطينية ليس تعاطفاً مع الفلسطينيين وحرصاً على قضيتهم بل دفاعاً عن أنفسهم وحماية لوطنهم من أن يصبح جزءاً من دولة الكيان الصهيوني. لأن يحافظوا على كرامتهم ويبقوا أعزاء فوق أرضهم حتى لا يتحولوا إلى عبيد ومستضعفين في دولة الكيان الصهيوني.

محور المقاومة، خاصة في لبنان واليمن، يعطينا النموذج الأبرز لأهمية تفجير أكثر من جبهة قتال ضد العدو الإسرائيلي وحجم تأثير ذلك عليه بشرياً واقتصادياً وسياسياً وعسكرياً، للحد الذي بدأت ترتفع أصوات داخل الكيان تحذر من خطر وجودي يهدد دولة العدو الإسرائيلي.

من هنا يصبح على المثقفين القوميين العرب أصحاب الفكر النير أن يتحملوا مسؤولياتهم بجدية وحماس لإعادة الاعتبار للبعد القومي للصراع مع الكيان الصهيوني وشركائه الإمبرياليين والرجعيين.

ثالثاً:

فشل الرهان على الحلول السلمية؛ لو التزمت القيادات الفلسطينية المتنفذة بما تضمنته كل برامج ومواثيق الحركة الوطنية الفلسطينية، واستوعبت جيداً ما كتبه المحللون والباحثون والمؤرخون حول طبيعة الحركة الصهيونية وأهدافها وديناميكية عملها، ولو استخلصت القيادات الدروس من تجربة مسيرة النضال الفلسطيني منذ أول انتفاضة عام ١٩١٩ مروراً بـ ١٩٢١ و١٩٢٥ وثورة البراق والقسام والثورة الكبرى ١٩٣٦-١٩٣٩ والحرب ١٩٤٧-١٩٤٨، لما تجرأت على الدخول في خدعة الحل السياسي.

بكل بساطة وبالمباشر وبإيجاز كيف تجرؤ قيادة ثورة على التنازل عن حقوقها الوطنية والدخول بمساومات مع عدو يغتصب أرضها، عدو له أطماعه الخاصة التي تقوم على نفي وجود الشعب الفلسطيني أصلاً ويدعي بأنه

صاحب هذه «الأرض الموعودة»، وأنه يمتلك فائض قوة ذاتية وبدعم من شركاء (النظام الرأسمالي العالمي) الذي تقوده الولايات المتحدة الامريكية بما يمكنه من الهيمنة على كامل المنطقة العربية.

من يدخل في مفاوضات من موقع ذليل ومهزوم مع عدو يشتهر بكل مواصفات الإجرام والوحشية والغدر، وكل مخططاته تقوم على الاستيلاء والسيطرة؟ من يفعل ذلك كالمفاوض الفلسطيني فما الذي يتوقع أن يحصل عليه من هذا العدو غير ما نراه الإذلال والخنوع لاتفاقيات أوسلو؟

أول من يجب أن يقوم بالمراجعة لما آلت إليه اتفاقيات أوسلو هم الإخوة في فتح لأنهم والمنظمة قد انتهى دورهم. لقد أخذ منهم ما يريد ولن يقبل بمرجعية فلسطينية بالنسبة للعدو الإسرائيلي والأمريكي والرجعي للتعامل معها بموجب أوسلو إلا السلطة وأجهزتها الأمنية.

المراجعة تعيد فتح إلى موقعها الفاعل في إطار الحركة الوطنية الفلسطينية، وتجدد الالتزام بالثوابت الوطنية التي تضمنتها برامجها وميثاق م. ت. ف.، وبهذا تتشكل الأرضية الصالحة والعملية والمطلوبة للوحدة الوطنية والإجماع الوطني الفلسطيني.

نحن بحاجة إلى جيل جديد، جيل ما بعد أوسلو، نموذجه الأبرز ما ولدته مأثرة «طوفان الأقصى» وما أفرزته من بطولات تصل إلى مستوى المعجزات للمقاومين في غزة والضفة، والصمود الأسطوري لأبناء شعبنا في القطاع يتحدون الموت بأي لحظة بأطفالهم ونسائهم ورجالهم المسنين والعجزة. نالوا إعجاب العالم وولدوا حملات تضامنية عالمية غير مسبوقة مع قضيتنا العادلة، تستنكر هذه الإبادة الجماعية التي يقوم بها العدو المتوحش. رغم الآلام والمآسي سنبقى متأكدين واثقين بحتمية الانتصار بالتحرير والعودة إلى فلسطين من بحرها إلى نهرها.

رابعاً:

مررنا بما يكفي من التجارب لنصل إلى قناعة بأن ما تسمى المؤسسات الدولية ليست مكاناً موثوقاً للاحتكام إليها، فهي أوجدتها القوى الاستعمارية لاستخدامها في فرض هيمنتها على القوى المستضعفة في العالم. هي أطر تلجأ إليها الدول العظمى لاستصدار قرارات «دولية» تبرر لها استعمال سطوتها على الشعوب الفقيرة لمزيد من الاستغلال والهيمنة والتسلط.

يستطيع الباحث أن يجد كثيراً من الأمثلة والوقائع التي تثبت أن هذه المؤسسات أداة طيعة بيد القوى الاستعمارية الأكثر قدرة ونفوذاً، لتغطية جرائمها «بالشرعية الدولية.»

يكفي في الذكرى السابعة والسبعين أن نستذكر نحن الفلسطينيين تجاربنا مع هذه المؤسسات الدولية، منها؛ بداية مع «عصبة الأمم» التي لم تتخذ قراراً لتنفيذ ما التزمت به حكومة المملكة البريطانية العظمى في مراسلات مكماهون - حسين عام ١٩١٦ بتمكين العرب من ممارسة حقهم في الاستقلال وإقامة دولتهم الواحدة، ولم تستثن منها فلسطين، بل أخذت قراراً «دولياً» عام ١٩٢٢ بتكليف بريطانيا العظمى لتكون دولة انتداب على فلسطين (لماذا؟) حتى تتمكن من تنفيذ ما التزم به وزير خارجيتها بلفور عام ١٩١٧ للحركة الصهيونية بإقامة «وطن قومي لليهود» في فلسطين، ولم يكن عدد اليهود يكاد يذكر في فلسطين، ولم تكن نواياهم قد ظهرت لاغتصاب فلسطين.

حاولت قوات الانتداب البريطاني على مدى ثلاثين عاماً تنفيذ ما وعدت به؛ استعملت كل وسائل القمع والإرهاب، وقدمت للحركة الصهيونية كل إمكانيات الدعم والإسناد، لكنها فشلت بسبب المقاومة البطولية للشعب الفلسطيني دفاعاً عن وطنه وتمسكه بأرضه. مما أجبر دولة الانتداب البريطاني أن تقرر الانسحاب من فلسطين واللجوء إلى الهيئة الدولية المستحدثة بعد الحرب العالمية الثانية «الأمم المتحدة» كونها تمثل مرحلة النظام الرأسمالي الجديد بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية التي نقل إليها استمرار ودعم ورعاية المشروع الصهيوني؛ فتدخلت بقوة وفرضت قراراً عام ١٩٤٧ لتقسيم فلسطين، ينحاز كلياً لمصلحة الحركة الصهيونية. لم يجد هذا القرار المجحف قبولاً بل مقاومة شديدة من الفلسطينيين والعرب مما اضطر الولايات المتحدة الأمريكية بعد بضعة أشهر أن تعيد النظر في قرار التقسيم رقم ١٨١، لعدم القدرة على تنفيذه، وأعدت مشروعاً بديلاً بوضع فلسطين تحت رعاية دولية، لكن الذي حصل بعد ذلك يستحق أن يفرز له عنوان آخر. يمكن اختصاره بكلمات وبمرارة هو التواطؤ العربي الرسمي الذي أخرج الفلسطينيين من دائرة الصراع ليسهل على الجيوش العربية التي دخلت للدفاع عن فلسطين بقيادة ضابط مخابرات بريطاني (لكونه قائداً للجيش الأردني) ليسهل عليهم تمكين القوات الصهيونية من احتلال مساحة ٧٨ ٪ من أرض فلسطين أي بزيادة ٢٢ ٪ عن قرار التقسيم.

وهنا نأتي مرة أخرى للهيئة الدولية وماذا فعلت لتنفيذ قرارها بالتقسيم، وهل فرضت، بل هل هي على الأقل حاولت لتفرض على الكيان الانسحاب إلى حدود قرار التقسيم؟

حصلت النكبة بعد كل ما سبقها ورافقتها من تآمر وجرائم وتطهير عرقي ومجازر ارتكبتها القوات الصهيونية، سببت تدمير مئات القرى ودفعت مئات الألوف للجوء إلى الدول العربية المجاورة. فتدخلت الأمم المتحدة واتخذت قرار ١٩٤ يقضي بضرورة عودة اللاجئين والتعويض عليهم. ها قد مر سبعة وسبعون عاماً على النكبة، هل تم تنفيذ القرار؟! بل على العكس كانت تجري كل المحاولات بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية لإلغاء القرار أو طرح مشاريع بديلة. الأنكى أن قبول «إسرائيل» عضواً في الأمم المتحدة مشروط بموافقتها على الالتزام بالقرارين ١٨١ و١٩٤ والعمل على

تنفيذهما. بعد ٧٧ سنة من يحاسب «إسرائيل» على عدم التنفيذ. يوجد العديد من القرارات التي لم تنفذ، وأخرى تعطلها الولايات المتحدة الأمريكية قبل أن تصدر.

هنا أنا لا أناقش مضمون القرارين بالهيئة الدولية التي أصدرتهما، ومدى الجدية في تنفيذهما وصولاً إلى ما نحن عليه اليوم من اتفاقات أوسلو وما الذي بقي منها؟ لا شيء غير التنسيق الأمني، وتحولت السلطة إلى مجلس إدارة للحكم الذاتي، وقضايا المرحلة النهائية يتصرف بها العدو الإسرائيلي من طرف واحد من دون أي اعتبار للطرف الآخر في السلطة.

ولو تجرأت مؤسسات متفرعة عن الأمم المتحدة على اتخاذ قرارات تمس الكيان الصهيوني وتوجه له النقد أو الإدانة لن تجد من ينفذها أو يأخذها على محمل الجد.

إن أحد الاستخلاصات الهامة التي يجب أن نأخذها في حسباننا هو أن الهيئات الدولية ليست مرجعية عادلة ومنصفة في دعمنا للحصول على حقوقنا، لا تجرؤ على مساعدتنا والوقوف بجانبنا بما هو حق لنا في حين لا تتردد في دعم الظلم والإجرام، والسيطرة والاستغلال، وتبرر قوى الاستعمار والاغتصاب في السيطرة على الشعوب لإفقارها ونهب خيراتها.

النموذج الذي نأخذ منه القدوة هو ثورات الشعوب الفقيرة المضطهدة، وكيف استطاعت بإمكانياتها المتواضعة أن تفجر ثورات بوجه قوى عاتية تمتلك كل الإمكانيات، وتنتصر عليها كالجزائر وكوبا وفيتنام رغم الخسائر الباهظة التي دفعتها.

«لا ثورة بلا ثمن ولا انتصار من دون تضحيات».

وداعاً علي بدوان

تتقدم أسرة تحرير مجلة الهدف بأصدق مشاعر المواساة ومشاطرة الحزن بالمصاب الجلل من عائلة وأسرة وأصدقاء ومحبي الراحل الكاتب والصحافي والسياسي الفلسطيني علي سعيد بدوان الذي غيَّبه الموت في العاصمة السورية، دمشق، (2025/6/1)، عن عمر ناهز 66 عاماً.

الراحل من مواليد مخيم اليرموك قرب دمشق عام 1959، تنتمي أسرته إلى مدينة حيفا التي لجأت إلى سوريا بعد نكبة فلسطين في العام 1948، درس في مدارس وكالة الأونروا في مخيم اليرموك، وحصل على بكالوريوس في العلوم الأساسية (فيزياء وكيمياء) من جامعة دمشق، بالإضافة إلى دبلوم في التربية وعلوم سياسية، وكذلك شهادة في العلوم العسكرية من الجيش السوري أثناء خدمته في جيش التحرير الفلسطيني.

انخرط بدوان في العمل السياسي الفلسطيني منذ عام 1974 مع الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، وشغل مناصب قيادية مختلفة في اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية، كان من الفدائيين الذين شاركوا في مواجهة القوات الإسرائيلية خلال الاجتياح اللبناني عام 1982، وأصيب في الكبد خلال الحروب التي استهدفت المقامة الفلسطينية في لبنان، مما استلزم إجراء عملية نقل كبد في الصين.

غادر العمل السياسي والتنظيمي في العام 2003، وكان مدير مكتب الإعلام لمنظمة التحرير الفلسطينية في دمشق، وتفرغ للكتابة والأبحاث.

يُعتبر علي بدوان من أبرز الكتّاب الفلسطينيين في سوريا، وله عدة مؤلفات مهمة تناولت تاريخ اليسار الفلسطيني، وقضية اللاجئين الفلسطينيين في سوريا والعراق، ومسار الفصائل الفلسطينية، بالإضافة إلى دراسات عن هضبة الجولان ومسارات السلام والحرب.

كما كتب العديد من المقالات السياسية الدورية في مجلة الهدف وصحف عربية ودولية، وشارك في النقاشات السياسية والثقافية المتعلقة بالقضية الفلسطينية جامعا بين التحليل السياسي والتوثيق التاريخي، حيث أسهم بنقل الذاكرة الوطنية الفلسطينية، وتوثيق تجارب اللاجئين الفلسطينيين في الشتات، خصوصا في سوريا.

منير شفيق

كانت الضربة في فجر 13 حزيران 2025 مفاجئة وقوية وبالغة الشدة خصوصاً مقدمتها الغادرة التي استهدفت حياة عشرات العلماء والقادة من الحرس الثوري. وقد أفادت من الخدعة التي تمثلت بتعيين يوم الأحد للمفاوضات فيما انطلق العدوان يوم الجمعة. ولهذا وجه الاتهام لترامب بالخداع.

وهو ما يفسر كثرة الشهداء من القادة في الضربة الأولى التي استهلت بها الحرب العدوانية الغادرة في١٣حزيران/ يونيو.

أما نهار الجمعة في ١٣ كان صعباً حيث اتسم بتصريحات متغطرسة من قبل ترامب ونتنياهو وكثرة من الشامتين الذين راحوا يروجون مقولات من مثل: «هزيمة إيران» و«انتهاء دورها.»

وكان نهاراً صعباً على المتعاطفين مع إيران، وقد تحلوا بالصبر بانتظار استيعاب الضربة، والرد.

وبالفعل جاءت ليلة ١٣ /١٤حافلة بالرد الصاروخي الباليستي والفرط صوتي. وقد شاهد الساهرون عدة اختراقات للقبة الحديدية، كما شاهدوا إصابات مباشرة تتسم بحرائق ودمار.

أثبت الرد أن إيران سرعان ما رتبت صفوفها، وانتقالها للهجوم والتحدي. وقد تعزز بقرار الإمام السيد الخامنئي بخوض حرب مقاومة ستكون مصممة على دحر العدوان وعلى الانتصار.

وبهذا تكون الحرب على إيران قد أخذت تعيد ميلان ميزان القوى في غير مصلحة الكيان الصهيوني. الأمر الذي أربك ترامب وفرض انتقال الكرة إلى ملعبه والملعب الأوروبي، ليواجها أحد خيارين:

إما السعي لوقف الحرب. وفي هذه الحالة تخرج إيران منتصرة. وإما التدخل العسكري لتجنيب نتنياهو الهزيمة. ولكن نتائج هذا الخيار قد تقلب السحر على الساحر.

تقدير موقف

إبراهيم شريف

الأمين العام الأسبق لجمعية العمل الوطني الديمقراطي (وعد) في البحرين

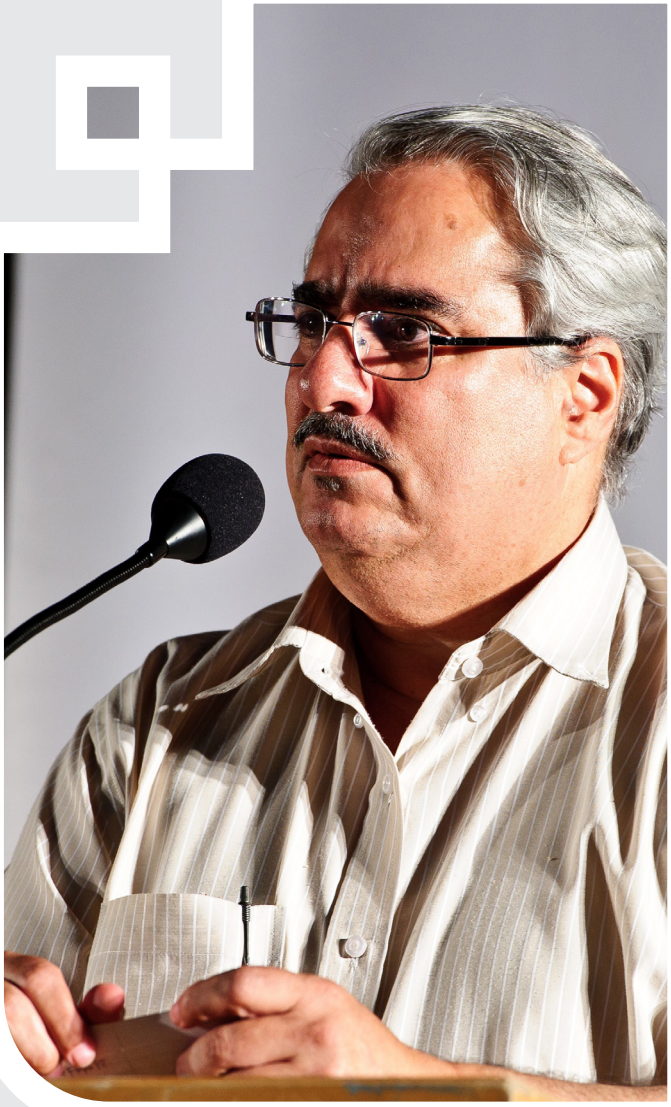

حرب الـ12 يوما بدأت بهجوم إسرائيلي صاعق، لكن مكاسب العدو في الليلة الأولى تم تقويضها تدريجيا بالهجمات الصاروخية المدمرة التي أثبتت مدى التقدم الذي أحرزته إيران في برنامجها الصاروخي، وانكشاف ثغرات في منظومة الدفاع الجوي الإسرائيلية، إضافة إلى استنفاد مخزون الصواريخ الاعتراضية.

حقق العدو إنجازات تكتيكية بضرب المفاعلات، واغتيال صف بارز من القادة العسكريين والعلماء، لكنه فشل في تحقيق أهدافه الثلاثة: تدمير القدرات النووية الإيرانية، تدمير القدرات الصاروخية البالستية، وإسقاط الجمهورية الإسلامية.

تقرير الاستخبارات العسكرية الأمريكية الذي تسرب للإعلام قال إن الضربات الإسرائيلية والأمريكية لم تكن قاصمة للبرنامج النووي. أما هدف تدمير القدرات الصاروخية فإن ما أحدثته الصواريخ الإيرانية من أضرار وخسائر بالغة للعدو ومسارعة العدو في طلب وقف إطلاق النار تثبت كذب الرواية الإسرائيلية بشأن تدميرها.

وفي حقيقة الأمر فإن هدف إسقاط النظام ربما كان الأهم، وهو ما يمكن الاستدلال عليه من محاولة إحداث فراغ قيادي عسكري بقتل كبار القادة العسكريين ومحاولة اغتيال مرشد الثورة، كما صرح وزير الدفاع الإسرائيلي في 26 يونيو حين قال: «أردنا اغتيال المرشد الإيراني لكن لم تكن هناك فرصة عملياتية». وقد فشل هذا الهدف لأن الشعب الإيراني اعتبر العدوان هجوما على الوطن الأم، في الوقت الذي تمكن النظام من تعيين قيادة جديدة سرعان ما استعادت زمام المبادرة وشنت هجمات صاروخية مدمرة.

غير أن فشل العدوان الإسرائيلي الأمريكي في تحقيق أهدافه لا يعني أن إيران انتصرت في هذه الحرب، فقد تلقت إيران ضربة موجعة، خاصة في يومها الأول، التي أُخذت فيه على حين غفلة رغم أن نذر الحرب كانت تملأ أجواء المنطقة. كما أن الاختراقات الاستخبارية والأمنية كانت كبيرة للغاية إلى درجة أن السلطات قالت إنها كشفت عن مخازن ومواقع فيها آلاف المسيرات المجهزة لعمليات التخريب والاغتيال. وقد ثبت أن منظومة الدفاع الجوي ضعيفة للغاية بحيث استباح العدو الأجواء الإيرانية التي قام فيها بمئات الطلعات دون أن تسقط طائرة واحدة عدا المسيرات.

هذه معركة من حرب طويلة تخوضها إيران وحلفاؤها من قوى المقاومة مع الكيان الصهيوني ورأسه الأمريكي، حرب باردة أحيانا وساخنة أحيانا أخرى. على الأرجح هذه المعركة لن تكون الأخيرة، فالحرب لم تسفر عن انتصار حاسم لطرف أو تراجع إيراني عن برنامجها النووي السلمي. لكن من الواضح أن دولة المستوطنين تعلمت درسا قاسيا: قوة الردع الإيرانية الصاروخية مازالت قاتلة والنظام لن يسقط بضربات من الجو، وما يفعله الكيان من انتهاكات يومية في لبنان لا يستطيع فعله مع إيران.

أمام إيران مهمات ضخمة تتعلق بإعادة بناء برنامجها النووي، وتخليص البلاد من شبكات العملاء، وبناء دفاعات جوية قادرة على حماية البلاد، وأخيرا تحقيق إصلاحات داخلية عميقة تساهم في استيعاب المعارضة الوطنية وتقوية الجبهة الداخلية.

غزة في عين الإبادة الجماعية:
تحليل للأبعاد المركبة!

د. سعيد سلّام ـ مدير مركز فيجن للدراسات الإستراتيجية – أوكرانيا

يُعد قطاع غزة اليوم محورًا لأزمة إنسانية وسياسية غير مسبوقة، حيث تتداخل خيوط المأساة الإنسانية مع صراعات سياسية داخلية في كيان الاحتلال والإرهاب الإسرائيلي ومواقف دولية مُعقدة. تُشير اتهامات الإبادة الجماعية الموجهة لكيان الاحتلال والإرهاب الإسرائيلي إلى خطورة الوضع، وتُلقي بظلالها على كل بُعد من أبعاد الأزمة. يستمر الفلسطينيون في دفع الثمن الأكبر، بينما تتزايد المخاطر السياسية على حكومة بنيامين نتنياهو، ويبقى الموقف الأمريكي حجر الزاوية الذي يُحدد مسار الأحداث. سوف نحاول في هذا التحليل الغوص عميقاً في كل من هذه الأبعاد والتداعيات بعيدة المدى.

غزة ونقاط المساعدات: الاتهامات بالإبادة تتصاعد إذ يُصبح طلب النجاة حكماً بالموت.

إن مشهد المدنيين الذين يُقتلون بوحشية أثناء محاولتهم اليائسة للحصول على المساعدات الإنسانية في غزة ليس مجرد حوادث عرضية معزولة أو أخطاء فردية؛ بل هو مؤشر صارخ ومروع على انهيار كامل للقانون الإنساني والنظام الدولي برمته، وتكريس لمأساة إنسانية مُتعمدة تُشكل جزءًا لا يتجزأ من التجويع الممنهج للسكان. هذه الظاهرة المروعة لا تُعرّي فقط الفشل الذريع للمنظومة الدولية في حماية الأضعف والأكثر ضعفًا، بل تُثير تساؤلات خطيرة ومُلحة للغاية حول مدى التزام كيان الاحتلال والإرهاب الإسرائيلي بالقانون الدولي الإنساني، وتحديدًا ما إذا كانت هذه الأفعال تُشكل جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية، أو حتى تُشكل جزءًا من جريمة الإبادة الجماعية التي تُحاكم بها إسرائيل أمام محكمة العدل الدولية.

تُشير تقارير الأمم المتحدة ومنظمات الإغاثة الدولية بلا لبس إلى أن قطاع غزة يواجه مستويات غير مسبوقة من انعدام الأمن الغذائي، مع تحذيرات جدية وقاطعة من مجاعة وشيكة تهدد حياة مئات الآلاف من البشر الأبرياء، وخصوصًا الأطفال والنساء وكبار السن. عندما يستشهد المدنيون وهم يتدافعون للحصول على الغذاء، فإن ذلك يُرسل رسالة واضحة تُفضي إلى خلق بيئة رعب مميتة وعجز مطبق. في هذه البيئة، يُصبح مجرد التفكير في الاقتراب من شاحنات المساعدات مرادفًا للموت المحقق، مما يُجبر السكان على اختيار مستحيل وقاسٍ

بين الجوع المميت الذي يفتك بأجسادهم والمخاطرة بحياتهم التي باتت لا تُقدر بثمن. هذا يُعزز سياسة التجويع، المُتعمدة بشكل مباشر عبر منع دخول المساعدات الكافية وإغلاق المعابر، أو بشكل غير مباشر نتيجة لاستمرار الاستهداف والقتل في المناطق التي يُفترض أنها آمنة لتوزيع المساعدات. يترتب على ذلك انهيار شامل وكامل للثقة؛ إذ تنهار ثقة السكان في أي جهود إغاثية، وفي قدرتهم على البقاء على قيد الحياة في ظل هذه الظروف القاسية التي لا تُطاق. كما تُقوض هذه الحوادث ثقة المجتمع الدولي في قدرة كيان الاحتلال والإرهاب الإسرائيلي على الالتزام بالقانون الدولي الإنساني، وتُعزز الشكوك العميقة حول نواياه الحقيقية تجاه المدنيين الفلسطينيين العالقين في هذا الجحيم. في ظل اليأس المطلق الذي يخيم على القطاع كليًا، قد تتحول نقاط التوزيع المزدحمة إلى أماكن للفوضى والعنف الداخلي بين الجائعين اليائسين، مما يزيد من صعوبة عمليات الإغاثة ويُفاقم المعاناة الإنسانية إلى أبعد حد يُمكن تصوره.

تُشير جميع الأدلة إلى أن إعاقة وصول المساعدات ليست مجرد تحديات لوجستية عادية ناجمة عن ظروف الحرب، بل هي جزء من سياسة أوسع وممنهجة تهدف إلى خنق القطاع وسكانه. تُصبح غزة اليوم أخطر مكان في العالم على الإطلاق لعمال الإغاثة، فقتلهم أو استهدافهم، كما حدث مرارًا وتكرارًا مع سقوط عدد كبير من شهداء العمل الإنساني، يُجبر المنظمات الإنسانية على إعادة تقييم عملياتها بشكل جذري، وقد يُؤدي إلى سحب موظفيها أو تقليص حجم المساعدات بشكل كبير ومقلق، مما يُفاقم الأزمة الإنسانية بشكل حاد ولا يُمكن تداركه. بالإضافة إلى الاستهداف المباشر، تُعاني المساعدات من قيود بيروقراطية صارمة وغير مبررة يفرضها كيان الاحتلال والإرهاب الإسرائيلي، تشمل عمليات تفتيش مُطولة ومُعقدة عند المعابر (التي تُفتح وتُغلق بشكل تعسفي)، وعرقلة دخول الكثير من المواد الأساسية بحجة «الاستخدام المزدوج» (حتى المواد الطبية والغذائية الأساسية تُمنع)، مما يُبطئ ويُقلص حجم المساعدات الواصلة بشكل كبير ومقلق، ويُساهم بشكل مباشر في تفاقم التجويع. في هذا السياق المأساوي، تُتهم بعض الدول والمنظمات الدولية بالتواطؤ الصامت أو العجز التام أمام هذه الانتهاكات الصارخة لحقوق الإنسان، مما يُضر بسمعتها ويُقوض مصداقيتها في الأزمات المستقبلية، خاصة مع تزايد الدعوات الدولية للمساءلة والتدخل الفعال.

تُشكل هذه الحوادث المروعة، إلى جانب العدد الهائل من الضحايا المدنيين الأبرياء، الذين تجاوز عددهم 60 ألف شهيد ونحو 120 ألف جريح، وتدمير البنية التحتية الأساسية التي تُعيل الحياة (بما في ذلك المستشفيات والمدارس والمخابز)، أساسًا قويًا لاتهامات الإبادة الجماعية التي تنظر فيها محكمة العدل الدولية.

تُبرز هذه الانتهاكات عدة مبادئ أساسية في القانون الدولي الإنساني وقانون النزاعات المسلحة، والتي تُنتهك بشكل ممنهج ومتعمد: منها مبدأ التمييز، الذي يُلزم الأطراف المتحاربة بالتمييز الواضح والدقيق بين المقاتلين والمدنيين، ويحظر استهداف المدنيين واعتبارهم أهدافًا مشروعة بشكل قاطع؛ ومبدأ التناسب، الذي يحظر أي هجوم يُتوقع أن يُسبب أضرارًا مدنية مفرطة وغير متناسبة مقارنة بالميزة العسكرية المتوقعة؛ وحظر التجويع، حيث تَحظر المادة 54 من البروتوكول الإضافي الأول لاتفاقيات جنيف تجويع المدنيين كوسيلة حرب، وهو ما يُعتبر انتهاكًا خطيرًا وجريمة حرب في غزة. أخيرًا، يُعد مبدأ المساءلة أمرًا حيويًا ومُلحًا، حيث تُطالب المنظمات الدولية بإجراء تحقيقات شفافة ومحاسبة المسؤولين عن هذه الجرائم البشعة، لكن هذا الأمر يظل تحديًا كبيرًا في ظل الرفض المطلق لكيان الاحتلال والإرهاب الإسرائيلي للتحقيقات المستقلة، وغياب آلية دولية فاعلة لفرض المساءلة في أوقات النزاعات، مما يُعمق من الإفلات من العقاب ويُرسخ ثقافة الإفلات من المحاسبة الدولية، ويُزيد من تدهور الوضع الإنساني والقانوني في القطاع.

أزمة «الكنيست» الإسرائيلي: صراع السلطة في زمن الحرب وتأثيره على العدوان

تُهدد القضية المتفجرة لتجنيد الحريديم بتقويض الاستقرار السياسي الهش في كيان الاحتلال والإرهاب الإسرائيلي، وتُشير إلى انقسامات عميقة داخل التجمع الاستيطاني تُفاقمها ضغوط الحرب. هذا التوتر السياسي الداخلي يُمكن أن يُشكل عاملًا مُحددًا لوتيرة وشكل العدوان على غزة، ويُضاف إلى المشهد المعقد للحرب الدائرة.

لم تعد مسألة تجنيد الحريديم مجرد خلاف ديني-سياسي، بل أصبحت قضية «وطنية» بامتياز داخل التجمع الاستيطاني. هذا التحول جاء بوضوح بعد عملية «طوفان الأقصى» في السابع من أكتوبر 2023، التي كشفت عن حاجة ماسة لزيادة أعداد الجنود، مما جعل المطالبة بالمساواة في التضحيات أكثر إلحاحًا. يُعاني جيش الاحتلال والإرهاب الإسرائيلي من نقص حاد في القوى البشرية، خاصة مع استدعاء أعداد كبيرة من الاحتياطيين لفترات طويلة، ما أرهقهم وأثر على حياتهم المدنية. لذلك، هناك ضغط متزايد من قيادات الجيش وكبار الضباط لتجنيد الحريديم لتقليل العبء على الجنود الآخرين وتوزيع التضحيات بشكل أكثر عدالة، مُشددين على أن هذا التجنيد ضروري للأمن القومي.

الاستياء الشعبي والعلماني المتنامي داخل الكيان الإسرائيلي بلغ مستويات غير مسبوقة. يَشعر قطاع واسع من الجمهور، خاصة من العلمانيين واليهود المتدينين غير الحريديم الذين يخدمون بالفعل في الجيش، بالغضب والاستياء من استمرار إعفاء الحريديم. يرون في ذلك ظلمًا وتمييزًا صارخًا، خاصة وأنهم يُطالبون «بمساواة الأعباء» في وقت يُعدون فيه للاستمرار في الحرب و «يُخاطرون بحياتهم». هذا الصراع ليس مجرد خلاف حول الخدمة العسكرية، بل يعكس صراعًا ثقافيًا وديموغرافيًا أعمق بين النموذج العلماني والعسكري للمجتمع داخل الكيان

الإسرائيلي، ونموذج الحريديم الذي يُركز على دراسة التوراة ويُفضل الابتعاد عن الاندماج الكامل في المجتمع «الدنيوي». تداعيات هذه القضية الديموغرافية طويلة المدى تُشير إلى تحولات جذرية في بنية المجتمع «الإسرائيلي» الاستيطاني، حيث يتزايد عدد الحريديم بشكل ملحوظ مما يهدد بتغيير التركيبة السكانية والاجتماعية في المستقبل.

مستقبل حكومة مجرم الحرب بنيامين نتنياهو مُعلق بخيط رفيع بسبب هذه القضية، بالإضافة إلى ضغوط أهالي الأسرى والمستوطنين الذين يطالبون بإنهاء الحرب أو تحقيق نصر حاسم. في 12 يونيو 2025، شهد «الكنيست» اختبارًا حاسمًا حيث صوت ضد مقترح لحل نفسه بأغلبية 61 صوتاً مقابل 53. هذه الخطوة، التي جاءت بعد تقديم حزب «يش عتيد» طلباً رسمياً للتصويت على حل الكنيست في 11 يونيو، تُشكل نجاة مؤقتة لحكومة نتنياهو من انتخابات مبكرة، لكنها لا تُلغي الأزمة تمامًا. جاء تصويت الكنيست ضد حل نفسه بعد التوصل إلى «وثيقة مبادئ» أولية بشأن خلاف تجنيد الحريديم. هذا الاتفاق يحدد أهدافاً للتجنيد الإلزامي (4800 حريدي في السنة الأولى، 5700 في الثانية، وصولاً إلى 50% خلال خمس سنوات) ويُحدد عقوبات تصاعدية لمن يرفض الخدمة، بما في ذلك تعليق رخص القيادة، إلغاء الإعانات، وحرمان المدارس الدينية من الميزانية في حال عدم تحقيق الأهداف. على الرغم من أن غالبية الأحزاب الحريدية صوتت ضد حل الكنيست، إلا أن هناك انقسامات داخلية، حيث صوت حزب «أغودات إسرائيل» لصالح الحل، مما يشير إلى أن التفاهمات لم تُقنع جميع الحاخامات والقيادات الدينية المتشددة.

كذلك تلعب المحكمة العليا في الكيان دورًا حاسمًا في هذه الأزمة، حيث ألغت قوانين الإعفاء ووضعت الكرة في ملعب الكنيست. قرار المحكمة الأخير بوقف تمويل المدارس الدينية التي لا يُجنّد طلابها يُشكل ضغطًا هائلاً على الأحزاب الحريدية لتقديم حل، ويُهدد بقطع شريان الحياة عن مؤسساتهم الدينية. يُحاول نتنياهو بشتى الطرق تأجيل أو تمرير قانون يُرضي الحريديم دون إثارة غضب بقية شرائح المجتمع، لكنه يجد نفسه بين فكي الكماشة. قد يُقدم على تنازلات كبيرة للحريديم لضمان بقاء حكومته، حتى لو أدت هذه التنازلات إلى تفاقم الشرخ المجتمعي وإضعاف الجيش على المدى الطويل، مما يُظهر أن بقاءه في السلطة يُعد أولوية قصوى لديه.

إن نجاة نتنياهو من حل الكنيست تمنحه مجالًا للمضي قدمًا في حرب الإبادة في غزة دون ضغط فوري من انتخابات وشيكة. في 12 يونيو 2025، وردت أوامر إخلاء لأحياء شرق مدينة غزة (البلدة القديمة، الروضة، التفاح) تمهيداً لقصفها «بقوة شديدة»، واستمرار القصف في جباليا، مما يُشير إلى استمرار التصعيد وعدم وجود نية لوقف العمليات العسكرية.

على الرغم من استمرار حرب الإبادة في غزة، تستمر المفاوضات بشأن صفقة مع المقاومة الفلسطينية وعلى رأسها «حماس». حيث قدم الكيان الإسرائيلي في 12 يونيو 2025 رده على مقترح معدل، لكنه رفض التعهد بإنهاء الحرب على قطاع غزة، مما يُعقد فرص التوصل إلى اتفاق ويُبقي مستقبل الأسرى رهينة للعمليات العسكرية.

على الرغم من النجاة من حل الكنيست، فإن ملف تجنيد الحريديم لا يزال يمثل تحديًا كبيرًا وربما يعاود الظهور لتهديد استقرار الحكومة مستقبلاً. الأحزاب الحريدية نفسها قد تعود لطرح قانون حل الكنيست مجدداً، ليس قبل مرور 6 أشهر، إذا لم يتم التوصل لحل نهائي وخريطة طريق واضحة بشأن التجنيد خلال الأيام المقبلة. في حال تم حل الكنيست، يدخل كيان الاحتلال والإرهاب الإسرائيلي فترة انتخابات قد تمتد لعدة أشهر، وخلال هذه الفترة، ستكون هناك حكومة تصريف أعمال. في حال استمرار حرب الإبادة الجماعية وعدم التوصل الى صفقة شاملة لوقف إطلاق النار، قد تُحاول حكومة تصريف الأعمال أو الأطراف المتنافسة على السلطة، تصعيد العمليات العسكرية في غزة أو تنفيذ عمليات عسكرية واسعة النطاق لتعزيز شعبيتها وإظهار قوتها في التعامل مع التهديدات الأمنية، أو لتحديد مسار الحرب قبل أي تغيير محتمل في القيادة. أما إذا أسفرت الانتخابات عن حكومة جديدة (ربما من دون نتنياهو)، فقد تُحدث تغييرات في استراتيجية الحرب، مثل البحث عن صفقة تبادل أسرى شاملة، أو الانخراط في مفاوضات جدية حول مستقبل غزة، أو حتى وقف إطلاق النار. ومع ذلك، فإن الطبيعة اليمينية المتشددة للمشهد السياسي في كيان الاحتلال والإرهاب الإسرائيلي تُشير إلى أن أي تغيير لن يكون جذريًا ما لم تحدث تحولات عميقة في الرأي العام أو ضغوط دولية غير مسبوقة تفرض مسارًا مختلفًا.

الموقف الأمريكي: توازنات المصالح بين الأخلاق والجيوسياسية المتذبذبة

يُعد الموقف الأمريكي حجر الزاوية في استمرارية عدوان كيان الاحتلال والإرهاب الإسرائيلي، فهو يُشكل مزيجًا معقدًا من الدعم الإستراتيجي غير المشروط، والضغط الخفيف، والمحاولات اليائسة لإدارة التداعيات. هذا الموقف يُثير تساؤلات جدية حول «القيم الأمريكية المعلنة» وحقيقة المصالح الكامنة، خاصة في سياق اتهامات الإبادة الجماعية.

العلاقات الأمريكية مع كيان الاحتلال والإرهاب ليست مجرد تحالف عابر، بل هي شراكة إستراتيجية عميقة الجذور تعود إلى عقود طويلة، حيث يُعتبر هذا الكيان «أهم حليف» للولايات المتحدة في الشرق الأوسط، ويُقدم دورًا محوريًا في تحقيق المصالح الأمريكية المعلنة، مثل مواجهة النفوذ الإيراني، ومكافحة «الإرهاب»، والحفاظ على الاستقرار الإقليمي (وفقاً لتصور واشنطن). الدعم العسكري الأمريكي لهذا الكيان ليس مجرد مساعدات مالية، بل هو تمكين مطلق يجعله القوة العسكرية الأبرز في المنطقة؛ إذ يشمل ذلك تزويده بأحدث التقنيات العسكرية، وتبادل المعلومات الاستخباراتية الحساسة، وحتى دعم تطوير قدراته النووية غير المعلنة. هذا

الدعم يُترجم مباشرة إلى قدرة قوات الكيان الإسرائيلي على شن حملات عسكرية واسعة النطاق في غزة دون خوف من نقص الإمدادات أو عقبات لوجستية، مما يمنحه تفوقًا عسكريًا ساحقًا. علاوة على ذلك، يُعد اللوبي المؤيد لكيان الاحتلال والإرهاب الإسرائيلي في واشنطن من أقوى جماعات الضغط، ويُمارس نفوذًا كبيرًا على الحزبين الرئيسيين، الديمقراطي والجمهوري. في عام الانتخابات النصفية في الكونغرس المقررة العام المقبل، يُصبح هذا النفوذ حاسمًا، مما يَحُدّ بشكل كبير من قدرة أي إدارة أمريكية على اتخاذ مواقف قد تُعتبر «معادية له» أو تُهدد بقطع المساعدات، حتى في وجه الانتقادات المتزايدة بخرق حقوق الإنسان والقانون الدولي.

على الرغم من هذا الدعم الراسخ، تُظهر الولايات المتحدة ازدواجية واضحة في معاييرها، وتُحاول بشتى السُبل إدارة الأزمة وتخفيف الضغط الدولي. يُصدر المسؤولون الأمريكيون تصريحات تُعبر عن «القلق العميق» بشأن الوضع الإنساني وحماية المدنيين في غزة، بينما في نفس الوقت يُؤكدون على «حق الكيان الإسرائيلي في الدفاع عن النفس» ويُدافعون عن عملياته العسكرية، حتى في وجه اتهامات الإبادة الجماعية. هذه الازدواجية في اللغة تُشير إلى محاولة لتهدئة الرأي العام الدولي والمحلي دون المساس بالدعم الأساسي لكيان الاحتلال والإرهاب. استخدام الفيتو الأمريكي المتكرر في مجلس الأمن يُعتبر بمثابة «شيك على بياض» لحكومة الإبادة الجماعية الإسرائيلية للمضي قدمًا في عملياتها، ويُقلل بشكل كبير من فعالية المجتمع الدولي في فرض وقف إطلاق النار أو محاسبة الكيان على انتهاكاته الصارخة للقانون الدولي. كما أن «الخطوط الحمراء» التي تضعها الولايات المتحدة لكيان الاحتلال والإرهاب، مثل تحذيرها من شن عمليات واسعة في رفح دون خطة لحماية المدنيين، تُعتبر أمثلة على «خطوط حمراء» وهمية. فعندما بدأ الكيان الإسرائيلي عمليته العسكرية في رفح، لم تتبعها أي عقوبات جدية أو حتى تراجع ملحوظ في الدعم الأمريكي، مما يُقوض مصداقية التهديدات الأمريكية ويُظهر أن المصلحة الاستراتيجية لكيان الاحتلال والإرهاب تتجاوز الاعتبارات الإنسانية في الموقف الأمريكي. وحتى جهود الولايات المتحدة لإدخال المساعدات الإنسانية، بما في ذلك إدخالها عبر شركة أمنية خاصة، تُعتبر في جوهرها محاولة لتخفيف الضغط الإعلامي وتقديم صورة إنسانية، بينما لا تُعالج الأسباب الجذرية للأزمة الإنسانية التي هي نتيجة مباشرة لحرب الإبادة والحصار المستمر في إطار هذه الحرب.

يُؤدي الموقف الأمريكي هذا إلى تآكل متزايد في مصداقية الولايات المتحدة كـ «دولة تُدافع عن حقوق الإنسان والقانون الدولي»، خاصة في العالم العربي ودول الجنوب العالمي والعالم الإسلامي، حيث تُصبح الولايات المتحدة مُتهمة بازدواجية المعايير، مما يُضر بسمعتها الدبلوماسية ونفوذها في حل النزاعات. كما يُمكن أن يُساهم هذا الموقف في تغذية مشاعر الإحباط واليأس في المنطقة، مما قد يُؤدي إلى تزايد التطرف والعنف ضد الأنظمة المرتبطة بها، ويزيد من احتمالية زعزعة الاستقرار الإقليمي على المدى الطويل، خاصة مع تصاعد التوترات الإقليمية. يُواجه الرئيس ترامب ضغوطًا متزايدة من داخل حزبه، ومن الأجيال الشابة، والجاليات العربية والإسلامية في الولايات المتحدة، بسبب سياسته تجاه غزة. هذا الضغط قد يُؤثر سلبًا على فرص حزبه الجمهوري في انتخابات الكونغرس القادمة، خاصة في الولايات المتأرجحة التي قد تُحدث فرقًا في النتائج. بشكل عام، تُثير هذه الأزمة تساؤلات جدية حول قدرة الولايات المتحدة على لعب دور وسيط نزيه وفعال في الصراع الفلسطيني - العربي مع الكيان الإسرائيلي، وربما تُقلل من نفوذها في حل الأزمات المستقبلية بالمنطقة إذا لم يتم تغيير مسار سياستها بشكل جوهري، بما يتوافق مع مبادئ العدالة وحقوق الإنسان.

غزة والمستقبل المُعلّق بين أتون الإبادة وآفاق العدالة المجهولة

يُعدّ قطاع غزة اليوم أكثر من مجرد ساحة حرب؛ إنه مرآة مُكثفة تعكس صراعات أعمق وأكثر تعقيدًا تتجاوز حدود الجغرافيا. إنه صراع على الوجود لشعب يُواجه خطر الإبادة، وصراع على السلطة داخل كيان الاحتلال والإرهاب الإسرائيلي الذي تتنازعه فصائل متطرفة، وصراع عالمي على المبادئ والقيم التي تُشكل أساس القانون الدولي والإنسانية. استمرار قتل المدنيين بدم بارد، وتصاعد اتهامات الإبادة الجماعية التي يُحاكم بها هذا الكيان أمام محكمة العدل الدولية، وهشاشة المشهد السياسي داخله الذي يُهدد بتفكك حكومته، والموقف الأمريكي المتذبذب الذي يُفضّل المصالح الاستراتيجية الضيقة على الاعتبارات الأخلاقية والقانونية، كلها عوامل تُشير بشكل قاطع إلى أن طريق غزة نحو التعافي، والسلام، والعدالة ما زال بعيد المنال، وغارقًا في حالة من الضبابية واليأس.

يكمن التحدي الأكبر في إمكانية تغيير هذه الديناميكيات المعقدة والتشابك المُعقد للمصالح. يجب أن يتجاوز التركيز العالمي مجرد «إدارة الأزمة» الإنسانية، التي أثبتت عدم فعاليتها في ظل استمرار العدوان، ليتحول إلى حل جذور الصراع بشكل عادل ودائم. هذا يتطلب إرادة سياسية دولية حقيقية، لا تكتفي بالإدانات اللفظية، بل تُترجم إلى إجراءات ملموسة تُوقف آلة القتل والتدمير. فهل سيُجبر الضغط الدولي المتزايد، والاحتجاجات العالمية التي تتسع رقعتها يوماً بعد يوم، القوى الفاعلة على إعادة تقييم مواقفها وتغيير مسارها نحو العدالة؟ أم أن غزة ستظل عالقة في عين العاصفة، شاهدة على مأساة إنسانية كبرى قد تُسجل في صفحات التاريخ ليس كصراع عابر، بل كفشل ذريع للمجتمع الدولي في حماية المدنيين وفرض القانون، ووصمة عار على الضمير الإنساني الجمعي؟ المستقبل مُعلّق، والغد يحمل إجابات قد تكون أكثر قتامة إذا لم يتحرك العالم بجدية لوقف هذا العدوان.

المعايير المزدوجة وحرب الإبادة في غزة

علي زيدان ـ باحث وكاتب سياسي من لبنان

امتدت حرب الإبادة الإجرامية على غزة أكثر من 600 يوم، دون هوادة، حتى أصبحت كل مناطق القطاع ساحة تجارب للأسلحة الأمريكية الفتاكة. طوال هذه المدة، ظل العالم الغربي يطالب بالإفراج عن الأسرى الصهاينة في غزة، ويصفهم بالرهائن المستضعفين. ويتحسر على مصيرهم. وينسج الأكاذيب والقصص التراجيدية والوهمية عن معاناتهم وتعذيبهم. ويصف فصائل المقاومة الفلسطينية بالإرهاب والوحشية، وأسوأ الصفات والنعوت. بينما ذات الأشخاص، أو المسؤولين، أو الحكومات والدول ظلوا يرددون الدعاية الصهيونية الكاذبة، ظلوا أيضاً صامتين إزاء ما يجري من قتل وتدمير وتجويع في غزة.

لا يرون، بذات العين، حرب الإبادة التي تدور رحاها هناك، منذ 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023 وحتى اليوم، حيث راح أكثر من 200000 شهيد وجريح ضحايا لهذه الحرب الوحشية. وما زالت آلة القتل المتوحشة الصهيونية الأمريكية تستهدف خيم النازحين العزل وأماكن إيوائهم. وأماكن تجمعهم بحثاً عن طعام مغموس بالدم. وكأن ما يجري هو أحد أفلام الرعب الخيالي الهوليودية. لم يرَ أحد من أولئك الأشخاص حجم الدمار الذي ألحقته آلة الحرب الصهيونية الأمريكية بأحياء غزة، والمناطق السكنية وأماكن الإيواء، والمستشفيات والمراكز الصحية، ومنشآت البنى التحتية. الحصار الشامل، والتجويع، ومنع الدواء والغذاء والوقود، كل تلك الأعمال الشنيعة التي لم يكن لها مثيل عبر التاريخ، لم تُزعج أحداً. ولم تلفت نظر أحد. لا في العالم الغربي، ولا حتى في العالم العربي. الجميع يركز فقط على سلامة الأسرى الصهاينة، وضرورة عودتهم إلى ديارهم. واستسلام المقاومين الفلسطينيين وتسليم أسلحتهم. لا يذكر أولئك المنافقون أن غالبية الأسرى الصهاينة هم من الجنود والعساكر، في الخدمة الفعلية أو في الاحتياط، أو من المتقاعدين الذين تلطخت أيديهم بدماء الأطفال الفلسطينيين. ولم يذكر أولئك أن الكيان الصهيوني هو كيان محتل للأراضي الفلسطينية منذ 1948.

لقد أظهرت هذه الحرب الإجرامية الوجه البشع للصهيونية النازية وحلفائها في الإدارة الأمريكية والدول الغربية. وبينت بوضوح لا لبس فيه ازدواجية المعايير التي تستخدمها الدول الغربية في نظرتها إلى المنطقة العربية، وإلى القضية الفلسطينية. دعم مطلق للكيان الصهيوني في المال والعتاد، واستخدام حق الفيتو ضد أي إدانة محتملة للجرائم الصهيونية. كذلك أظهرت هذه الحرب الإجرامية الوجه الحقيقي للتحولات العربية الكبرى وراء الصمت المريب والمتواطئ الذي التزمت به تلك الدول. طوال فترة هذه الحرب ظلت معظم الدول العربية تراقب بصمت ما يجري. وبعض هذه الدول كان موافقاً وداعما للعدوان، سواء مباشرة أو غير مباشرة. وينبغي القول إن هذا الصمت في كلا الحالتين، إن دل على شيء فهو يدل على الموافقة والمشاركة بما يجري. أيضاً، أظهرت هذه الحرب المواقف المخزية والمنافقة للعديد من المنظمات غير الحكومية التي تدعي الدفاع عن حقوق الإنسان، أو التي تنادي بحماية الأطفال والنساء، أو التي توفر الدعم للقطاعات الصحية والطبية. هذه المواقف المتجاهلة لعذابات الشعب الفلسطيني أثبتت أن معظم تلك المنظمات تدور في فلك الدول الغربية المتواطئة مع الكيان الصهيوني، وما هي إلا واجهات تستخدمها أجهزة المخابرات الغربية لجمع المعلومات، أو لبث الدعايات المغرضة، وتنفيذ مخططات مسبقة. لم يرتفع أي صوت ولو بخجل، يدعو إلى إطلاق سراح الأطفال القُصر، أو عدم التعرض للأطباء والممرضين الفلسطينيين، أو إطلاق سراح المعتقلين منهم من سجون الاحتلال. أو حتى وقف تعذيبهم الوحشي والمهين. في الحقيقة يدل هذا الصمت المريب على تواطؤ تلك المنظمات كما الدول مع الكيان الصهيوني، وموافقتهم على الأعمال الإجرامية التي يقوم بها الكيان المجرم. وبكل الأحوال، فإن هذا الصمت يشكل غطاءً للجرائم التي تجري هناك، كما أنه يدفع الكيان الصهيوني لارتكاب المزيد من الجرائم. يُطالب الرئيس الأمريكي بالإفراج عن الأسرى الأمريكيين في غزة، واستسلام المقاومين دون قيد أو شرط. ويفتخر بأنه شريك أساس في هذه الحرب، وأنه أرسل الطائرات والسفن الحربية والقنابل المدمرة والأسلحة الفتاكة للقضاء على المقاومة الفلسطينية في غزة. لكنه لا يذكر بأن تلك الأسلحة استهدفت المدنيين العزل فقط، ومعظمهم من النساء والأطفال. ولم يرَ حجم الدمار والإبادة الذي أحدثته تلك الأسلحة الفتاكة. ولم يذكر لماذا يكون أمريكي جندي صهيوني يقاتل ضد الفلسطينيين. كذلك فعل الرئيس الفرنسي، والمستشار الألماني، وغيرهم. جميعهم طالبوا بالإفراج عن الأسرى الأمريكيين، والفرنسيين، والألمان. وهم جميعاً من مجرمي الحرب الذين شاركوا بالقتال ضد الفلسطينيين، وتلطخت أيديهم بدماء الأطفال الفلسطينيين. بالرغم من ذلك، لم يتذكروا الأسرى الفلسطينيين، ولم يتساءلوا لماذا يذهب مواطنوهم للحرب في غزة؟ لماذا تركوا المدن الأمريكية والفرنسية والألمانية ليستوطنوا في المدن الفلسطينية؟ ويطردوا الشعب الفلسطيني من أرضه؟ طبعاً، لم يخطر ببالهم مثل تلك الأسئلة. فهذه الدول الاستعمارية هي في الحقيقة شريك للكيان الصهيوني في جرائمه، حيث أنها تُرسل القوات المساندة، والأسلحة الفتاكة والمعلومات الاستخبارية لدعم الكيان الصهيوني الاستيطاني، والدفاع عن مستوطناته غير الشرعية. هذه الدول التي تطالب بالإفراج عن أسراها لدى المقاومة الفلسطينية، يمكنها بكل بساطة أن تساهم بالحل العادل للقضية الفلسطينية من خلال استرجاع أسراهم وأسرهم وكافة مواطنيهم الذين تركوا ديارهم وقدموا إلى فلسطين للاستيطان في أراضٍ ليست لهم.

من ناحية أخرى، فإن الأسوأ من كل ذلك هو الصمت المريب الذي التزمت به الدول العربية. خاصة وأنها تملك من الإمكانيات ما يجعلها دولاً مؤثرة في المنطقة وفي مجريات السياسة الدولية التي تدور على حدودهم. عندما جاء الرئيس الأمريكي الحالي لزيارة دول الخليج العربي، إنما جاء ليغرف من الأموال من دون مقابل. لم يجرؤ أي حاكم عربي إلى الطلب المباشر من الإدارة الأمريكية بوقف حرب الإبادة في غزة. حتى لو على سبيل المقايضة، خاصة أن ما يجري في غزة والضفة الغربية يمس الأمن القومي العربي أيضاً. غير أن مواقف بعض الأنظمة العربية كان متعاطفاً مع الأسرى الصهاينة وعائلاتهم، واعتبرت أن الفصائل الفلسطينية اعتدت عليهم في بيوتهم. لم يذكروا أن الفلسطيني إنما يمارس حقه المشروع بمقاومة الاحتلال، والدفاع عن أرضه المحتلة. ولم تستطع، تلك الأنظمة، أن ترى عذابات أهل غزة ومعاناتهم من الجوع والبرد والإبادة المستمرة منذ ثمانية عقود. وأكثر من ذلك أقفلت البوابات والمعابر بوجه قوافل المساعدات الإنسانية. وجرى ابتزاز النازحين، وتضييق الخناق عليهم. ولم يسمعوا بمعاناة آلاف الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال، ولا التعذيب الوحشي المنافي لأدنى المعايير الإنسانية. الكثير من المؤسسات الإعلامية العربية الرسمية تعاطفت مع قضية الأسرى الصهاينة. وبعضهم رأى في تلك المعارك مجرد عدوان بواسطة عملاء إيران، أو جماعات إسلامية، يحاولون تخريب المنطقة والعبث باستقرارها. نحو ثمانية عقود من الاحتلال والقتل والتدمير والتشريد كأنها لم تكن. وأن هذا الكيان الآمن المطمئن لم يكن سوى ضحية لنشاط منظمات دينية متطرفة معادية لدول المنطقة. غير أن الحقائق التي أظهرتها تلك الحرب الإجرامية بينت أن الدول العربية كقوة سياسية في المنطقة لم يعد لها أي قيمة أو وزن سياسي. وأن مفهوم العروبة أو القومية العربية قد أفرغ من مضمونه. وأصبحت الدول العربية مستباحة أمام هجمة استعمارية صهيونية أمريكية جديدة. غير أن هذا الشعب الفلسطيني الذي صمد طيلة هذه المدة، صموداً أسطورياً، متحدياً أعتى الجيوش وأفتك الأسلحة لن يستسلم ولن يرضخ دون أن ينال حقوقه الكاملة بالحرية والاستقلال والعودة.

الخليج في عاصفة العدوان الصهيوني الأمريكي على إيران

رضي الموسوي ـ كاتب صحفي من البحرين

فتح فشل العدوان الصهيوني الأمريكي على إيران فضاءات مفتوحة على العديد من الاحتمالات، منها استباحة الكيان الصهيوني للسماء الإيرانية بعد توقف الهجمات وتنفيذ انتهاكات صارخة على الطريقة اللبنانية، وذلك بعد أن تمكن الكيان من قتل قيادات أساسية إيرانية بحجم رئيس هيئة الأركان وقائد الحرس الثوري وغيرهما من القيادات العسكرية والسياسية والأمنية إضافة إلى إغتيال مجموعة من العلماء النوويين في الضربة الأولى المباغتة التي كشفت حجم الاختراق الصهيوني في الجسد الإيراني وما تركته من حالة إنهاك وإضعاف، تجاوزتها بعد ساعات من الهجوم الأول.

الوجود العسكري الأمريكي في الخليج العربي

بعد المشاركة الأمريكية المباشرة في العدوان على إيران عبر استهداف أهم المواقع النووية الإيرانية في كل من «فوردو» و«نطنز» و«أصفهان»، وضع الخليجيون أيديهم على قلوبهم تحسبا لردة الفعل الإيرانية، حيث تتمتع الولايات المتحدة الأمريكية بوجود عسكري مهم في منطقة الخليج، سواء على شكل قواعد عسكرية تدار كلية من البنتاغون، أو عبر التسهيلات الكبيرة التي تقدمها دول المنطقة لها في القطاعات العسكرية المنتشرة في بلدان الخليج والدول المجاورة. فهي تتمتع بأكبر قاعدة عسكرية خارج الولايات المتحدة، قاعدة العديد في قطر وفيها نحو 13 ألف جندي أمريكي متعددي الرتب العسكرية، وقد بدأت القاعدة عملها وفقا للاتفاق الأمني الذي تم بين الدوحة وواشنطن عام 1992، بعد طرد القوات العراقية من الكويت وعقد مؤتمر مدريد في 1991. ومنذ العام 2002 تحولت قاعدة العديد لتكون تحت تصرف الجيش الأمريكي وفيها أكبر مخزن للأسلحة الامريكية في المنطقة، وتتمتع باطول ممر لهبوط الطائرات العسكرية، وفيها أكثر من 100 طائرة. وفي قاعدة العديد تقع القيادة العسكرية الأمريكية الوسطى والقيادة المركزية للقوات الجوية ومركز العمليات الجوية والفضائية.

هذه المميزات التي تتمتع بها قاعدة العديد العسكرية، حفزت إيران على اختيارها لتكون مكانا للرد «الرمزي» على العدوان الأمريكي السافر على المواقع النووية الإيرانية ودعمها المطلق للكيان، واتكأت طهران على طبيعة العلاقة المميزة بينها وبين الدوحة مقارنة بباقي دول الخليج الأخرى، حيث تشترك الدولتان في حقل الغاز العملاق وتطوير العلاقات بين البلدين أثناء الأزمة الخليجية التي قوطعت قطر في 2017 من قِبَل ثلاث دول خليجية هي السعودية والبحرين والإمارات إضافة الى مصر، واستمرت المقاطعة عدة سنوات بنت خلالها طهران والدوحة علاقات قوية خصوصا في الجانب التجاري، حيث كانت إيران وتركيا هما الممولتان الرئيسيتان للمواد الغذائية لقطر. ربما أن الأنباء التي تسربت عن إخبار إيران لقطر عن مهاجمة قاعدة العديد هي أنباء مرجحة وصحيحة.

بالإضافة إلى قاعدة العديد العسكرية الأمريكية، هناك العديد من القواعد العسكرية ومواقع التسهيلات التي تقدمها العواصم الخليجية لواشنطن في الكويت حيث توجد قاعدة «عريفجان» وقاعدة «علي السالم» وقاعدة «معسكر الدوحة»، ويأتي الوجود الأمريكي بناء على الاتفاقية الدفاعية بين البلدين الموقعة في 1991 بعيد الاجتياح العراقي للكويت، والتي بموجبها نشرت الولايات المتحدة آلاف الجنود الأمريكان وقادت ما يسمى بـ«التحالف الدولي» لطرد الجيش العراقي من الأراضي الكويتية. وتقدر العديد من الأوساط المختصة عدد الجنود الأمريكان في الكويت بنحو 13 ألف جندي.

هذا الاحتمال يفتح الباب لفرض معادلة «نووية» جديدة على طهران كنتيجة مباشرة للعدوان على المنشآت النووية الإيرانية التي ادعّت واشنطن وتل أبيب تدميرها تدميرا شاملا. وفي المخطط أيضا أنه في حال نجحت تل أبيب وواشنطن في تحقيق الأهداف يتم تحريك الداخل الإيراني بزعزعة الاستقرار تمهيدا لإسقاط النظام القائم وإقامة نظام موال للصهاينة والأمريكان يلبي متطلبات تشييد الشرق الأوسط الجديد الذي يبشر به قادة الكيان منذ عدة عقود. استكمال هذا المخطط يقود إلى تصفية القضية الفلسطينية وضرب مقومات صمودها داخليا وفي الإقليم نظرا لما تشكله إيران من دعم رئيسي لفصائل المقاومة الفلسطينية.

حدد رئيس وزراء الكيان، بدعم مطلق من الإدارة الأمريكية، ثلاثة أهداف للعدوان على إيران الذي بدأ فجر الثالث عشر من يونيو/ حزيران الماضي: إنهاء البرنامج النووي كلية وحرمان إيران من القيام بأي عملية تخصيب مهما كانت قليلة نسبة اليورانيوم المخصب، وضرب البرنامج الصاروخي وخصوصا الباليستي لمنع إيران من مواجهات محتملة في المستقبل مع الكيان، وإسقاط النظام السياسي. فشل الكيان والولايات المتحدة الأمريكية من تحقيق أي من الأهداف المعلنة. بيد أن هدفا لم يتم الإعلان عنه لكنه واحدا من الأهداف الأكثر أهمية، وهو إعادة شد قوس الأزمة بين إيران ودول مجلس التعاون الخليجي، فكانت التكتيكات العسكرية تدفع طهران إلى توجيه صواريخها للقواعد العسكرية الأمريكية المنتشرة في المنطقة والتي تم إخلاء أغلبها من الوجود البشري والعتاد العسكري. صحيح أن إيران توجعت كثيرا من الضربات الجوية والاختراقات الأمنية المهولة، لكنها استوعبت سريعا الضربات وبدأت برد الفعل الذي دمر أجزاء واسعة من المواقع الصهيونية، العسكرية والاقتصادية واللوجستية، على مساحة فلسطين المحتلة، وهو الأمر الذي أفقد نتنياهو توازنه وضغط، بفضل اللوبي الصهيوني على الإدارة الأمريكية للمشاركة المباشرة في العدوان، ما جعل الوجود العسكري في المنطقة أهدافا مشروعة للصواريخ الإيرانية.

أما الإمارات فتوجد قاعدة «الظفرة» الجوية، و«ميناء جبل علي» الذي توجد فيه قوات بحرية أمريكية ويمكنه خدمة حاملات الطائرات، بالإضافة إلى قاعدة «الفجيرة» البحرية التي تقدم خدمات في حال إغلاق مضيق هرمز.

وفي البحرين تقع قيادة الأسطول الخامس الأمريكي في قاعدة الجفير البحرية، ويوجد فيها عدة آلاف تقدر ما بين 5 آلاف إلى 9 آلاف جندي. كما توجد فيها قاعدة «الشيخ عيسى» الجوية، فضلا عن تسهيلات أخرى. وفي سلطنة عمان تقع قاعدتا «مصيرة» و«ثمريت» الجويتين. وفي السعودية تحصل الولايات المتحدة على تسهيلات عسكرية في القواعد العسكرية ومنها قاعدة «الأمير سلطان» الجوية وقاعدة «الإسكان» الجوية.

هذا الحجم الكبير من الوجود العسكري الأمريكي في منطقة الخليج يتم دعمه بالأساطيل وحاملات الطائرات التي يغص بها بحر الخليج العربي والبحرين الأحمر والمتوسط والمحيط الهندي، فضلا عن الأقمار الصناعية ودخول الذكاء الاصطناعي في ساحة العدوان المستمر. لذلك فأن الصواريخ الإيرانية التي انطلقت نحو الكيان يتم مواجهتها في أكثر من مكان في المنطقة قبل وصولها إلى سماء فلسطين المحتلة، ومع ذلك فعلت هذه الصواريخ فعلتها في بنية الكيان العسكرية والاقتصادية واللوجستية.

وضع الكيان الصهيوني هدفا في عدوانه تمثل في تخريب العلاقات الخليجية الإيرانية إلى ما قبل الاتفاق السعودي الإيراني برعاية صينية والذي أدى إلى تخفيف التوتر بين ضفتي الخليج، وجاء العدوان الأمريكي الصهيوني ليخلط الأوراق ثم يعيد ترتيبها لجهة خلق حالة جديدة من الخصومة الخليجية الإيرانية وزيادة جرعة الاصطفافات المذهبية والطائفية بما يخدم إستراتيجيات الكيان في السيطرة على المنطقة وتفتيتها.

خطر الديمغرافيا والطابور الخامس

يعتقد البعض أن المستهدف في العدوان فقط إيران، في حين أن المخطط الصهيوني المدعوم أمريكيا يهدف إلى تعميم اتفاقات إبراهام التطبيعية على دول مجلس التعاون الخليجي وخصوصا السعودية فضلا عن الدول العربية التي لا تزال تعارض التطبيع. لكن عين الكيان في المستقبل القريب شاخصة نحو الخليج العربي الذي يواجه اختلالات ديمغرافية خطيرة. تعاني دول مجلس التعاون الخليجي، التي يبلغ تعداد سكانها نحو 58 مليون نسمة، من أن المواطن أصبح أقلية في بلاده في أربع دول خليجية هي الإمارات وقطر والكويت والبحرين، بينما يشكل الوافدون في كل من السعودية وعمان نسبة مهمة. هذا الواقع خلق خواصر رخوة في الدول الست وإن بنسب متفاوتة، حيث بلغ عدد الوافدين في الإمارات النسبة الأكبر لتصل إلى 89 بالمئة من إجمالي عدد السكان الذي يبلغ أكثر من 11 مليون نسمة، تليها قطر بتعداد 3 ملايين نسمة ونسبة الوافدين فيها 87 بالمئة، فالكويت (5 ملايين نسمة) ونسبة الوافدين فيها 69 بالمئة، ثم البحرين (1.6 مليون نسمة) نسبة الوافدين فيها 51 بالمئة ثم عُمان (5.2 مليون نسمة) بنسبة وافدين تبلغ 40 بالمئة وأخيرا السعودية (35.3 مليون نسمة) بنسبة وافدين بلغت 39 بالمئة. وبلغت نسبة العمالة إلى إجمالي السكان 56.7 بالمئة، بينما بلغت نسبة الوافدين العاملين من إجمالي العمالة بدول مجلس التعاون 77.2 بالمئة، وفق إحصائيات المركز الإحصائي لدول مجلس التعاون الخليجي.

تشكل هذه المعطيات خطورة جدية على الاستقرار الاجتماعي والسلم الأهلي وتساعد على الاختراق الصهيوني للمجتمعات الخليجية التي تعاني من بيئة هشة تُمكِّن من ضرب إسفين في الوحدة الوطنية الداخلية وتؤسس بؤر توتر إضافية بين المكونات الرئيسية في الدول الخليجية الست. والكيان الصهيوني ليس بغافل عن هذا الواقع المختل وطبيعته الاستيطانية التوحشية المدمرة تقوده للتغلغل في هذه المجتمعات والعمل على تخريبها وتشكيل طوابير خامسة لخدمة أهدافه الخبيثة ووضع لبنات السيطرة إن استمر الوضع على ما هو عليه، حيث تكشفت في الآونة الأخيرة معلومات عن وجود طابور خامس صهيوني في صفوف العمالة الاجنبية يتجسس على إحدى الدول الخليجية. كما أنه بعد نظام «بيغاسوس» الذي يتجسس على اجهزة الهاتف، دخلت شركات آسيوية جديدة للتجسس على حركة الناس بعضها له صلة مباشرة مع جهاز الموساد الصهيوني.

وبخلاف موقف الشعب الإيراني الموحد ضد العدوان الأمريكي الصهيوني رغم الخلافات ووجود معارضات مهمة في الداخل الإيراني، فإن الخلل السكاني في دول مجلس التعاون يشكل نقطة ضعف كبيرة في حال وجود خضّات كبرى، وهي مرشحة لأن تحدث نظرا لما تتمتع به منطقة الخليج من أهمية الموقع الجيوسياسي والثروات النفطية التي تشكل أكثر من 20 بالمئة من إجمالي تدفقات النفط للأسواق العالمية. يضاف إلى ذلك وجود مضيق هرمز الذي تتشارك فيه إيران مع عمان وهو الذي تمر منه ناقلات النفط من الخليج للعالم، فضلا عن باب المندب الذي يقع تحت المسؤولية اليمنية.

إن العدوان الذي تعرضت له إيران على مدار اثني عشر يوما مرشح لأن يتكرر في ظل هشاشة اتفاق وقف إطلاق النار وطبيعة الكيان الصهيوني العدوانية التي تعتبر الصراع وجوديا مع إيران، وقد أعاد الرئيس الأمريكي تهديده بضرب المنشآت النووية الإيرانية إذا شرعت الأخيرة في استمرار عملية التخصيب. هذا يفرض على إيران تحديات في معالجة أوضاع الداخل الذي يعاني منذ الثورة في 1979 من حصار أمريكي وغربي مس عصب الاقتصاد والحياة المعيشية ناهيك عن الوضع السياسي. كما يفرض تمتين الجبهة الداخلية الخليجية بتعزيز الوحدة الوطنية في كل بلد خليجي عبر الانفتاح على المكونات والعمل على بناء الدولة المدنية الديمقراطية القائمة على التعددية السياسية واحترام حقوق الإنسان، والشروع في المشاريع الكبرى التي تقود للوحدة الحقيقية بين هذه الدول ومعالجة الخواصر الرخوة المتمثلة في اختلال الديمغرافيا، بما يقود إلى تحصين دول مجلس التعاون الخليجي من التدخلات الخارجية وعلى رأسها تدخلات الكيان الصهيوني.

قراءة في تحولات الموقف العربي من المواجهة الإيرانية مع إسرائيل

بسام عليان - كاتب اجتماعي وباحث سياسي فلسطيني - سورية

ألقت المواجهة العسكرية الإسرائيلية الإيرانية منذ ساعاتها الأولى في 13 حزيران/ يونيو 2025 بظلال كثيفة على الوطن العربي بأسره، نظراً لتأكد كافة البلدان العربية، خاصة تلك الواقعة في المنطقة العربية والخليج، من أنها سينالها جانب، زاد أو قل، مباشر أو غير مباشر، من ويلات هذه الحرب وأخطارها ونتائجها، خاصة كلما طال الزمن بالعمليات العسكرية بين الطرفين المتحاربين أو إذا تدخلت أطراف دولية أو إقليمية غير عربية أخرى أو تنظيمات عربية غير حكومية مسلحة بشكل مباشر في تلك المواجهات العسكرية المحمومة.

ولذا لم يكن من المستغرب أن يصدر بيان مشترك من 20 دولة عربية وإسلامية، وبمبادرة بدأت من مصر، في رابع أيام تلك الحرب، ولم يكتف البيان بإدانة الهجوم الإسرائيلي على إيران، والمطالبة بالوقف الفوري للعمليات العسكرية، بل ذهب أبعد من ذلك ليحدد موقفاً مشتركاً واضحاً وتفصيلياً تجاه ما يجب عمله لإنهاء هذه الحرب في أسرع وقت محدداً المعايير التي يجب أن تتبع في هذا السياق.

صحيح أن مجموع الدول العربية هو 22 دولة ومجموع الدول الإسلامية هي 57 دولة، من بينها الـ 22 دولة عربية، ولكن الواضح للعيان أن الـ 20 دولة التي اتفقت على إصدار بيان في 16 حزيران تمثل الكتلة الصلبة من الدول العربية والإسلامية بالذات، حيث توجد بينها دول مجلس التعاون الخليجي الست، ومصر والجزائر والعراق والأردن وليبيا وموريتانيا، وتعزز هذا الموقف بوجود دول إسلامية ذات ثقل، مثل تركيا، وهي طرف إقليمي قوي ومؤثر في منطقتنا العربية وأيضاً عضو في حلف الناتو الغربي، وباكستان، وهي دولة جارة لإيران.

وسنرى في الأيام القادمة تأثير هذا الموقف لتلك المجموعة الهامة من الدول العربية والإسلامية على الموقف الدولي، وإذا ما كانت المزيد من البلدان العربية والإسلامية، وبلدان الجنوب العالمي بصفة عامة، سوف تنضم للبيان والمواقف التي عبر عنها، مما يعمق من ثقل ما يدعو إليه البيان على أرض الواقع.

ونريد -هنا- قراءة التحولات في بعض المواقف العربية من هذه المواجهة المحتدمة -على الأقل حتى تحرير هذه المقالة- والتذكير بوقائع وأحداث نتصوَّر أنها ستساهم، بصورة أو بأخرى، في حصول تحولات في الوعي السياسي العربي والإسلامي وحتى العالمي. وإذا كانت الوقائع التي يُراكمها الزمن خلال تعاقُب سنواته تبدو، في مظهرها العام، مجرّد أحداث عابرة، إلا أن بعضاً منها تكون له نتائج صانعة لجوانب من خياراتنا ومواقفنا في السياسة وفي الثقافة.

كما أننا؛ سنحاول التطرق لمسارات بعض الدول العربية التي تقيم علاقات تطبيع عربية -إسرائيلية، وكيف من الممكن تحول مواقف تلك الدول من مسألة التطبيع مع الكيان الإسرائيلي. وماهية الرؤية الإسرائيلية -الصهيونية للتطبيع عربيًّا، وكيف تستغل ذلك لتحقيق الأهداف الإسرائيلية المتعلقة بالصراع مع الفلسطينيين واحتواء النفوذ الإيراني في المنطقة في حال تفوقها بهذه المواجهة؛ وكيف سيكون مآلها المصيري في حال التفوق الإيراني؛ وهذا ما يظهر للمراقبين الدوليين. وبالتأكيد فإن التطبيع كمشروع مملى على العرب إنما يستهدف تحقيق شرعية الكيان الإسرائيلي -الصهيوني وضمان هيمنته في المنطقة العربية، من خلال تفكيك الثقافة العربية وإضعاف مؤسسات العمل العربي القومي واستبدالها بمؤسسات إقليمية يكون لهذا الكيان الصهيوني فيها نفوذ مهيمن، حيث نشأ تيار عربي براغماتي يقيم توجهاته إزاء المشروع من منظار نفعي خالص دون النظر إلى الرموز القومية في الثقافة والحضارة و الهوية. ونحن -هنا - أمام

فعلٍ يملك القدرة على وَقْف مسارات في السياسة وإطلاق أخرى.

وبالمقابل؛ عندما نرى أن الجانب الإسرائيلي الصهيوني ما زال يصر على همجيته ونازيته وساديته في التعامل مع الفلسطينيين في غزة، رغم انشغاله بالمواجهة مع إيران؛ إلا أنه يعمل على إجهاض المشروع الوطني الفلسطيني (المقاومة)، وهذا الأمر؛ وللأسف يرتبط بأنظمة عربية تقوم اليوم بأدوار ترتبط أساساً بمصالح قِوَى أخرى، تاركةً مختلف الطموحات والآمال العربية جانباً؛ خاصة بعد ارتفاع مؤشرات التطبيع مقابل الانخفاض الملحوظ في أسهم المساندة الفعلية للقضية الفلسطينية، فقد تَمَّ السكوت والصمت المطبق على الاختراق الإسرائيلي -الصهيوني الحاصل في غزة منذ ما يزيد عن ال 20 شهراً.

نحن متأكدون أن الشعوب العربية كشعوب؛ فهي ما تزال شعوب نقية من الشوائب؛ فتبقى فلسطين هي القضية المركزية التي توحد الشعب العربي بأكمله، منتظرين من حكوماتهم إعادة تفعيل مشروع العمل السياسي والاقتصادي والاجتماعي والتنموي والفكري في دعم القضية الفلسطينية. وخاصة بعد البطولات والتضحيات التي يصنعها ويسطرها الشباب الفلسطيني المقاوم في غزة ومخيماتها؛ وفي مدن ومخيمات الضفة الغربية؛ منذ انطلاق طوفان الأقصى ومن قبله.

وهنا يقع على الدول العربية والإسلامية أن تنسى بعض الخلافات مع الجمهورية الإسلامية في إيران؛ وتحاول الخروج من بوتقة الهيمنة الأميركية والغربية والوقوف إلى الجانب الإيراني في هذه المواجهة الحاسمة؛ فعدو إيران وعدو الأمتين العربية والإسلامية هو هذا الكيان النازي السادي المجرم.

ويقع على القيادات العربية التأكيد أن المنطقة برمتها وعلى الصعد كافة، تمر بمنعطف خطير وظروف حساسة ودقيقة، وتتطلب قراءة عميقة وواعية لتداعياتها وأهدافها وآثارها القريبة والبعيدة، المرحلية والإستراتيجية، على الواقع العربي والإسلامي السياسي والاقتصادي والاجتماعي. ولعل من أهم القضايا التي تحتاج إلى إعادة نظر، هو طبيعة عمل المؤسسات العربية والإسلامية المشتركة.. إذ إننا نجد أن هيكلة هذه المؤسسات وطبيعة عملها وأدائها لا ترقى إلى مستوى الحدث اليومي أو التحدي الذي يواجه الواقع العربي والإسلامي.. بل في الكثير من الأحيان تكون طبيعة عمل هذه المؤسسات، أحد أسباب الاختلاف العربية والإسلامية. فبدل أن تتحول هذه الدول إلى حاضن حقيقي لكل أطراف الصراع القائم مع الكيان الإسرائيلي الصهيوني، وتحتضن المقاومة الوطنية الفلسطينية؛ من أجل النهوض بالعمل العربي الإسلامي المشترك، وقضيته المركزية.

فالتطورات الحالية التي تشهدها المنطقة اليوم متسارعة وخطيرة، إلا أنه ما يزال الأداء العربي والإسلامي الدبلوماسي والسياسي لا يرقى إلى مستوى التحديات التي تطلقها هذه التطورات.. وردود الأفعال التي يقوم بها النظامان العربي والإسلامي الرسميان، لا تمتلك إمكانية التأثير النوعي في مجريات التطورات والتحولات...

خاصة عندما نجد تمادي الكيان الصهيوني في إبادة المواطنين الفلسطينيين على أرض غزة؛ وتعمق مأزق هذه الجماعات حيث يمارس الكيان الصهيوني كل صنوف القتل والتدمير والإبادة والتهجير، ودول الوطن العربي بمؤسساتها وأطرها الوطنية والقومية تتفرج وتتعامل مع هذه الوقائع وكأنها نتيجة طبيعية لسوء الخيارات وعقمها التي تتبناها القيادة الفلسطينية الفاشلة في رام الله؛ دون أن تكلف حكومات الدول العربية نفسها عناء البحث عن رؤية مشتركة وإرادة قومية توظف كل الامكانات والقدرات المادية والسياسية للدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني؛ والتي في النهاية هي حقوق عربية وإسلامية وهي لا تستطيع أن تقوم بوظيفتها الإقليمية والقومية. حيث نجد أن واقعنا العربي بالأخص ينحدر إلى المزيد من التجزئة والتشظي والخلافات العميقة التي تتعدى بعض الأحيان الجسد الرسمي لتصل إلى الجسد الشعبي. وهذا الأمر يفاقم من أزمات الواقع العربي ومشكلاته، ويساهم في تباعد الخيارات والسياسات، مما يوفر لأعدائنا الفرصة السانحة للانقضاض علينا والاستفراد بنا وخاصة بعد هذه المواجهة مع الجمهورية الإسلامية في إيران.

وتثبت لنا الأيام؛ أننا نعيش في عالم لا يرحم، ولا مكان فيه للضعفاء، ولذلك إذا أردنا أن يكون لنا موقع تحت الشمس ونتمكن من الدفاع عن قضايانا العادلة، وعلى رأسها قضية فلسطين؛ وهي قضية الأمتين العربية والإسلامية بأسرهما؛ وإنجاز تطلعات وطموحات شعوبنا، نحن أحوج ما نكون اليوم إلى تفعيل دور المؤسسات العربية والإسلامية المشتركة. وفي إطار استعادة الاعتبار إلى المؤسسات المشتركة على الصعيد الوطني والإقليمي والقومي، لا بد من التأكيد على النقاط التالية: من الضروري بيان حقيقة سياسية ودولية وإنسانية، وهي أن استمرار حالة التجزئة والتشظي والتشتت العربي والإسلامي، يكلف جميع الدول الكثير من الأثمان السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدولية. إذ أن العالم الإنساني اليوم وبكل شعوبه وأممه يتجه بخطى متسارعة نحو التكتل والاندماج وزيادة وتائر التعاون والتضامن. وإننا كعرب ومسلمين إذا لم نخط الخطوات النوعية في هذا السبيل، فإن هذا يعني على المستوى العملي المزيد من الضعف والعجز وضياع الفرص والحقوق؛ بل سيؤدي إلى ضياع هويتنا العربية وعنوانها الإسلامي أمام العالم. وهذا التطوير بطبيعة الحال، لا يتحقق دفعة واحدة، وإنما هو بحاجة إلى عمل متواصل ومتراكم، يتجه إلى تعزيز كل ما يفضي إلى المزيد من التفاهم والتعاون والتضامن في مختلف المجالات وعلى جميع المستويات.

وهذه الظروف تستدعي منا جميعاً العمل النوعي والإستراتيجي، الذي يعيد ترتيب وإصلاح البيت العربي والإسلامي والفلسطيني على وجه الأخص على الصعد كافة.

متى يتدخل حزب الله بمواجهة التخويف والتهويل الإسرائيلي..
بعد انتهاء العدوان على إيران

حمزة البشتاوي – كاتب وإعلامي فلسطيني ـ لبنان

انتهت الجولة، لكن لم ينته الصراع، وما زالت المنطقة تترقب بحذر شديد التداعيات والمخاطر والخوف من عودة التوتر في أكثر من جبهة ودولة خاصة في قطاع غزة وجنوب لبنان، وهذا الترقب والحذر يضع المنطقة برمتها على صفيح ساخن، في عصر يحكم فيه دونالد ترامب أقوى دولة في العالم، وبنيامين نتنياهو أسوء كيان في العالم.

وبعد انتهاء العدوان على إيران، يستمر التخويف والتهويل المصحوب بالخروقات الإسرائيلية لوقف إطلاق النار.

وقد صدرت من لبنان مواقف أثناء العدوان على إيران أكدت على حكمة وشجاعة المقاومة التي أعلنت عن وقوفها إلى جانب إيران التي لم تتخلى يوماً عن لبنان ووقفت دائماً معه ومع المقاومة في كل المراحل مع التأكيد على حرصها الشديد على مصالح لبنان العليا ومصالح اللبنانيين الذين كانوا ينظرون إلى الحرب باعتبارها حرباً مصيرية أكدت في مجرياتها على ثابتتين، الأولى: أن (إسرائيل) مجرد ثكنة أطلسية تتحطم تحت الصواريخ الإيرانية الثقيلة، والثانية: أن الولايات المتحدة بكامل ثقلها وترسانتها قامت بضربة إستعراضية للمنشآت النووية الإيرانية، بلا نتائج إستراتيجية بل لشراء الهيبة التي سقطت أمام الرد الإيراني على قواعدها العسكرية في المنطقة وصولاً إلى إعلان ترامب وقفاً لإطلاق النار.

وعلى صعيد لبنان هناك تقديرات سياسية تتحدث عن أن إيران لم تطلب أي دعم من المقاومة في لبنان، بل أن الإسرائيليين هم الذين احتاجوا إلى الدعم من كل الحلفاء وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية، بعد ضرب وانكشاف جبهتهم الداخلية وتدمير عدد كبير من القواعد والمراكز العسكرية والأمنية خاصة في تل أبيب وحيفا والنقب، وتضيف هذه التقديرات بأن خطر قيام الاحتلال الإسرائيلي بعدوان واسع على لبنان، هو مكمن الخطر في ظل الخروقات والحشود العسكرية على الحدود مع لبنان، مع احتمال قيام الاحتلال الإسرائيلي بهجوم بري يستهدف الأراضي اللبنانية بعد الفشل طيلة 66 يوم، وبحال حصول هذا الهجوم سوف تتدخل المقاومة التي ما زالت تملك القدرات العسكرية اللازمة للتصدي والدفاع، وقد تغادر مربع الصبر الإستراتيجي كما فعلت إيران ولكنها الآن ملتزمة بالقرار الرسمي واعطاء الدولة اللبنانية فرصتها للحل السياسي بدعم من المقاومة من أجل إنهاء الاحتلال الإسرائيلي لمناطق في جنوب لبنان.

والمقاومة في لبنان لم تكن على الحياد في الحرب بين إيران وكيان الاحتلال والإدارة الأمريكية، بل وقفت إلى جانب إيران وقيادتها وشعبها وفق ما تقتضيه المصلحة في مواجهة العدوان وما رافقه من تصعيد جنوني غير محسوب، وهو ما شكل خطراً كاد أن يدفع المنطقة والعالم نحو المجهول، ولكن إيران استطاعت أن تضع حداً له وتردعه حين قاتلت بثبات ودون دعم من أحد.

وفي سياق المواجهة أصدرت المقاومة في لبنان مواقف بعيدة عن المنطقة الرمادية كما فعل البعض ووقفت مع الحق بوعي كبير بمواجهة عمليات التخويف والتضليل وزرع الشك والخوف والتردد في قلوب الشعوب الحرة التي تنظر إلى تل أبيب اليوم وهي تعيش تحت أنقاض الصواريخ الإيرانية الثقيلة ويهدف التهويل والتخويف الإسرائيلي الأمريكي إلى نشر الذعر والهلع في لبنان والمنطقة، لكن الخوف الحقيقي الأكبر هو لدى الإسرائيليين الذين أصبحوا ينظرون إلى كيانهم بأنه يتحول إلى كيان غير قابل للحياة والاستمرار لولا دعم الولايات المتحدة والغرب، وأما المقاومة التي لا تقف على الحياد في الصراع ما بين الحق والباطل، ستبقى في خط المواجهة مع الاحتلال دفاعاً عن النفس والحق والوجود، مهما طال الزمن وعظمة التضحيات.

سوريا على خريطة الطاقة العالمية في لعبة الأمم منطقة عبور أم مركز نفوذ؟

عزيز موسى ـ كاتب وباحث في الشؤون الأمنية والدولية ـ سورية

لم تكن سوريا على خارطة الغاز العالمية كدولة منتجة لعقود مضت، لكنها دون شك مفتاح جيو استراتيجي بالغ الأهمية في صراع وتنافس مشاريع أنابيب الطاقة بين الشرق والغرب، إذ تتقاطع على طول حدودها مشاريع وخطوط النقل الطاقوية التي تقودها مصالح إقليمية ودولية متنافسة، ترى في الأراضي السورية إما ممراً حيوياً لخطوط نقل الغاز والنفط أو ساحة لتعطيل خطوط الخصوم.

خلال العقدين الأخيرين شكّلت سوريا نفطة استقطاب هامة للشركات الدولية والقوى الطامحة للاستثمارات في قطاع الطاقة، إلّا أن التحولات السياسية الكبيرة التي مرت بها البلاد منذ عام 2011 عكست تداخل أطراف القوى الفاعلة وانعدام الاستقرار والأمن، إضافة إلى رغبة النظام السوري السابق بأن يكون قطاع الطاقة كورقة رابحة بالنسبة له، لمحاولة عودته للاندماج في البيئة الإقليمية والدولية واستغلالها كنقطة استقطاب جاذبة، لا سيما في ظل وجود عقود سابقة تم توقيعها مع شركات روسية للاستثمار في الغاز والنفط والفوسفات.

بين الحقائق والأرقام

امتلاك سوريا لاحتياطات هائلة من الغاز وموقعها الجيوسياسي المهم في قلب الشرق الأوسط كنقطة اتصال بين آسيا وأوروبا وخطوط النقل والإمداد يمكنها من لعب دور واسع في حال تم استثماره، إذ أن إطلالة سوريا على « حوض المتوسط» يمنحها أهمية بإشرافها على واحد من أغنى حقول الغاز في العالم ، إذ يحتوي الحوض الذي يضم مجموعة من الدول بينها سوريا على 122 تريليون متر مكعب من احتياطيات الغاز إضافة إلى 1.7 مليار برميل من النفط، وتبلغ حصة سوريا من الاحتياطيات في مياهها الإقليمية ب « 40 تريليون متر مكعب»، إضافة لتقديرات بوجود احتياطيات أخرى في مناطق اليابسة تقدر بنحو «20 تريليون متر مكعب» وفقاً لهيئة المسح الجيولوجي الأميركية ، مما يفتح الباب واسعاً أمام شراكات إقليمية ودولية هامة خاصة في ظل رفع العقوبات وتخفيفها، والمشاركة في عملية البناء بما يضع سوريا أمام العديد من الخيارات في ظل واقع مرهون بالتحالفات وتشابكات العلاقات المصلحية، خاصة أن قطاع النفط والغاز كان يشكل 18% من حجم الناتج المحلي الإجمالي في عام 2010، أي قبل اكتشاف الاحتياطيات الضخمة أو استثمارها.

مفترق الأنابيب وميدان التنافس والصراع على الغاز

لم تعد سوريا مجرد نقطة التقاء أو تنافر للمصالح السياسية والعسكرية، بل تعدت ذلك أيضاً لتشمل خرائط الطاقة التي ترسم بأدوات تتفاعل بها دول الإقليم والقوى الكبرى مع بعضها، وسط واقع تتقاطع فيه الجغرافيا مع الجيولوجيا وتخلط فيه الدماء بالبترول والنار، خلف الدخان الكثيف تنخفى خريطة الطاقة وخاصة الغاز الذي لم يعد عنصراً هامشياً في المشهد السوري، بل بات أحد محاور الصراع غير المعلنة بين أطراف متعددة تسعى جميعها للسيطرة على طرق الإمداد والأوسواق المستقبلية.

اتسم قطاع الطاقة السوري بوجود شركات أوروبية وصينية وهندية كانت فاعلة في مجال استثمار الغاز والنفط أهمها (توتال، شيل) واللتان توقفتا عن الاستثمار منذ عام 2011 في حقول شرق سوريا، لتظهر عام 2013 شركة « سويز نفت الروسية» التي وقعت عقداً مع الحكومة السورية آنذاك لمدة 25 عاماً بالحصول على امتياز يغطي مساحة 2190 كم مربعا من المربع البحري رقم 2 للشواطئ السورية، إلّا أن هذه الشركة توقفت عن العمل عام 2015، وهنا يبرز حجم الاهتمام الروسي بقطاع الطاقة السوري وخاصة الغاز والفوسفات منعاً لأية مشاريع مستقبلية قد تهدد خطوط الإمداد الروسية إلى أوروبا، هذا الوضع الذي بات مختلفاً بعد سقوط النظام السوري وانفتاح الإدارة السورية الجديدة على الشركات الأوروبية والعربية في عمليات الاستثمار، مما يفرض بدوره على موسكو حسابات أمن الطاقة الجيوسياسية والذي قد يمسها بشكل مباشر.

تبرز أيضاً المصالح التركية التي سارعت بعد أقل من شهر من سقوط النظام إلى طرح ملف ترسيم الحدود البحرية لما يحمله هذا الموضوع من أهمية استراتيجية تتشابك فيا المصالح بين القوى لكبرى والدول المتشاطئة على البحر المتوسط وهي منطقة كانت سوريا خارج حساباتها، فأهمية « المياه الاقتصادية السورية» بالنسبة لتركيا تأتي بسبب اعتماد الأخيرة على الغاز كمصدر رئيس للطاقة تسعى دائماً للحصول عليه ضمن مفهوم « الوطن الأزرق» في المدرك الاستراتيجي التركي الذي يشير إلى المياه الاقتصادية التركية في البحار المحيطة بها، وضرورة استثمارها بما يقلل التكاليف ويكون أيضاً وسيلة ضغط سياسية على قوى أخرى وهذا ما يفسر الاندفاع التركي للعب دور في إعادة تطوير صناعة النفط والغاز في سوريا، فضلاً عن وجود مذكرة تفاهم سابقة بين سوريا وتركيا حول مد خط الغاز العربي الذي ينطلق من مصر مروراً بالأردن ومن ثم سوريا ولبنان، وعدم تنفيذ هذه الخطة بسبب إلغاء العقد مع الشركة الروسية.

من جهة ثانية برز الحديث عن مشروع خط الغاز القطري الذي يمكن أن يمتد مروراً بسوريا وصولاً إلى أوروبا، إلّا أن الفكرة باتت مؤجلة أو قد يتم نفيها وذلك نظراً إلى التكاليف العالية للمشروع، واعتماد قطر في الوقت نفسه على الغاز المسال باعتباره أقل تكلفة من فكرة المشروع التي تم طرحها سابقاً.

كما تبرز المصالح الأوروبية التي ترى في استقرار سوريا وبدء الاستثمارات خاصة في قطاع الطاقة فرصة هامة لتحقيق مكاسب وهذا ما عبرت عنه القمة الرئاسية التي عقدت عبر تطبيق زوم في 28 مارس / آذار 2025 وجمعت كلاً من (فرنسا، سوريا، لبنان، قبرص، اليونان) والتي ركزت على مسألة ترسيم الحدود بما يعبّر عن الرؤية الفرنسية الممثلة لأوروبا بالاستفادة من مشاريع الطاقة خاصة الغازية بما يقلل الاعتماد مستقبلاً في حال العمل بها على الغاز الروسي.

هل يكون الغاز السوري على خارطة المصالح الأميركية بين الشراكة والرهان؟

لا شك أن قطاع الطاقة في سوريا يمثل نقطة استقطاب هامة ضمن بنية تتشابك فيها تعقيدات التنافس، من هنا يبدو الاهتمام الأمريكي الذي يمكن من خلاله إدارة فاعلية تأثير ملف الطاقة على المنطقة ضمن المدرك الجيوسياسي للولايات المتحدة، وهذا ما عبّر عنه رجل الأعمال الأمريكي جوناثان باس المدير التنفيذي لشركة « أرجنت» للغاز الطبيعي أثناء زيارته سوريا ولقائه الرئيس أحمد الشرع في أوائل أيار / مايو 2025، إذ طرح إمكانية تولي شركات أميركية إعادة تأهيل وترميم حقول النفط والغاز في شمال شرق سوريا وإعادة تشغيلها، وإنشاء صندوق سيادي سوري تكون حصة سوريا 30% فيه ويطرح أسهم مدرجة قابلة للاستثمار بنسبة 70%، فيما طرح الرئيس الشرع خطة تشابه « مشروع مارشال» تقوم على إعطاء الأولوية للشركات الأميركية و الأوروبية الاستثمارات في قطاع الطاقة على حساب الصين ونفوذ قوى أخرى في البلاد، إلّا أن التحدي الأساسي هو إقناع واشنطن بإمكانية ألا تكون سوريا منصة لتصدير الجماعات الإرهابية إضافة إلى تقديم ضمانات أمنية.

كما لا يقل الاهتمام الإسرائيلي بملف ترسيم الحدود وارتباطه بالطاقة عن غيره، إذ تسعى إسرائيل إلى التسريع باتفاقيات التطبيع وترسيم الحدود البحرية مع كل من سوريا ولبنان لما تشكّله هذه الخطوة من أهمية اقتصادية يمكن من خلالها إنشاء مشاريع أوسع في حوض المتوسط تمكن من إمداد الغاز إلى أوروبا أو مناطق أخرى من العالم.

مع ما تملكه سوريا من موقع جغرافي فريد واحتياطيات طاقوية في « المياه الاقتصادية السورية»، يمكن أن تخرج تدريجياً من هامش خريطة الطاقة العالمية لتفرض نفسها كعنصر أساسي في التنافس الإقليمي والدولي على موارد الغاز والنفط. فهي تتوسط عقدة جغرافية حيوية تمر بها مشاريع أنابيب كبرى، وتحتضن كميات ضخمة من الغاز لم يُستفد منها بعد، ما يجعل منها أرضاً خصبة لفرص استثمارية مستقبلية تنتظر الاستقرار والقرار، فالموقع الذي يتوسط مفترق طرق الطاقة، والاحتياطيات الضخمة غير المستثمرة بعد، يجعلان من سوريا أرض الفرص المؤجلة وميداناً رحباً لمشاريع الاستثمار المستقبلية. وفي الوقت الذي تسعى فيه القوى الكبرى لإعادة رسم خريطة النفوذ في شرق المتوسط من بوابة الطاقة، تبقى سوريا مركز تقاطع للمصالح الاقتصادية والأمنية، وبيئة محتملة لتحالفات جديدة يعاد فيها ترتيب الأولويات والمصالح وفقاً لمعادلات تتجاوز السلاح والصراع.

إن تحقق استقرار سياسي حقيقي، وتخفيف القيود والعقوبات، وتوفير حدّ أدنى من الضمانات الأمنية، يمكن أن يفتح الباب أمام مرحلة جديدة تضع سوريا في موقع الشريك لا الممر، وفي قلب صناعة الغاز لا على هامشها. إنها لحظة نادرة تعطي لسوريا فرصة أن تعود إلى المشهد الدولي من نافذة التنمية لا الدمار، وأن تبني علاقاتها من جديد على أسس المصالح والطاقة، لا على أنقاض الحروب والمواجهات.

العدوان على إيران ينسف مقولة «أمريكا أولاً»

محمد صوان ـ كاتب سياسي فلسطيني ـ تركيا

عند كتابة هذه الأسطر كان ولا يزال التصعيد العسكري سيّد الموقف في المنطقة بظل غياب أي تحرّك إقليمي أو دولي واضح يلجم العدو الصهيوأمريكي الذي يواصل تصعيد عدوانه, مهدداً بـ»إحراق طهران» بالتوازي مع شن غارات إضافية وتنفيذ اغتيالات جديدة لنخبة علماء ومسؤولين عسكريين إيرانيين, في المقابل فإن طهران بدأت الرد بموجات متتالية من القصف بالصواريخ والمسيّرات النوعية, وهي تتوعّد بالمزيد من الضربات العسكرية المؤلمة والكبيرة ضد «إسرائيل», وتحذّر حلفاء الأخيرة, ولا سيّما واشنطن من التورط المباشر عبر أساطيلها المتمركزة في المتوسط والمحيط الهندي !.

اعتبرت طهران أنه لا مبرر لاستمرار المفاوضات حول ملفّها النووي مع واشنطن.. فيما بدأ نوّاب برلمانيون إيرانيون الحديث عن «إغلاق مضيق هرمز الإستراتيجي».. وبهذا بدا المشهد متجهاً لمزيد من المواجهات العسكرية، من دون أي أفق واضح لإمكانية انتهائها، خاصة في ظل الإصرار الصهيوأمريكي على مواصلة الضربات وغياب أي دور وسيط فاعل يمكن أن يؤدي إلى تهدئة هذه الحرب المفتوحة على كل الاحتمالات !الحرب ترجئ مؤتمر فلسطين الدولي:

شكّل العدوان الصهيوأمريكي السافر على إيران نكسة جديدة لمحاولات فرنسا والترويكا الأوروبية، الدفع نحو الاعتراف بالدولة الفلسطينية، وعليه أرجئ مؤتمر دولي تم التحضير له منذ أشهر في نيويورك.

اندلعت المواجهات خلال انعقاد مؤتمر باريس يوم 2025/6/13 لمؤسسات من المجتمعين المدنيين الفلسطيني و» الإسرائيلي» تنشط في مجال السلام، وكان من المفترض أن يحضر الرئيس الفرنسي ماكرون الجلسة الختامية للمؤتمر، الذي هدف إلى تحفيز الزخم قبل مؤتمر دولي آخر برعاية سعودية – فرنسية كان مزمعاً عقده بين 17 و20 حزيران 2025 في مقر الأمم المتحدة بنيويورك، ويهدف إلى» الاعتراف بالدولة الفلسطينية في إطار حل الدولتين».

إن اندلاع الحرب في الشرق الأوسط صباح 2025/6/13، حال دون مشاركة ماكرون شخصياً في مؤتمر باريس، فترأس الجلسة الختامية وزير الخارجية الفرنسي جون بارو!.

شهد المؤتمر الذي امتد لثلاثة أيام، كلمات وحوارات مهمة، فقد أطلق ناشطو سلام «إسرائيليون» نداءات علنية قوية لإنهاء الحرب والحصار على غزة، وذهب بعضهم إلى وصف ما يحدث «إبادة جماعية» و»جرائم حرب» ودعا هؤلاء – بمن فيهم إسرائيليون – الدول الأوروبية إلى مقاطعة حكومة نتنياهو، وأشادوا بالقيود التي فرضتها بعض الدول الأوربية على الوزيرين من اليمين القومي الديني المتطرف سموتريتش وبن غفير !..

مأزق الرئيس الأمريكي ترامب:

يواجه الرئيس الأمريكي ترامب انقساماً داخل حزبه بشأن الملف الإيراني.. بين من لا يريدون أن تنخرط

واشنطن في الحرب، ومنهم المتمسكون بمقولة «أمريكا أولاً»، وبين صقور الحزب التواقين منذ سنوات لضرب إيران !..

لقد استخدم ترامب خلال المفاوضات النووية التي بدأها فريقه مع طهران يوم 2025/4/12 لغة التهديد باستخدام القوة إذا لم يتوصل الطرفان إلى اتفاق تضغط واشنطن لتوقيعه بشروطها، وأولها منع طهران من تخصيب اليورانيوم، وهو ما ترى فيه القيادة الإيرانية «ليّ ذراع» وحرمان البلاد من قدراتها، فضلاً عن قناعة المرشد خامنئي: «أن القدرات النووية السلمية لإيران مكسب قومي ينبغي المحافظة عليه «!

في الوقت الذي كانت إيران تتحضر للرد على نقاط اقتراح أمريكي.. بمقترح مواز، وتحديد موعد لجولة سادسة من التفاوض، جاء العدوان الصهيوأمريكي المباغت لينسف أي محاولة لاستكمال التفاوض، خصوصاً أن ترامب بدا وكأنه يضغط على نتنياهو لمنعه من ضرب إيران وإفشال المفاوضات.. ترامب هذا لم يخفِ دعمه للضربات الإسرائيلية التي صنّفها بـ «الممتازة «، كما هدد إيران بلغة اتسمت بالشماتة والتشفّي، بأنها إذا لم تقبل بالعرض الأمريكي فإن «شيئاً لن يتبقى منها»، متوعداً بضربات أكثر عنفاً!

ردّت إيران بتصريح لوزير خارجيتها السيد عراقجي يوم 2025/6/20: «أن طهران التي استهدفت الأراضي المحتلة بهجمات صاروخية رداً على الضربات الإسرائيلية ستكثف هجماتها على إسرائيل وستستهدف كذلك القواعد في المنطقة لأي دولة تحاول حماية كيان الاحتلال «!

رغم عدم التكافؤ العسكري والتكنولوجي والاستخباري الواسع بين الطرفين، فإن طهران لطالما لوّحت بأوراق قوة لديها ومنها «إغلاق مضيق هرمز» وضرب القواعد والمصالح الأمريكية في المنطقة، غير أن واشنطن -مع هذا التصعيد عالي المخاطر-، تحاول التظاهر بأنها «تنأى بنفسها» عن العدوان، علماً أنه بسلاح ودعم استخباري وتقني أمريكي يستمر هذا العدوان الغاشم !..

الكثير من المراقبين يرون أن ترامب وضع نفسه اليوم، في مواجهة متغيّر كبير للسياسة الخارجية التي وعد بها الشعب الأمريكي وعنوانها «أمريكا أولاً» إلا أنه منح إسرائيل ما لم يمنحها أي رئيس أمريكي آخر، ويتعامل مع العدوان وكأنه مفروض على «إسرائيل» التي تقوم -حسب اعتقاده- بمهمة «إنقاذ البشرية» من خطر امتلاك إيران القنبلة النووية فالمهمة كما يصورها «مقدّسة» لكن يقابلها في واشنطن والعواصم الأوروبية، تصاعد المخاوف من خطوة متهورة «ليست نزهة» حيث ترتسم سيناريوهات عدة للمشهد القادم، منها أن يطول الصراع ويتحول إلى إقليمي أوسع، ومنها جر الجيش الأمريكي مباشرة إلى أرض المعركة !.

الانتخابات الأمريكية النصفية قريبة:

حسب صحيفة نيويورك تايمز يوم 2025/6/20، فإن الحزب الجمهوري منقسم بشأن الملف الإيراني.. وكتبت الصحيفة: «إن ترامب يواجه انقسامات داخل حزبه، فمن جانب، هناك المتعقّلون الذين يخشون أن تنجر واشنطن إلى حرب جديدة في الشرق الأوسط، ومن جانب آخر هناك الصقور المتشددون حيال إيران وداعمو إسرائيل الذين يدعون منذ سنوات لمثل هذه الحرب «وبحسب الصحيفة: « يبدو ترامب عالقاً بين الطرفين ويتحرك يمنة ويسرى، محاولاً عدم التورط المباشر، وفي الوقت نفسه الاحتفال بنجاح الهجمات وتحذير طهران من القادم «!.

لكن مجلة فورين بوليسي رأت في تحليلين لها في اليوم التالي، أن العدوان الصهيوأمريكي يتخطى القدرات النووية الإيرانية، وبحسب الكاتب ستيفن كوك، فإن: «إسرائيل تريد أن توجّه ضربة قاضية لما يتعارف عليه بمحور المقاومة بعد أكثر من عشرين شهراً من الحرب على غزة»، واعتبر الكاتب: «أن الحرب ليست حول منشأة نووية، إنها حول تغيير النظام في إيران»، ولذلك يرى المعارضون من قاعدة ترامب، أن الهجوم وموافقة ترامب عليه يتعارض مع أجندته «أمريكا أولاً» وبحسب الناشط داخل حركة « maga « تشارلي كيرك: «إن رسائل البريد التي تصله وتعارض الضربة الإسرائيلية هي بنسبة 99 مقابل رسالة واحدة موافقة «.

- يرى ستيف بانون، المستشار السابق لترامب: «أن آخر الكلام هو، لا يمكن أن ننجر بطريقة لا مفر منها إلى حرب على الأرض الأوراسية في الشرق الأوسط أو في شرق أوربا « ، في إشارة للحرب الروسية الأوكرانية!.

- بعد مرور عشرة أيام على العدوان، كثيرون في واشنطن والعالم باتوا يعتقدون أن الأمور أصبحت في مكان آخر، ويحتد النقاش حول احتمالاته وآفاقه، فالمواجهة في معظم القراءات والتحليلات هي فيلم طويل -هذه المرة، وليس من المتوقع نهاية لها قبل «أشهر عدة»، بحسب المستشار السابق ستيف بانون، وربما أطول، ومرهون مداها بـ «الغرض المراد تحقيقه منها» أما وزير الدفاع الأمريكي الأسبق ليون بانيتا فيرى: «إن تدمير المنشآت النووية الإيرانية صعب». في غياب القدرات العسكرية المطلوبة مثل القنبلة الخارقة، وفي تعريف العسكريين هي «حرب وقائية « تنطوي عموماً على مخاطر تعميق وإطالة أمدها، ومن الاحتمالات المرجحة أن يمتد الصراع إلى «حرب إقليمية أو فوضى أمنية إقليمية «!

وللحيلولة دون ذلك، يدعو فريق من الجمهوريين التقليديين الذين رحبوا بالضربة و»شكروا نتنياهو» إلى ضرورة العمل على إسقاط النظام الإيراني، وإذا كان الهدف «بعيد المنال»، لا يرى البراغماتيون مثل «ليون بانيتا» سوى العودة إلى التفاوض مخرجاً من هذه المواجهة المفتوحة.. ومثل هذا الخيار مرهون إلى حد بعيد بقرار الرئيس ترامب الذي تشكّل الحرب «اختباراً» له، حيث تسير الإدارة الأمريكية على حبل مشدود بين التهدئة والحرب الواسعة المفتوحة !

من اتخذ قرار الحرب على إيران! ولماذا؟

حاتم إستانبولي ـ كاتب سياسي فلسطيني ـ القدس

في مدينة ستوكهولم عقد ما بين ١٢- ١٥ حزيران الاجتماع السنوي لمجموعة بلدربيرغ التي تضم في عضويتها أقوى الشخصيات السياسية والاقتصادية والإعلامية والمالية .

مجموعة بلدربيرغ يمكن اعتبارها منظمة عالمية تحظى بحماية الحكومات الغربية أنشئت عام ١٩٥٤ من أجل تعميق التحالف الرأسمالي ما بين أوروبا وأمريكا الشمالية ومنع نشوب حرب عالمية جديدة ما بين الدول الرأسمالية ما بعد الحرب العالمية الثانية .

المدقق في أهدافها من خلال مراجعة ما أمكن من معلومات متفرقة مسربة عن اجتماعاتها وأهدافها فإنها تعتبر نفسها حكومة العالم السرية وهي التي تضع السياسات العامة والأفكار للحكومات الغربية.

وتضم نواتها الصلبة ستة عشر عضواً من بينهم ديفيد روكفلر وهنري كيسنجر وكارل بيلت (سياسي سويدي) وروبرت مردوخ مالك المجموعة الإعلامية الأمريكية. واللافت للانتباه عند البحث عن أسماء تسعة من المدرجين تحت عنوان النواة الصلبة فلا تجد لهم أي أثر أو معلومة خاصة بهم (على موقع ويكيبيديا).

ومن أهم متطلبات العضوية أن تكون معادياً للسامية ومؤيداً للصهيونية .

الواضح من الإجراءات الأمنية المشددة المتخذة عند انعقاد المؤتمر السنوي للمنظمة أنها تحظى بحماية من الحكومات الغربية بالرغم من أنها منظمة أو مجموعة غير مسجلة بالمعنى القانوني ولا تصدر عنها أي وثائق رسمية أو تصريحات حول فحوى مؤتمراتهم أو نشاطاتهم بالرغم من أن هناك لجنة دائمة لها هي التي تقوم بالاتصال واختيار الحضور السنوي للشخصيات التي تشارك من خارج العضوية الأصلية.

وقد عرف من بين المدعوين شخصيات من شركات مثل آي بي إم (IBM) وزيروكس ورويال داتش شل.

كما ضم اجتماع 2009 الذي عقد في أحد فنادق العاصمة اليونانية أثينا شخصيات مثل بياتريس ملكة هولندا وصوفيا ملكة إسبانيا ورؤساء وزراء اليونان وفنلندا ووزير الخزانة الأمريكي ورئيس الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي ورئيس البنك الدولي ورئيس المفوضية الأوروبية والسياسي العالمي سمير سفر وقد تابع المذيع أليكس جونز العديد من اجتماعاتهم وصور لقطات للحاضرين ويؤكد هذا الشخص أن هيلاري كلينتون كانت من المدعوين لمؤتمر سنة 2009 في أحد الأفلام الوثائقية الخاصة به.

أوردت هذه المعلومات في المقدمة لفهم أهمية دور هذه المنظمة في تحديد السياسات الخاصة بالحكومات الغربية وتوابعها وملحقاتها من رؤساء وملوك موظفين من خارج العالم الغربي.

يبدو أن قرار الحرب على إيران اتخذ في هذا الاجتماع ونفذ بشكل مباشر من قبل حكومة نتنياهو, قرار الحرب على إيران الذي نفذه نتنياهو هو قرار أبعد

وأعمق وأوسع مما يشاع عنه بأنه يهدف إلى احتواء أو إنهاء النظام في طهران.

إنه مقدمة لإعادة ترتيب أوسع للنظام الرأسمالي العالمي وهو يسير بشكل تدريجي متصاعد بوتيرة فلنسرع ببطء في تقويض الجدران التي بنيت لتِعيق السيطرة المطلقة للمنظومة الرأسمالية الغربية التي وضعت دعائمها ما بعد الحرب العالمية الثانية والتي بدأت تواجه تحديات جدية لتقويض هيمنتها من قبل تجمعات بديلة (بريكس) وسياسات شاملة وطنية تواجه النموذج الرأسمالي الصهيوني السائد .

إن ما تشهده الدول الغربية ما بعد السابع من أكتوبر ٢٠٢٣ من انتقال تدريجي في الوعي الشعبي الذي بدأ يدرك الدور الإجرامي لإدارة الرأسمالية الصهيونية (إسرائيل) ويطالب بوقف دعم أفعالها الإجرامية في إشارة إلى دور حكوماتهم التي تعمل بدرجة موظفين من الفئة الأولى في خدمة وتغطية الأفعال القذرة التي تنفذها إسرائيل وجيشها الصهيوني في فلسطين .

هذا التغيير في الوعي الشعبي كان أحد أبرز الأسباب للقرار المغامر غير الشرعي بإعلان الحرب على إيران من أجل تحويل الانتباه عما يجري من مجازر وحشية في قطاع غزة والضفة الغربية.

السبب الرئيسي الثاني هو سبب متجدد يهدف إلى إجهاض أية محاولات وطنية تحررية تهدف إلى الخروج من تحت العباءة الغربية عبر تطوير الإمكانيات الوطنية والاستثمار في عملية الإنتاج والتصنيع والتطوير التكنولوجي في كافة المجالات فقد بدؤوا بمصر التي أنشأت صناعة وطنية عامة في الفترة الناصرية مروراً بليبيا التي حاولت أن تعمم الدينار الذهبي الأفريقي في خطوة كانت تهدف إلى إعادة بناء اقتصاديات الدول الأفريقية وتخرجها من تحت السيطرة الاستعمارية غير المباشرة إلى العراق الذي أسس لبناء دعائم معرفية وعلمية لنهضة وطنية في كافة المجالات إلى سوريا التي كانت استثناء في البناء الصناعي والزراعي والعلمي الوطني.

أما عن إيران فإن الحرب عليها كان لأهداف مركبة ومتداخلة بين الوطني والاقتصادي والسياسي والديني.

اقتصادياً شكلت إيران تحدياً في إدارة اقتصاد الحرب في كافة المجالات وتجاوز كافة الصعوبات التي فرضت عليها عبر العقوبات الشاملة المتتالية منذ انتصار الثورة الإيرانية وبنت اقتصاداً وطنياً يعتبر نموذجاً لاقتصاد المواجهة معززاً ببنية علمية تكنولوجية وطنية.

سياسياً حددت إيران منذ انتصار الثورة أن عدوها الوحيد هو الكيان الصهيوني رأس حربة الشيطان الأكبر ونقلت موقف إيران من حليف للغرب وإسرائيل إلى عدو لدود لهما ونسجت جسوراً مع شعوب المنطقة التي تحمل البعد السياسي ذاته في موقفها لعدوانية إسرائيل المدعومة من الغرب وفي مقدمتها حكومة الولايات المتحدة هذا التلاقي وضع الحكومات العربية في تصادم مع شعوبها وقرأت في الموقف الإيراني على أنه تحريض على مواقفها التطبيعية مع إسرائيل العدوانية المجرمة وكشفت العلاقة العضوية مع إسرائيل في إطار المنظومة الرأسمالية الصهيونية.

استمرار الموقف السياسي الإيراني الذي يحمل بعداً دينياً شكل عامل ضغط على الحكومات العربية التي تدعي الإسلام .

الموقف الديني الإسلامي للقيادة الإيرانية أعطى بعداً وطنياً تحريرياً لدور الدين الإسلامي وربط مفهوم المظلومية لأهل البيت بمظلومية الشعب الفلسطيني الذي يعاني من جرائم أداة الرأسمالية الصهيونية على مدى أكثر من مئة عام.

التضليل الذي يطلق من الغرب أن الهدف من العدوان ليس تغيير النظام هو تلاعب وكذب تقوم به الإدارة الأمريكية وحليفاتها .

الهدف النهائي للعدوان هو تغيير النظام السياسي في إيران بجوهره الاقتصادي الوطني السياسي لأنه بكل وضوح يعبر عن الشكل النقيض للنظم التابعة التي لا تملك أية سيادة وطنية أو اقتصادية أو دينية تعبر عن جوهر الدين الإسلامي المتعارض مع الاستغلال والاضطهاد والرَبَوية التي دَفَعَت وبكل وقاحة وزير المال الإسرائيلي الصهيوني المجرم أن يطالب أنظمة الخليج في دفع تعويضات الحرب على إيران هذه الدعوة تعبر عن مستقبل العلاقة مع دول الخليج إذا ما تغير النظام في إيران ستصبح تابعة لتل أبيب بدلاً من واشنطن وستدفع الإتاوات لحكومة الإجرام في تل أبيب التي ستمرر قسماً منها لدعم أصدقائها في الولايات المتحدة لتشريع أفعالها الإجرامية .

تصريحات نتنياهو التي توسعت من تغيير وجه الشرق الأوسط إلى تغيير وجه العالم يعني أن الدور سيكون ما بعد إيران على الجزائر ومن بعدها على الدول التي تساند عدالة القضية الفلسطينية هذه التصريحات هي إعلان واضح لا لبس فيه عن المهمة الموكلة لأداة الرأسمالية الصهيونية ومؤسساتها الاقتصادية والمالية والسياسية وموظفيهم في الحكومات الغربية وتوابعها وعملائها.

هذا التغيير الذي وضع أسسه ومهماته الاجتماعات السنوية لمنظمة بلدربيرغ التي تبع اجتماعها السنوي ما بين ١٢-١٥ حزيران ٢٠٢٥ إعلان الحرب على إيران وتسارعت الدول السبع للاجتماع في كندا لتِطلق دعمها وتغطيتها السياسية والعسكرية لحرب أداتها على إيران في تحدٍ واضح للقانون الدولي ومؤسسات الأمم المتحدة .

الواضح أن السياسة الرأسمالية الصهيونية بدأت ومنذ انهيار الاتحاد السوفييتي سياسة منهجية لتقويض دور الأمم المتحدة وميثاقها وتشكيل أطُر موازية لتشريع ممارساتها العدوانية مثل G20وG7 والمنظمات الإقليمية مثل الاتحاد الأوروبي ومؤسساته ومجلس التعاون الخليجي .

الإدارة الأمريكية وأداتها الوسخة إسرائيل يعملان على تنفيذ سياسات المركز الرأسمالي الصهيوني الممثل بالشركات العابرة للقارات التي تستخدم مقدرات الشعوب ودولهم من أجل بسط هيمنتها الاستغلالية العدوانية لتقويض قيم العدالة الإنسانية.

حتّى نفهم ما يجري في السّاحة الإقليميّة

حَمَّه الهَمَّامي- الأمين العام لحزب العمال التونسي

1ـ إن فهم ما يجري من أحداث في المنطقة أو فيما يسمّى الشرق الأوسط وتحديدا العدوان الصهيوني الأمريكي على إيران لا يمكن فهمه فهما سليما دون ربط تلك الأحداث بعضها ببعض ودون وضعها في السياق العام الإقليمي والدولي الذي تجري فيه وإلّا فإنّنا سنسقط في تفسيرات أو تأويلات جزئية وتبسيطية بل سطحيّة تقودنا إلى مواقف سياسيّة خاطئة حتّى لا نقول انتهازيّة تصبّ في مصبّ القوى التي نزعم مقاومتها والتصدّي لها ونقصد المعسكر الامبريالي الأمريكي الغربي والكيان الصّهيوني وأنظمة العمالة في المنطقة المعادية لشعوبنا ولطموحاتها في التحرّر والانعتاق وفي مقدّمتها الشعب الفلسطيني.

2 ـ إنّ العدوان على إيران يمثّل أوّلا استكمالا لما يجري منذ أكثر من عشرين شهرا من حرب إبادة في غزة والضفّة بهدف استكمال الاستيلاء على فلسطين وتهويدها بالكامل وفقا لما أعلنه الصهاينة بشكل فاضح ولما أعلنه مجرم البيت الأبيض، الشعبوي الفاشي دونالد ترامب. وهو يمثّل ثانيا استكمالا لما جدّ في لبنان من اعتداءات واغتيالات طالت أحد أهمّ فصائل المقاومة في المنطقة ونعني حزب اللّه وما أدّى إليه من اتفاق على وقف إطلاق نار شكليّ، يحرم المقاومة من الردّ ولا يمنع الكيان الصهيوني من مواصلة عربدته في ظلّ وصول رئيس وحكومة جديدين بمباركة أمريكية غربيّة لا يحرّكان ساكنا تجاه تلك العربدة. وهو يمثّل ثالثا استكمالا لما جدّ في سوريا من إسقاط نظام الأسد وتعويضه بنظام يعلن عدم معاداته للكيان الصّهيوني بل يعلن أن ما يجمعه بالكيان الصهيوني أنّ لهما «عدوّين مشتركين» وهما إيران وحزب اللّه.

3 ـ إنّ العدوان على إيران يندرج في هذا السياق. فالعدوّ الأمريكي الصّهيوني يعتبر أنّ المناخ أصبح مؤاتيا لاستكمال القضاء على محور معارضة الهيمنة الأمريكية الغربية الصهيونية في المنطقة وذلك بضرب «قلب» هذا المحور والطّرف الأقوى فيه أي إيران باستعمال ذريعة «السلاح النّووي». ولم يخف الكيان وراعيه الأمريكي أنّ هدفها الحقيقي تغيير النظام في إيران وتعويضه بنظام طيّع ناهيك أن نتنياهو لم يتورّع إثر تنفيذ الحلقة الأولى من العدوان الذي تم فيها اغتيال قيادات عسكرية وعدد من العلماء عن التوجه إلى الشعب الإيراني داعيا إيّاه إلى الخروج للشّارع وإسقاط نظام الحكم.

4 ـ إن الحرب التي تشنّ في المنطقة لا هدف منها سوى إعادة تشكيلها وفقا للمصالح الإستراتيجية الأمريكية الغربية الصهيونيّة التي لخّصها مشروع «الشرق الأوسط الجديد» الذي لا يعدو كونه صياغة جديدة لاتفاقية سايكس بيكو (1916) على أسس دينية وطائفية وأتنية بهدف خلق كيانات صغيرة ومفتتّة ومتناحرة بما يضمن السيطرة عليها بسهولة من قبل الإمبريالي الأمريكي ورأس حربته الصهيوني. فليبيا ممزقة وكذلك اليمن والسودان والعراق و التحقت بها سوريا. ولم تبق سوى إيران عقبة رئيسية وهو ما دفع إلى الاعتداء عليها. ولكن لا ينبغي الاعتقاد أن الأمر سيتوقف عند هذه البلدان والمجتمعات بل من المرجّح حتى لا نقول من المؤكّد أنّ يد الجريمة ستمتدّ في مرحلة قادمة إلى بلدان أخرى وفي مقدمتها الجزائر التي ينص مشروع الشرق الأوسط الجديد على تقسيمها إلى ثلاث دويلات أو مناطق ولا ينبغي فهم تزايد الوجود الأمريكي الغربي الصهيوني في المغرب بدعم من الملك والمخزن إلّا في هذا الإطار. ولا شكّ في أنّ الدور سيأتي لاحقا على مصر نفسها رغم اصطفاف نظامها وراء الإمبريالي الأمريكي. إن هذا الأخير لا يعنيه أنّ النظام المصري واقع تحت قبضته اليوم وإنما يفكّر في أي تغيير يمكن أن يحصل في هذا البلد الكبير نتيجة ثورة شعبية أو حتى انقلاب عسكريّ ذي طبيعة وطنيّة وما يمكن أن يمثّله من خطر على المصالح الأمريكية الصهيونية. إن أحسن ضمانة لذلك هي تفتيت مصر وإدخالها في فوضى عارمة بشكل مبكّر. أما السعودية وبلدان الخليج التي تحكمها عائلات منصّبة ومحمية من القوى الامبريالية الغربية فإنّها لن تكون في منأى من تقلبات المصالح في المنطقة. وأخيرا وليس آخرا فإن تركيا نفسها ليست مستثناة من النوايا العدوانيّة للكيان وراعيه الأمريكي رغم ما قدّمه لهما أردوغان وأسلافه من حكام تركيا من خدمات جليلة لكن مشكل نتنياهو أنّه لا يريد تركيا قوية، حتى لو كانت رجعيّة، قريبة من الكيان لأن التفكير الإستراتيجي الصهيوني الامبريالي يفكّر في المستقبل أي في احتمال تغيير الأوضاع لغير صالح الأنظمة الحالية نتيجة انتفاضات شعوبها عليها وقيام أنظمة ثورية أو تقدمية على أنقاضها بل يفكّر حتّى في احتمال تغيّر التحالفات. وفوق ذلك كلّها فإن غلاة الصهاينة لا يخفون أن هدفهم يبقى إقامة «إسرائيل الكبرى» الممتدة من النيل إلى الفرات.

5 ـ إن كل هذا يندرج في ظرف دولي خاص. إن النظام الرّأسمالي العالمي يشهد منذ مدّة أزمة خانقة. وتحاول البورجوازيّة الاحتكارية حلّ هذه الأزمة على حساب شعوبها في الداخل عبر ضرب الحريات والاعتداء على الحقوق الاقتصادية والاجتماعيّة للعمال والكادحين وحتى الفئات الوسطى من المجتمع لحساب الطغم المالية المهيمنة على المجتمع. كما تحاول نفس البورجوازيّة حلّ أزمتها على حساب الشعوب والأمم الأخرى الضعيفة والصّغيرة عبر مزيد من السيطرة عليها ونهب ثرواتها وقمع تطلعاتها. وأخيرا فإن مختلف البورجوازيات الاحتكارية بقديمها وجديدها تحاول حلّ أزماتها على حساب بعضها البعض عبر اشتداد الحروب الاقتصادية والتجارية والماليّة ولكن أيضا عبر اشتداد السباق نحو التسلّح وإثارة الحروب والنزاعات بالوكالة في مختلف أنحاء العالم استعدادا لحرب شاملة محتملة تفتح الباب لإعادة اقتسام مناطق النفوذ وفقا لموازين القوى الجديدة فالحرب كانت وماتزال من جوهر الإمبرياليّة وطبيعتها. ولا يمكن النظر إلى صعود حكومات يمينية متطرفة وفاشية وقومية شوفينية في مختلف البلدان الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية إلا تعبيرا عن هذه النزعات الخطيرة في الداخل والخارج: النزعة الحمائيّة في الاقتصاد والعنصرية والفاشية في السياسة وتفاقم النزعة العسكريتاريّة وما ينجم عنها من توتّرات ونزاعات في العلاقات الدوليّة.

6 ـ إن منطقة الشرق الأوسط تمثّل اليوم أحد أبرز مناطق الصّراع بين كبريات الدول الاحتكاريّة الإمبرياليّة المتصارعة حول مصادر المواد الأولية وفي مقدمتها الطاقة التي يحوز الشرق الأوسط على نصيب كبير منها وحول الأسواق والمواقع الإستراتيجية. لقد شعرت الولايات المتحدة وحليفاتها في الغرب بتراجع مصالحها في المنطقة (وفي مناطق أخرى من العالم أيضا، في إفريقيا وآسيا وأوروبا وأمريكا اللاتينية) نتيجة التمدّد الصيني والروسي خاصّة واكتساب حلفاء ومواقع على حسابها. وهو ما يفسّر استشراس الإمبرياليّة الأمريكية واشتداد عدوانيّتها وإثارتها لأكثر من نزاع خوفا على مكانتها ومصالحها المهدّدة من القوى الإمبريالية المنافسة. وفي هذا السياق فهي تدعم نظام زيلنسكي هي وحلفاؤها في الناتو لتحجيم المنافس الروسي في أوروبا. وهي تشعل نار الحرب في الشرق الأوسط وترتكب بمعيّة صنيعها الصهيوني أبشع الجرائم لإخضاع المنطقة وضمان هيمنتها المطلقة عليها وإقصاء منافسيها خاصة الصيني والروسي لتوجه اهتمامها لاحقا إلى منطقة بحر الصين الجنوبي التي ستجري فيها مستقبلا أشدّ المعارك الإستراتيجية مع المارد الصيني الجديد الذي يريد ترسيخ موقعه وتعزيزه. إن قانون التطوّر اللامتكافئ بين مختلف القوى الرّأسماليّة يخلق باستمرار حالة من التوتّر والنزاع بين القوة أو القوى المتربعة على عرش العالم وبين القوة أو القوى الجديدة الصّاعدة التي تطرح إعادة النظر في النظام القائم دفاعا عن مصالحها وقد كان ذلك مصدر حربين كونيتين سابقتين وهو اليوم يدفع بالعالم نحو حرب كونيّة ثالثة.

7 ـ إن الصراع في منطقة الشرق الأوسط هو إذن صراع مصالح تشعله القوى الرأسمالية الاحتكاريّة الامبريالية. إن ضرب إيران لا علاقة له بمنعها من امتلاك السلاح النووي فما ذلك إلّا ذريعة فإن أوّل من استعمل السلاح النووي هو الإمبريالي الأمريكي الذي يحمل الرقم القياسي في الحروب (225 حربا داخلية وخارجية منذ 1776 تاريخ إعلان الاستقلال). كما أنّ السلاح النووي موجود بين يدي الكيان الصهيوني المجرم الذي ظل منذ قيامه يرتكب المجزرة تلو المجزرة على حساب الشعب الفلسطيني وهو يشن عليه اليوم حرب إبادة نازيّة.

كما أن تاريخه كله تاريخ اعتداءات على الشعوب العربية المجاور منها وحتى البعيد مثل تونس. إن الحرب مبرمجة منذ مدّة. وقد تم التخطيط لها أكثر من مرّة. وفي هذا السياق ينبغي التذكير بمحاولات إدارة ترامب الأولى تشكيل حلف يشمل الكيان وأنظمة الخليج «السنية» ضدّ إيران «الشيعيّة» بدعوى أنها «العدو المشترك». وكانت إحدى أضلع هذا المشروع تعميم التطبيع مع الكيان في نطاق «اتفاقية أبراهام» أو «صفقة القرن» التي جرت الإمارات والبحرين والمغرب إلى قافلة التطبيع. وكانت السعودية المرشّح الموالي إلّا أنّ انطلاق معركة «طوفان الأقصى» خلطت الأوراق وخلقت معادلات جديدة إضافة إلى دخول قوى أخرى وفي مقدمتها الصين بقوة إلى المنطقة وسعيها إلى تقريب إيران والسعودية من بعضهما. لكن اليوم يطرح المشروع الأمريكي الصهيوني من جديد ويراد استكماله بإسقاط النظام الإيراني وإلحاق البلاد بالزريبة الغربيّة.

8 ـ لكنّ المشروع الصهيو أمريكي تعطّل ولم يحقق أهدافه المعلنة بسبب ردّ فعل الدولة الإيرانيّة في وجه العدوان والتفاف غالبية الشعب الإيراني حولها دفاعا عن سيادة الوطن لا بالضرورة «محبّة» في النظام القائم. فحتّى معارضو نظام خامنئي من القوى الثورية والوطنيّة وقفوا ضدّ العدوان ورفضوا الاصطفاف وراءه إيمانا منهم أوّلا بأن المجرم الصهيوني وداعمه الامبريالي الأمريكي الفاشي لا يمكن أن يعملا لصالح الشعب الإيراني وإنما ضده وضد مصالحه. وثانيا بأنّ الشعب الإيراني هو المسؤول وحده عن اختيار النظام الذي يريد لأن الحرية والديمقراطية والمساواة والكرامة تمثل مكاسب يحققها الشعب بنفسه ولنفسه ولا يمكن أن تهدى له من الأجنبي أو من عملائه ومن باب أولى وأحرى لا يمكن أن تهدى له من جلادي الشعوب ومرتكبي حروب الإبادة. وما من شكّ أن النظام الإيراني إذا كان له من درس أن يستخلصه من المواجهة الحاليّة التي لم تنته ومن الخطأ الاعتقاد أنّها انتهت، هو أنّ أي نظام لا يمكنه الصمود دون جبهة داخلية صلبة وأن صلابة الجبهة الداخليّة لا تتحقق إلّا باحترام حقوق الشعب السياسية وباحترام المساواة وبالتالي إعطاء النساء حقوقهنّ وعدم اتهام أي تحرك من أجل الحريات والحقوق الأساسية بأنه من صنع العدو الخارجي. إن القوى الإمبرياليّة والاستعماريّة تستغل ضعف الدول الداخلي لاختراقها وتوظيف قوى منها لتسهيل هذا الاختراق. وما من شكّ أن أحد أسباب الاختراقات التي قام بها الكيان وراعيه الإمبريالي هو الأوضاع الداخلية لإيران وما تحقق اليوم من لحمة لا توجد أية ضمانة لاستمراره سوى احترام حرية الشعب الإيراني وحقوقه لأن العدو سيضاعف أعماله التخريبية لإضعاف هذه اللحمة وضربها وتوفير الأرضيّة المناسبة لتكرار عدوانه.

9 ـ إن أفكارا ومواقف انتهازية ورجعية راجت هذه الأيام لتبرير عدم الوقوف إلى جانب إيران أو حتى لـ«الشماتة» فيها وتبرير الاعتداء عليها.

ومن هذه الأفكار والمواقف أن النظام الإيراني «ديني رجعي يقمع شعبه». ويستند البعض لهذا الموقف لتبرير حيادهم وفقا للمثل التونسي القائل «فخّار يكسّر بعضو» أو «لا تردّ فاس على هراوة». لكنهم يتناسون أن هذه «الحجة» واهية لأنّ «رجعية النظام الإيراني» لا تبرر في شيء العدوان على سيادة إيران وتغيير نظامه هذا أولا. وثانيا إنّ أكبر متضرّر من العدوان هو الشعب الإيراني وثرواته وحريته وسيادته ووحدة تراب وطنه. وثالثا فإن المتضرّر الآخر هو الشعب الفلسطيني وغزة بالذات لأن تدمير إيران سيشجّع العدوّ على المضيّ قدما في تنفيذ مشروع التّهجير القسري لأهالي غزة وفقا لمخطّط مجرم البيت الأبيض. وهكذا فإن هذا الموقف المحايد ظاهريّا يخدم العدو الامبريالي الصهيوني.

ومن تلك الأفكار أيضا أن النظام الإيراني له «أطماع توسّعية صفوية وأن امتلاكه السلاح النووي سيقوي سطوته على بلدان المنطقة». وهذا الموقف لا يقلّ خطورة عن الموقف الأوّل. فهو من ناحية يسقط في نفس ذرائع العدو لتبرير العدوان ويتستر عن الهدف الحقيقي منه. ومن ناحية أخرى فهو يغض النظر عن كون المعتدي المعربد هو من يملك السلاح النووي وراعيه هو من يملك هذا السلاح واستعمله أكثر من مرة في تاريخه (اليابان، أفغانستان...) وبالتالي إذا كان ثمة خطر جدّي وملموس على شعوب المنطقة فهو الامبريالي الأمريكي الغربي والكيان الصهيوني اللّذان يمارسان العدوان بشكل حقيقي وملموس. وفوق ذلك كلّه أليس من الغباء التعويل على المجرم لإنقاذ شعوب المنطقة من سلاح نووي لم تمتلكه بعد إيران أم أنّ المقصود بالضبط هو إيجاد ذريعة للعربدة الصهيو أمريكية. إن الموقف المتماسك من السلاح النووي ينبغي أن يقوم على نزعه من كل القوى التي تملكه في العالم وفي مقدمتها الإمبريالي الأمريكي والكيان الصهيوني المرشّحان أكثر من غيرهم لاستعماله اليوم في عدواناتهم المتكررة في المنطقة وفي غيرها من مناطق العالم.

ومن الأفكار الأخرى أن النظام الإيراني «طائفي» وهو يسعى إلى نشر «التشيّع» في المنطقة على حساب السنّة. وهذا الموقف يسقط في الفخّ الامبريالي الصهيوني الرجعي الذي يريد إثارة النعرات الدينية والمذهبية في المنطقة. إثارة السنة ضد الشيعة. وإثارة السنّة ضدّ بعضهم البعض وهلمّ جرّا والحال أن المسألة سياسية قبل أن تكون دينيّة بل إن الدين ليس في هذا الصراع سوى غلاف أيديولوجي تتخفّى وراءه مختلف القوى الرّجعية. وليس أدلّ على ذلك من أن الأنظمة الإسلامية السنّية هي التي تقف اليوم في مقدمة الأنظمة المطبعة مع الكيان الصهيوني وهي التي تساعده بشكل مباشر أو غير مباشر على إبادة الشعب الفلسطيني كما أنها هي التي تملأ خزائن الإمبريالية الأمريكية بمئات مليارات الدولارات ولم يتوان بعضها على تقديم الدعم للإمبريالي الأمريكي في عدوانه على إيران مثلما دعمه في السابق في حربه ضد العراق أو ضدّ ليبيا. وبالمقابل فإن سنّة غزّة لم يجدوا في مؤازرتهم سوى «شيعة» إيران ولبنان وزيدية اليمن. وهو ما يؤكّد أن المسألة سياسية وأن الزاوية الرئيسية التي ينبغي النظر منها إلى المسألة هي في آخر

التحليل الموقف من الإمبريالية الأمريكية وصنيعه الصهيوني. إن أنظمة العمالة العربية هي جزء من هذه المنظومة الإمبريالية الصهيونيّة التي تعمل على القضاء على المقاومة الفلسطينية وعلى كلّ نزعة تحررية في المنطقة حتى لو كانت من منطلق قومي بورجوازي. وبطبيعة الحال فنحن إذ نؤكّد على هذه المسألة فلا يعني أنّنا نبرّئ النظام الإيراني من كلّ طموحات توسعية ممكنة في المنطقة ولكن ذلك شوط آخر لا يمكن بأي شكل من الأشكال أن تحلّه أبشع القوى التوسعية والإجراميّة في المنطقة أي الإمبريالي الأمريكي وصنيعه الصهيوني.

ومن هذا المنطلق فإن الموقف السليم ينبغي أن ينطلق من طبيعة الصراع الملموس القائم اليوم في المنطقة بين قوى الإجرام الإمبريالية الصهيونية التي تشن الحرب تلو الحرب من أجل التوسع والهيمنة من جهة وشعوب المنطقة ودولها التي ترفض هذا التوسّع وتدافع عن سيادتها من جهة ثانية.

10 ـ ومن المواقف التي راجت في المدة الأخيرة وخفّضت وتيرة حركات التّضامن مع إيران في البلدان الغربية خاصة تأكيد قيادتها على ضرورة إزالة السرطان الصهيوني من المنطقة. وما من شك في أنّ أصحاب هذه المواقف يخشون اتهامهم بمعاداة السامية علاوة كونهم هم أنفسهم من داعمي فكرة «الدولتين». ونحن نعتبر أن «نصف الموقف» هذا مؤسس على خطأ. فنحن أنفسنا كثوريين، يساريين، ماركسيين لينينيين نرفع شعار إزالة الكيان الصهيوني كشرط من شروط تحرر الشعب الفلسطيني أوّلا وإحلال السلام في المنطقة ثانيا. وموقفنا مؤسس على حجة تاريخية، حقيقية لا نزاع فيها بالنسبة إلينا وهي أن الكيان الصهيوني كيان مصطنع زرعه الاستعمار في المنطقة ليكون رأس حربته في الهيمنة عليها. ويكفي العودة إلى تصريحات قادة الدول الإمبريالية والكيان الصهيوني لإدراك ذلك وآخرهم بايدن الذي قال بكل صلف «لو لم تكن هناك «إسرائيل » لكان على أمريكا خلقها لحماية مصالحها». ويمثل «الإسرائيليون» الحاليون، عدا قلّة منهم من أصول فلسطينيّة، مجموعات من المستوطنين لا غير. ولا يعني إزالة إسرائيل غير تفكيكها ككيان ودولة ومؤسسات وجيش ومستوطنات وإعادة الأرض إلى أصحابها الحقيقيين بمختلف دياناتهم وعقائدهم بينما المستوطنون يعودون إلى بلدانهم الأصلية مثلما عاد مئات الآلاف من المستوطنين الفرنسيين في الجزائر بعد 132 سنة من الاستعمار بل مثلما يعود الآن الآلاف من المستوطنين اليهود إلى بلدانهم بعد أن وقفوا على حقيقة «أرض الميعاد» التي جلبوا إليها. فالمسألة الفلسطينية مسألة شعب افتكت أرضه لتمنحها دول أوروبية عن طريق الأمم المتحدة لغير أهلها في مسعى منهم لحل المسألة اليهودية التي تسببوا فيها على حساب الشعب الفلسطيني أولا ولخلق كيان مصطنع في المنطقة لضمان السيطرة عليها وعلى ثرواتها وتركها تتخبط في حروب ونزاعات مستمرة وعاجزة عن تحقيق ازدهارها ورفاهيتها ثانيا.

11 ـ إن إيران تمكّنت اليوم من صدّ العدوان عليها. كما أن المقاومة في غزّة ما تزال رغم الجرائم التي لا يتخيّلها عقل واقفة وتلحق بالعدو ضربات موجعة ستضطرّه إلى التراجع. كما أن اليمن ما يزال واقفا إلى جانب الشعب الفلسطيني. ولا نخال «بهتة» باقي شعوب المنطقة إلّا وقتيّة ومن المؤكّد أنها ستنتفض على مستغلّيها ومضطهديها. وعلى القوى الوطنية والثورية واليسارية والتقدمية أن تتحمل مسؤوليتها في استنهاض شعوبها من أجل مواجهة الأعداء الذين إن برهنوا على شيء خلال الـ20 شهرا الأخيرة فإنما على وحشيتهم التي ستؤدّي بهم في النهاية إلى الهزيمة المحتومة. أما أنظمة العمالة والخيانة فإنها ستتهاوى في لحظة من اللحظات كأوراق الخريف إذ يكفي أن يتهاوى رأس الحربة لكي تعرف نفس مصيره. فهي قائمة اليوم بدعم وحماية منه. إنّ أعداء شعوبنا إمبرياليين وصهاينة الذين يستثمرون في الفوضى من أجل إعادة تشكيل المنطقة في إطار سايكس بيكو جديد سترتد عليهم تلك الفوضى خالقة هبّة من تحت، من الشعوب نفسها التي ستجد طريقها إلى التنظّم لتحقيق حلمها في التحرر من كافة أشكال الهيمنة الإمبريالية والرجعية وفي استغلال ثرواتها لبناء مجدها. إن من حسن حظ الشعوب أن قوى الهمجية في مختلف مراحل تطو البشرية لا تتعظ بالتاريخ لذلك فهي تكرّر نفس الأخطاء التي أدّت بها إلى الزوال. ومن المؤكّد أننا بلغنا مرحلة بات فيها من الضروري التخلّص نهائيا من آخر «شرّ» من «شرور» التاريخ ألا وهو النظام الرأسمالي الذي بلغ مرحلة لم يعد له ما يقدّم فيها للإنسانيّة غير الدمار والخراب والبشاعة. وهذه المهمّة ملقاة على عاتق قوى التحرّر والاشتراكيّة لتنعم الشعوب والطبقة العاملة بالانعتاق والتحرر الاقتصادي والاجتماعي والفكري والثقافي وتضع حدّا لكافّة أشكال الاستلاب.

الشرق الأوسط: بحثا عن محددات التوازن الإستراتيجي بعد تراشق يونيو

د. حاتم الجوهري ـ كاتب سياسي من مصر

في علوم المعرفة الحديثة شديدة التداخل ووطيدة العلاقات البينية فيما بين بعضها البعض؛ هناك دلالة لاستخدام المفردات والمفاهيم في المجال العام، وتأتي اللغة بوصفها أداة تعبر عن علاقات القوة والهيمنة بين البشر والجماعات الإنسانية، وحينما وضعت في عنوان هذا المقال «الشرق الأوسط» فهذا يشير لحد بعيد إلى تفوق المشروع الغربي، ونجاحه في فرض وجهة نظره على جغرافيا المنطقة العربية الإسلامية.

وذلك سواء في طبقة المنطقة العربية الإسلامية الأخيرة المرتبطة بالقومية العربية، التي ظهرت في النصف الثاني من القرن الماضي، أو في طبقتها الأقدم الممثلة في الخلافة العثمانية التي تفككت في النصف الأول من القرن الماضي أيضا.

فها هو «شرق أوسط جديد» تسعى أمريكا والغرب إلى تشكيله في الشرق «العربي الإسلامي» متمركزة حول فكرة التجهيل والتعميم، أي التجهيل الثقافي، فهو أوسط مجرد توصيف جغرافي عام بلا هوية ثقافية، كما تسعى لأن تفرض على الحضارات الآسيوية المتنوعة مفهوم «الشرق الأقصى»، معتمدة فكرة التوصيف الجغرافي نفسها ونزع الهوية الثقافية، وكأن العالم كله مركزه في الغرب الأوروأمريكي، وما خارجه مجرد تقسيمات جغرافية تعتمد على القرب أو البعد منه.

ولكن إصرارا على المقاومة والصمود سأستخدم أيضا مفهوم المنطقة العربية الإسلامية أو الشرق العربي الإسلامي، ونحن لتونا شهدنا إعلانا لوقف إطلاق النار بعد حرب مفاجئة في يونيو 2025م دامت 12 يوما بين «إسرائيل» وبين إيران، بعد تدخل مفاجئ أيضا من أمريكا بقصف مفاعلات إيران النووية، ثم إعلان دونالد ترامب المفاجئ أيضا عن وقف إطلاق النار بين الجانبين (بعدما قصفت إيران قاعدة العديد في قطر)، لتبدأ حرب تصريحات وادعاء كل طرف بتحقيق أهدافه الإستراتيجية وأنه المنتصر الحقيقي في الحرب!

ما يهمنا هنا؛ هو البحث عن محددات التوازن الإستراتيجي الذي دفع أمريكا لوقف الحرب، والذي قبلها دفعها للتدخل والقصف، وربما لن يكون غريبا أن تطرح هذه المقالة تصورا للتدخل الأمريكي بعنوان: «المشاركة في الحرب من أجل أيقافها»، فعلى كثرة المتغيرات والمحددات الإستراتيجية الحاكمة لتوازنات القوة في الشرق الأوسط والمنطقة العربية الإسلامية، وكثرة المعلومات والتصريحات التي نخرج من هنا ومن هناك، إلا أنه يمكن النظر لتلك المحددات وفق الترتيب التالي.

أولا: نتانياهو والمشروع الصهيوني يمثل فكرة الامتداد للحضارة الغربية، ويعتمد تماما على القوة والمدد الخشن والناعم القادم من أمريكا بشل أساسي، وهي الضامن الرئيس لوجوده وبقائه، وانتقل من الأفكار النمطية القديمة التي تم ترويجها عن استراتيجية الحروب القصيرة، وحروب الأذرع الجوية، إلى الحروب الطويلة وحروب المدن في غزة، والحروب واسعة الجبهات، كاشفا عن تمويه استراتيجي كبير لحقيقة الإمكانات الصهيونية، في ظل مدد لا ينقطع من الغرب، والقدرة على تغطية التكلفة الاقتصادية للمستوطنين أو للاقتصاد الكلي في دولة الاحتلال.

ثانيا: إيران تعتمد على مصادر للقوة الذاتية التي استطاعت مراكمتها بعد الحرب العراقية الإيرانية ثمانينات القرن الماضي، وفي ظل عقوبات فرضتها عليها أمريكا، كما تعتمد على شبكة علاقات قوية للغاية مع المحور الأوراسي الجديد الذي يضم روسيا والصين وكوريا الشمالية، وطورت استراتيجية عسكرية وتصنيعية ناجحة أثبتت نفسها في الحرب، كما أنها نجحت في تقوية الحضور الشيعي في البلاد العربية، ونجحت في تنظيمه وتسليحه مبرزة استقطابا يقوم على محور المقاومة الداعم لحركات التحرر

المسلحة في فلسطين، في مواجهة سردية سنية رسمية انتهت بها تناقضات القرن العشرين للترويج لمشروع سلام خيالي، لا يوجد شريك «إسرائيلي» أو «أمريكي» لتنفيذه على الأرض.

ثالثا: المشهد العربي اهتز هزة كبرى في حرب غزة مع تفكك سوريا التي كانت تجمع بين تناقضات عدة، منها أنها تنتمي للبعثية العربية ومشروعها القومي الرمزي بعد تفكك العراق البعثية، وتفكك الناصرية في مصر، وفي الوقت نفسه على قوميتها هذه كانت على تحالف مع المحور الإيراني وتدعم حزب الله في لبنان، لكن ضغوط الحرب السياسية الأمريكية والعسكرية من خلال الذراع الصهيوني، أسقطت النظام السوري البعثي في سوريا، وفككت المستوى السياسي لحزب الله باغتيال حسن نصر الله وأضعفته عسكريا، وكذلك فعلت مع الحشد الشعبي والتمددات الشيعية المنظمة لإيران في العراق، وانتهت أمريكا إلى تفاهم لوقف إطلاق نار منفرد مع جماعة الحوثي في اليمن، في ظل تضييق مستمر اقتصادي وسياسي وإقليمي على مصر يتوسطه مشروع التهجير إلى سيناء، والعمل لرضوخ القاهرة لمشروع «الصهيونية الإبراهيمية» وهيمنتها الثقافية على جغرافيا المنطقة.

رابعا: المشهد الإقليمي والعالمي: تتعامل روسيا والصين مع إيران بوصفها الجبهة العسكرية المفتوحة، التي تخفف الضغط الأمريكي على الجبهة الروسية في ملف أوكرانيا، وعلى الجبهة الصينية في ملف تايوان، وخلال الحرب الأخيرة تناقلت وكالات الأنباء الأخبار عن شحنات صينية لإيران غير معلوم محتواها، أكد الكثيرون أنها تحمل مددا عسكريا، كما أن روسيا أعلنت مساندتها لإيران ببعض المعدات في ظل القانون الدولي وبما لا يخرق العقوبات، وخرجت تصريحات نارية من مسؤولين روس تعلن أن بعض الدول قد تقرض إيرن رؤوسا نووية، إضافة إلى إعلان إيران نيتها إغلاق مضيق هرمز، وملاحظة شديد الأهمية أنها طوال الحرب لم تستهدف بصواريخها الدقيقة مفاعل ديمونه، بما يشى بوجود قواعد اشتباك غير معلنة بينها وبين الطرف الآخر (أمريكا وإسرائيل)، كما أعلنت باكستان دعمها لإيران في ظل انتشار تصريحات لنتانياهو تفيد بأن باكستان هي التالية بعد إيران، وتضامنت تركيا أيضا مع إيران بشكل ما.

في ظل هذا العرض السابق للمحددات العامة للتوزان الاستراتيجي للمنطقة وعلاقاته المتداخلة مع التوازن العالمي في القرن ال21، كانت هناك إستراتيجية واضحة لنتانياهو وهي جر أمريكا للمشاركة بنفسها في الحرب أو من خلال حلف دولي، والقضاء على محور المقاومة الذي تتوسطه إيران وتحييد قدراتها العسكرية قدر استطاعته. وكانت إستراتيجية إيران تقوم على النفس الطويل والسعى لامتلاك القدرات النووية، والصعود الثقافي في جغرافيا المنطقة في خضم الحرب.

وفي مجمل المحددات السابقة وخطوطها العامة؛ يبدو أن دونالد ترامب لم يكن أمام اختيارات كثيرة بعد التصعيد «الإسرائيلي» وضرب إيران، فخلال عشرة أيام استعادت إيران توازنها وأنهكت الدفاعات الصهيونية وأصابت العديد من الأهداف الاستراتيجية، وأعلنت استعدادها لحرب قد تمتد إلى سنتين، بينما مخزون صواريخ الدفاع الجوي «الإسرائيلي» أوشك على النفاد، وأدخلت إيران طرازات جديدة من صواريخها للمعركة وكادت «إسرائيل» ممثل الحضارة الغربية أن تنكشف في الشرق العربي المسلم، ويتبخر وهم «الشرق الأوسط الجديد».

من ثم تتبنى هذه المقالة القصيرة مقاربة إستراتيجية ترى أن ترامب وجد نفسه مجبرا على التدخل المحسوب والخروج سريعا؛ تحت عنوان « المشاركة في الحرب من أجل إيقافها»، لأن التوازنات الدولية والقدرات الذاتية لإيران لم تكن لتسمح له بإسقاطها، دون التحول لمعركة إقليمية كبرى سوف تسحب من مخططات المركزية الغربية في تمثلها الأمريكي، ومشروع الصدام الحضاري للسيطرة على العالم في محاور حضارية ثلاثة، وهي المحور العربي الإسلامى، والمحور الروسي الأرثوذكسي، والمحور الصيني الكونفشيوسي.

تدخل ترامب بقوة وقصف المفاعلات قصفا تضاربت الأنباء عن تأثيره، لأن إيران رفضت طلبات «إسرائيل» بوقف الحرب وراهنت على كشف هشاشتها، ولأن البديل كان دعما عسكريا يفوق قدرة الولايات المتحدة التكتيكية ويطلب سحبا من مخزونها الإستراتيجي قد لا تجد داعيا له، لذا كان ترامب أمام خيار وحيد، وهو «ضربة عسكرية تفضي لوقف الحرب» أو «المشاركة في الحرب من أجل إيقافها».

هذا يعني أن جغرافيا الشرق الأوسط الجديد مازالت معلقة في نظرية الصدام الحضاري المهيمنة على أمريكا حاليا؛ إيران تحافظ على سرديتها الثقافية، وإسرائيل ومن ورائها أمريكا تحرس سرديتها الثقافية عن «الصهيونية الإبراهيمية»، وتركيا تدير التناقضات وتبحث لنفسها عن موطأ قدم بسردية «العثمانية الجديدة»، وتبقى أزمة الذات العربية كاشفة جريحة فاقدة لإتزانها الإستراتيجي دون سردية ثقافية واضحة تملكها، للحركة في الجغرافيا التاريخية التي كانت لها.

ويبدو أن حرب غزة ستؤكد على مفهوم مهم أطرحه منذ بداية الحرب؛ وهو مفهوم «الصراع الجيوثقافي» وأن القرن الـ21 هو قرن صراع السرديات الثقافية بامتياز، وسعيها للهيمنة على الجغرافيا العالمية، عبر وكلاء محليين أبرزهم («إسرائيل- أوكرانيا- تايوان).

وسأكرر ما أقوله أيضا منذ بداية الحرب؛ أن روسيا طورت سردية «الأوراسية الجديدة» ردا على نظرية الصدام الحضاري، وكذلك طورت الصين سردية «طريق الحرير الجديد»، بينما يسقط العرب في فخ التفاصيل واجترار سرديات القرن الـ20 التي انتهت وتجاوزها العالم.. ليبقى مشروع الشرق الأوسط الجديد هو الحلم الذي لا يغادر أمريكا والمشروع «الصهيوني»، والمرشح للانفجار مجددا في أي لحظة.

جذور التغلغل اليهودي في الولايات المتحدة الأمريكية

د. محمد عياش - كاتب وباحث سياسي - سورية

يقول وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية الأسبق، هنري كيسنجر والملقب بثعلب الشرق الأوسط، إن محاولة فهم أو الدخول إلى البيت الأبيض هي محاولة قاتلة، وأن الحكم فيه مجهول، وهذا المجهول هو ما يشكل الخطر القادم والداهم على هذه البلاد، لاسيما وأنه أشار لماهية الحكم وأسراره، في إشارة واضحة للوبي الصهيوني العامل والفاعل والمتحكم بكل صغيرة وكبيرة.

عمر التمدد اليهودي فوق الأراضي الأمريكية بدأ عام 1636م أي 389 سنة إلى عام 2025، فهذه المدة ليست بالسهلة وصعبة على الباحثين والعاملين في التاريخ لكثرة المعلومات وزخمها، وبالتالي ليس كل ما نتوصل إليه يبقى الحقيقة الساطعة، لأن الحقائق عادة ما تكون بعيدة، وعلى خلاف ما قاله جون آدمز الرئيس الثاني للولايات المتحدة، الحقيقة دائماً عنيدة، يفسر التاريخ لنا كيف صاغت بعض من السياسات الأمريكية ومحاولتها أن تتعايش مع العالم وفق نقاط بيضاء تظهر على الصفحة السوداء التي لا تقبل إلا بالعتامة والقتامة وبذلك حفظ التاريخ هذه المحاولات تبعاً للاسم ومحاولاتهم البريئة وخلدتهم الذاكرة الجمعية عند النقاد وطبقة الإنتلجنسيا .

لذلك اعتمدنا الإستقراء أسلوباً، والتحليل منهجاً، والاختبار طريقةً، والقرائن أدوات مناقشة لفهم طبيعة العلاقة التي تكاد تكون غامضة، والتي تسير وفق خيط أو حبل سري يتضح عند كبريات الأزمات التي ربما تهدد وجود إحدى القوتين المتحالفتين، حتى لا نذهب بعيداً أو نزيد الأمر غموضاً فوق غموض، نأخذ عملية، طوفان الأقصى مثالاً حياً، ففي السابع من أكتوبر تشرين الأول 2023 تحركت الولايات المتحدة عسكرياً وسياسياً مباشراً لحماية الكيان الصهيوني، وكأن الأمر متفقٌ عليه لجهة الدعم، وزيارة الرئيس الأمريكي جو بايدن الفورية إلى فلسطين المحتلة ولقائه مع المجرم بنيامين نتنياهو والوقوف إلى جانبه، رسالة قوية إلى العالم أجمع أن إسرائيل خطاً أحمر، وبالتالي فإن الولايات المتحدة معنية بالدفاع عن إسرائيل وتسليحها حتى الأسنان، ومنع مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة والمحاكم المختصة بالاقتراب أو المساس بأمن إسرائيل .

في وصف دقيق للعلاقة الأمريكية الإسرائيلية، ما قاله عدد من المسؤولين الأمريكيين، إن تحريك الذيل الإسرائيلي يدفع الكلب الأمريكي للنباح .. عندما أنشئت جامعة هارفارد عام 1636 كانت اللغة العبرية من ضمن المواضيع التي تدّرس والذي لا يستطيع ترجمة الإنجيل إلى العبرية واللاتينية لن يجد لنفسه مكاناً فيها، والأستاذ الجامعي الذي لا يتقن العبرية لن يجد لنفسه مكاناً بين أسرة التدريس في جامعة " كنغز" التي تعرف الآن جامعة كولومبيا، لذلك انصب التركيز على الجامعات والمراكز التعليمية، للسيطرة والتحكم خدمة لليهود،

لأنهم يعملون على هدف بعيد، وهو أرض الميعاد، وإقناع الإدارة الأمريكية بأحزابها المختلفة بضرورة تبني المشروع الصهيوني والوقوف معهم لتحقيق الهدف.

ولابد من الإشارة إلى أن مؤسسي أمريكا الحديثة، عندما أخذوا يناقشون فكرة شعار للولايات المتحدة ، وقع اختيارهم على تصميم يمثل الإسرائيليين يعبرون البحر الأحمر، بينما موسى يقف على أحد جانبي البحر الذي انشق وفرعون يتبعه جنوده من الجانب الآخر وقد عايشت هذه الكرة التصميم – ثلاثة رؤساء للبيت الأبيض هم : جون آدمز الأب ، وتوماس جيفرسون وبنيامين هاريسون. لدلالة التدليس والخداع الذي تعرضوا له من أكثر من 3000 منظمة وجمعية تنادي وتشكل الرأي العام الأمريكي لهذا الغرض، أي دولة يهودية في فلسطين، بالإضافة إلى الأسماء العبرية التي أطلقت على بعض المدن والقرى والشوارع، ترافق ذلك مع سياسة الضرائب التي ما تزال ترهق كاهل المواطن الأمريكي الذي لا يعرف عن العرب إلا الصحراء والجمل انعكاساً للعمل والنشاط التي قامت فيه منظمة " بناي بريت " ومهمتها الرئيسة، وقف معاداة السامية في الولايات المتحدة الأمريكية .

يوري أفنيري عضو الكنيست الأسبق، أدرك استحالة تحقيق المشروع أو الحلم الصهيوني، لذا كان ينشر منذ الخمسينيات في مجلة (هاعولام هزة) هذا العضو المتخصص في توجيه النقد للسياسات الصهيونية. ونجد أيضاً المثقف الإسرائيلي شلوم رايخ يوجه لومه للقيادة الصهيونية الحالية التي تسير وفق رؤية صهيونية دغمائية إذ يقول، إسرائيل تركض من نصر إلى نصر حتى تصل إلى نهايتها الحتمية، كيف الحال مع زمن الهزائم ويقصد ما حلّ يوم السابع من أكتوبر، والهجوم التكنو- عسكري، والأسطوري للمقاومة الفلسطينية في قطاع غزة .

فرانكشتاين الصهيوني الدموي الذي أُطلق من القمقم ليقتات على دماء الأطفال والنساء وأشلائهم، لذا يقال إن ثقافة الكابوي امتزجت مع الثقافة التوراتية عبر / البيوريتانز- الطهرانيين / فالموسوية قامت في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، بينما اليهودية السادس قبل الميلاد، فاليهود الذي يدعمون إسرائيل هم صهاينة سواءً المتواجدون على الأرض الأمريكية وهم نسبة كبيرة، أو اليهود في فلسطين المحتلة، كلهم وجلهم يدعون إلى العداوة مع العرب وهذا لم يأت من فراغ بل من فتاوي وخزعبلات الحاخامات والتفاسير التلمودية، الحاخام كيتش يفتي علانية بقتل العرب، ويقول، إن قتل العرب لا يشكل مشكلة أخلاقية ؟!! وشلومو بن غورين كبير أحبار اليهود يوضح، إن الصهيونية وأهدافها ستبقى معرضة للخطر ما دام المسجد الأقصى وقبة الصخرة فيه قائمين أمام أعين المسلمين وأفئدتهم، لذا يجب إزالتهما من على سطح الأرض؟!!!

العلاقة الأمريكية الصهيونية القائمة على قاعدة الأخذ فقط من جهة الكيان الصهيوني، الذي كما شرحنا بأن الدعم الأمريكي المطلق والأعمى في غالب الأحيان، فهمنا كيف تشكل؛ أما أن تدرك واشنطن أن الصهاينة قد بالغوا في طبيعة العلاقة لدرجة تهديدهم المباشر للرؤساء، وحتى قتلهم بوضح النهار مسألة بغاية الخطورة، لذا نجد أن الرئيس الأمريكي الحالي دونالد ترامب يحاول وهو الذي أعلن عن محاربته الدولة العميقة في بلاده في إشارة واضحة للوبي الصهيوني وشبكاته العنكبوتية المعقدة ، الخروج عن المألوف وطريقة تعامله مع نتنياهو وعدم التنسيق معه في عدة أمور رآها مصلحة عليا لبلاده، بينما ترك الصدمة والاستغراب عند الصهاينة.

يمكن القول أن الولايات المتحدة رأت بإسرائيل نتنياهو عقبة حقيقية بوجه المصالح الأمريكية الكبرى، وهذا مؤكد لأن الاتصالات بين ترامب ونتنياهو تنقطع وتعود، وغالباً ما تخرج عن المألوف والمتعارف عليه، ترمب أعطى بعض الإشارات الضمنية أن الولايات المتحدة بعهده قد تذهب بعيداً عن دولة الاحتلال إذا عارضت مصالحها، أي إسرائيل مع استراتيجيها، دون الرجوع أو الاستشارة وهذا أمر غير مسبوق، وبداية انعتاق واضح من القبضة الصهيونية الإيباكية إذا جاز التعبير. هذه الإشارات تعني أن العلاقة الفريدة من نوعها باتت على محك الاقتصاد وعلى سكة اجعل أمريكا عظيمة من جديد، فإسرائيل تعد كابحاً حقيقياً للاندفاع الأمريكي الجديد الذي يبحث عن الاستقرار والهدوء من خلال التفاهمات والبعد عن الحروب، أما في الإعلان عن الحرب الدائرة الحالية مع إيران، نتيجة الضغط الصهيوني الحالم بولادة شرق أوسط جديد وفق رؤيته أو على مقاس الخرافات التلمودية التي لا تقف عند حد من الأطماع وإشعال المنطقة بالفتن والحروب وإبقاء المنطقة كلها بحالة من شد العصب، والحقيقة أن إسرائيل وطبيعة نشأتها تتطلب الاطمئنان عن حالة التسلح وهيمنتها على المنطقة وحرمانها من امتلاك المبادرة بالعلم والمعرفة والتكنولوجيا .. وجدت واشنطن هذه الحرب مصلحة لها بالدرجة الأولى لقطع الطريق على حلفاء الصين العدو الاقتصادي .

إن الوضع الحالي واستماتة الولايات المتحدة الدفاع عن مصالح الكيان الصهيوني هي الطبيعة السيكوباتية التي يجب أن تسير عليها المنهجية الأمريكية، فأي سلام أو حالة من الهدوء يفسر صهيونيا هو حالة تعبئة ورص الصفوف وتجديد الاستراتيجية والفكرية والثقافية أو حتى الدينية في مواجهته وكشفه وفضحه وبالتالي إمكانية سوقه إلى المحاكم التي تنادي بالعدالة والحرية وتقرير المصير للشعوب المقهورة المحرومة من أبسط مقومات الحياة كالشعب العربي الفلسطيني، من غير الحروب العربية وطرق تسليحها ووضع الفيتو على السلام الذي يشكل خطرا أو توازن مع السلام الصهيوني، فإسرائيل مجموعة عصابات تتطور وفق حالة الخوف وعدم الاطمئنان . لذا عليها محاربة إيران واليمن ولبنان وسوريا وغزة والضفة الغربية، وحتى الدول التي تؤيد القضية الفلسطينية مهددة إياها بالعقوبات وضعها بمعاداة السامية التهمة الجاهزة والمفصلة على مقاس الصهيونية العالمية .

طوفان الأقصى نسف من الذهنية العربية عقدة الهزيمة، وأعطى حالة من التقاط الأنفس والنشوة وعزز قدرة العرب والمسلمين بإمكانية إزالة هذا الكيان، الكتلة السرطانية التي تنخر جسم الدول العربية، وضرورة معالجة الحالة بكل الوسائل والسبل، فالعدو الصهيو- أمريكي عدو مستبد يملك القرار لا يملك الأقدار.

دبلوماسية الخداع ومسار ترامب مع نتنياهو وسقوط الرهان

أحمد عويدات - كاتب فلسطيني ـ السويد

وأخيراً تصدعت دعائم الدبلوماسية الأمريكية، وانهارت ركائزها، وتلاشى بريقها، وأصبحت ظلاماً دامساً يحكم علاقات الولايات المتحدة الأمريكية مع حلفائها وباقي دول العالم، وأضحت كخنجرٍ مسمومٍ يطعن المسار السياسي لأي قضية، وهذا ما كان على جبهتي الحرب الإيرانية الإسرائيلية وجبهة غزة، التي تشهد المزيد من المجازر والإبادة بشتى أنواعها وأشكالها وصورها، وأصبحت الدبلوماسية رديفاً للمسار العسكري؛ لما فيه من خداعٍ وتضليلٍ وتخديرٍ للطرف الآخر.

ما إن هدأت قليلاً طبول الحرب التجارية الترامبية على بلدان العالم قاطبةً، وتراجع وهج القرارات التنفيذية لترامب، وبرغم خلافه الذي تأجج مع الملياردير إيلون ماسك، وتكذيب الأخير له والمطالبة بعزله ، واندلاع الاحتجاجات في لوس أنجلوس على قرارات ترحيل المهاجرين - والتي على إثرها تراجع ترامب عنها بطرقه الالتفافية المعهودة - وفقاً لكل ذلك، اعتقد الكثيرون أن لترامب توجه سياسي جديد ومختلف، جنح به نحو إعادة النظر بالكثير من المواقف الأمريكية تجاه قضايا الشرق الأوسط، وتحديداً نحو استعار الحرب في غزة وتوسيعها ، ومنع إدخال المساعدات ، والحديث عن جولة مفاوضات جديدة مع إيران آنذاك ، سيما بعد عدة صفعات تلقّاها نتنياهو. بيد أن هذا الاعتقاد تلاشى مع استخدام المندوبة الأمريكية حق النقض الفيتو ضد قرارٍ تقدمت به ١٠دول ليس لها صفة العضوية الدائمة في مجلس الأمن ، لتنفرد الولايات المتحدة بموقفٍ عدائي ومنحاز، لدولة الإرهاب والمجازر والإبادة الجماعية والتطهير العرقي ، على مرأى ومسمع من 14 دولة، صوتت إلى جانب وقفٍ دائمٍ وفوريٍ لإطلاق النار في غزة ؛ بحجة أن هذا القرار «يقوض الجهود الدبلوماسية للتوصّل إلى حلٍ للنزاع»، كما جاء في تبرير المندوبة الأمريكية.

وعلى الجبهة الأخرى، تم خداع الإيرانيين بعد تخدير الدبلوماسية الأمريكية لهم بجولة المفاوضات المزمع عقدها الأحد القادم ؛ مما مكن «إسرائيل»- قبل هذا الموعد بيومين - من تحقيق المفاجأة وبشن الحرب، واغتيال القادة وعلماء الذرة الإيرانيين، واندلاع المواجهات العسكرية ، التي امتدت إلى 12 يوماً بالصواريخ والمسيرات والطائرات الحربية، وضرب البنى التحتية لكلا الطرفين، إلى أن انتهت بخداعٍ دبلوماسي أمريكي آخر قبل انتهاء مهلة الأسبوعين التي حددها ترامب ؛ حيث تم ضرب المنشآت النووية بعدوان صارخ، خدمة وحماية «لإسرائيل»، التي عجزت لوحدها عن تدمير البرنامج النووي الإيراني، ليكتمل بذلك الانحياز التام، بل المشاركة المباشرة بالحرب على إيران وغزة، وسط صمت عربي و إسلامي، وغياب حتى الحد الأدنى من التنديد بهذه الشراكة من العدوان على دولة ذات سيادة، وعلى شعب أعزل، ومليوني غزاوي يبحثون عن لقمة طعام ورشفة ماء.

وبالعودة إلى الفيتو الأمريكي والوجه البشع الآخر لدبلوماسية ترامب ؛ ترافق هذا الموقف مع استنكار واستهجان العديد من الدول لما ينطوي عليه هذا الموقف من نتائج تؤدي إلى مزيدٍ من إراقة الدماء البريئة ، وتفاقم حجم المأساة الإنسانية في غزة، وتهديد الأمن والسلم الإقليمي، والاستمرار في استئثار الدول العظمى بقرارات الشرعية الدولية ، واتخاذها سبيلاً لفرض سياساتها. فقد اعتبره المندوب الباكستاني «ضوء أخضر لإبادة الفلسطينيين في غزة» ، أما المندوب الجزائري فقال:» إن الصمت لا يدافع عن الموتى ، ولا يواجه تداعيات الظلم» ، و وألقى المندوب الصيني باللائمة على الولايات المتحدة مطالباً إياها «بالتخلي عن الحسابات السياسية وتبني موقف عادل ومسؤول».

لقد حملت هذه الدبلوماسية الغادرة لإدارة ترامب دلالاتٍ عديدةٍ ، أبرزها الإمعان في تجاهل الدور الدولي في حل المشكلات والقضايا الهامة، التي تصب في حفظ الأمن والسلم الإقليمي والعالمي ، وإصرار الولايات المتحدة على تنفيذ أجندتها وفق منظور مصالحها ومصالح دولة الكيان التي لا تنتهي. كذلك ، أعطت هذه الدبلوماسية الضوء الأخضر لدولة الكيان باستمرار حربها المجنونة الهمجية

ضد الأبرياء في غزة، تحت مسمى إطلاق سراح الرهائن ؛ هذه الحرب التي وصفها العديد من المسؤولين الإسرائيليين الأمنيين والعسكريين والسياسيين بأنها «بلا أهداف ولا إنجازات»، هذه الحرب التي باتت السلوك اليومي لسياسة نتنياهو لبقائه في سدة الحكم ، وتهربه من المساءلة القانونية عن فشله في أحداث السابع من أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠٢٣، واستمرار تعنته في الاستجابة لضغط الرأي العام الإسرائيلي والعالمي، وكأن استجابة ترامب المخادعة لدعم نتنياهو في حربه ضد إيران، جاءت تجميلاً لوجه نتنياهو القبيح ، و تعويضاً له عن اخفاقه أمام المجتمع الإسرائيلي، وتعزيزاً لمواقفه في وجه معارضيه ؛ بعدما أصبحت حرب غزة لا تحظى بأي إجماعٍ في الداخل الإسرائيلي ، وفي كافة الصعد السياسية والعسكرية والأمنية المجتمعية، بينما حصل الإجماع بكل فئاته وعلى كافة المستويات في حرب نتنياهو ضد إيران، تحت مسمى الاهداف المعلنة والخفية منها؛ وهي التخلص من البرنامج النووي الايراني، وتدمير قوه الردع، والبرنامج الصاروخي الايراني، والحد من دور إيران في دعم أذرعتها في المنطقة، وتحديد علاقتها المستقبلية مع دول المنطقة، وإضعاف النظام الايراني تمهيداً لإسقاطه.

كما يشير استخدام الفيتو للمرة الثانية من قبل الإدارة الأمريكية، بخصوص غزة إلى الشراكة المباشرة في الحرب الإسرائيلية على الشعب الفلسطيني، ويؤكد سياسة الولايات المتحدة الاستمرار في دعم «إسرائيل»، على كافة الصعد الدبلوماسية والسياسية والعسكرية ، وتشكيل حاجز صد عنها بدعوى « الدفاع عن النفس». وبدا أن الصفعات التي تلقاها نتنياهو من ترامب مؤخراً «لا تسمن ولا تغني من جوع» ، إنما هي اختلافات في أساليب تنفيذ السياسات المتفق عليها آنفاً، ولا تصب بأي تغيير في السياسة الترامبية ؛ وما مطالبة ترامب بإلغاء محاكمة نتنياهو إلا تأكيد حرصه على المستقبل السياسي لهذا الأخير ودفاعاً عنه.

كما يدلّل هذا المسار الترامبي على الإصرار في إفشال كافة الجهود الدولية، الرامية إلى إيجاد حل للنزاع العربي الإسرائيلي في المنطقة، والاستمرار في تجاهل التوصل إلى حلٍ عادلٍ للقضية الفلسطينية، وضرب مبادرة حل الدولتين التي طالما دأبت الدول الغربية على طرحها مؤخراً، خاصة ما تسعى إليه فرنسا والسعودية من مبادرة لعقد مؤتمرٍ دوليٍ بهذا الخصوص، هذه المبادرة التي وُلِدت قبل أن تبصر الضوء.

وما تحمله هذه الدبلوماسية أيضاً، من تأكيد لسياسة الولايات المتحدة في التعاطي مع الأزمات الدولية ، من خلال السعي لإدارة الأزمة أكثر من السعي لحلها. وقد برز هذا واضحاً من خلال جولات المفاوضات مع إيران بشأن برنامجها النووي قبل ضربه ومن خلال ما يجري في غزة من استمرار سياسة التجويع ومقتلة المساعدات.

إن مسار الدبلوماسية الترامبية الخادعة أفضى إلى تداعيات عديدة، أبرزها إعادة التأكيد على الدور الوظيفي للكيان الصهيوني، كقاعدة متقدمة لأمريكا أولاً والغرب عموما. وتأكيد الهيمنة الإسرائيلية على المنطقة، وشروعها بتنفيذ مخطط الشرق الأوسطي الجديد، الذي طالما عبّر عنه الفاشيست نتنياهو. وخضوع المنطقة بكل مقدراتها وامكاناتها، وما تبقى لها من سيادة إلى المستثمر والمستمر، ورجل الصفقات ووكيله في الإقليم نتنياهو. إضافةً، توجيه الضربة القاصمة للمواقف الأوروبية الأخيرة؛ لإدانتها واستنكارها لاستمرار الحرب، ورفض دولة الاحتلال إدخال المساعدات، واتخاذ بعض الدول إجراءات عقابية قد تكون مؤثرة إلى حد ما؛ مما يعني كسر العزلة عن دولة الاحتلال، وجرس إنذارٍ لهذه الدول، واحتواء مواقفها التي لا تتناغم مع الدبلوماسية الترامبية ، وتقويض دورها وتحويلها إلى جوقة من المصفقين و المهلّلين والمباركين؛ إلى الحد الذي ذهب إليه أمين عام حلف الناتو بقوله مؤخراً في اجتماع قادة الحلف : « إن ترامب رجل القوة والسلام»، وبذلك تأكيد لمبدأ ترامب «سلام القوة» . ومما أفرزته الدبلوماسية الترامبية قدرة ترامب على فرض رؤيته لحل أي قضية، وهذا ما كان واضحاً في فرضه لوقف إطلاق النار بين إيران ودولة الكيان، والإيعاز لهما بالشروع بالمفاوضات، بعدما صرّح بأنه « غير راضٍ عن إيران وإسرائيل «. والسؤال هنا : لماذا لا يمارس ترامب دبلوماسيته على جبهة غزة؟ أم أن هذا يندرج في إطار مخطط الشرق الأوسطي الجديد؟!!

إن استمرار استخدام هذه الدبلوماسية الترامبية المدمرة و إفشال، توجه مجلس الأمن لاتخاذ قرار لإيقاف الحرب؛ من شأنه أن يؤدي إلى تفاقم الأزمة الإنسانية في قطاع غزة ، الناجمة عن رفض «إسرائيل» المستمر إدخال المساعدات، واتخاذها سلاحاً لإبادة الشعب الفلسطيني في غزة ، ودفعه نحو التهجير.

هذا الموقف الأمريكي الترامبي يؤكد، بما لا يدع مجالاً للشك، تعاظم نفوذ اللوبي اليهودي الصهيوني داخل الإدارة الأمريكية، وفي الدولة العميقة هناك، وفرض سياسات تتماشى مع الفكر والعقيدة الصهيونية، التي يسير على خطاها نتنياهو وأجنحته اليمينية الدينية المتطرفة. كما يُطلق هذا الموقف الأمريكي المنحاز يد دولة الاحتلال في الضفة الغربية ؛ لتعزيز الاستيطان وبسط السيادة الإسرائيلية عليها، كما أعلن عن ذلك الوزير اليميني سموتريتش بإعطاء موظفيه البدء بإجراءات بسط هذه السيادة على مدن وقرى الضفة الغربية، وما إنشاء 22 مستوطنة جديدة مؤخراً، وصمت دبلوماسية الولايات المتحدة ، إلا تأكيد لهذه الحقائق.

مرة اخرى، يعتبر الموقف الأمريكي الأخير في ضربه للمنشآت الإيرانية النووية - محاولةً منه لإرضاء دولة الكيان، وتعويضها عن خسارتها في المواجهات مع إيران والمقاومة في غزة - ضرباً لمصداقية ترامب الذي قدّم نفسه ووعد بأنه رجل سلام، وأنه سيجلب الاستقرار والازدهار إلى المنطقة ؛ لأن مثل هذا الموقف - وما ينطوي عليه من تأجيجٍ للحرب وتقويضٍ لمساعي الأمن والسلام في المنطقة - تعبيرٌ عن انحياز مطلق للاحتلال والعدوان. إن تصرف الإدارة الأمريكية على هذا النحو، وبهذه الدبلوماسية العسكرتارية المخادعة تحت مسمى « سياسة الاحتواء»، يجردها من مسؤوليتها كدولة عظمى تقود العالم نحو الهاوية والانهيار، بدلاً من الاستقرار والأمن والسلام، ويضعها أمام مسؤولياتها

الأخلاقية والإنسانية والقانونية أمام شعبها الذي أدان استمرار حرب الإبادة في غزة، وإشعال الحروب في الشرق الأوسط، سواء في التظاهرات الحاشدة في المدن والتي هتفت « لا للملك، لا نحتاج إلى ديكتاتور آخر» أو في احتجاجات الجامعات أو الأكاديميات ، أو بين أعضاء الكونغرس وسياسيين مخضرمين، أو حتى من بعض أعضاء حزبه ؛ مما يعني اتساع الهوة بين الطبقة السياسية المتنفذة في البيت الأبيض والمجتمع الأمريكي.

إن هذه الدلالات والتداعيات، تؤشر إلى سقوط رهانات وسياسات الأنظمة العربية على الولايات المتحدة ، خاصة تلك التي ملأت جيوب ترامب بمليارات الدولارات والاستثمارات والصفقات، والتي أوهمت شعوبها ؛ بأن هذا سيكون مدعاة تقدمٍ ورقيٍ لبلدانها ورفاهيةٍ لشعوبها، متناسيةً النهجَ والفكر الاستعماري الإمبريالي للإدارة الأمريكية، ونهبها لثروات ومقدرات الشعوب وإفقارها. وسقوط الرهان لكل من يرى في الولايات المتحدة الأمريكية وسيطاً نزيها في عملية السلام، التي لا زالت تعشعش في أذهان الكثير من الأنظمة العربية وعلى رأسها السلطة الفلسطينية.

السؤال الأخير الذي يطرح نفسه هنا: هل ما حدث في مجلس الأمن - بشأن العدوان على إيران والحرب الفاشية على غزة - هو تقويض لدوره ومسؤولياته، ودور الدول الأوروبية العاجزة كما وصفها رئيس وزراء إيرلندا «أن أوروبا غير قادرة على ممارسة الضغط على إسرائيل»؟ وهل هو تفويت الفرصة عليهم لاتخاذ قرار من شأنه أن تصبح الإدارة الأمريكية جزءاً من الكل بدلاً من الكل كله؟ وهل ما حدث من تفاهماتٍ - تحت الطاولة - بين إيران وترامب يؤسس لمرحلة جديدة قد تطال الوضع في غزة؟!! وهل يسعى ترامب لاحقاً الانفراد باتخاذ قرار وقف الحرب، مثلما أنهى الحرب على إيران، سعياً منه لتسجيل هذا الاستحقاق الكبير باسمه شخصياً، خاصةً أنه يحب قطف الثمار ولعب الورقة الأخيرة الحاسمة، وبالتالي يُظهرهُ بأنه رجل السلام الأوحد في العالم؟ لننتظر تصاعد الدخان الأبيض أو الأسود.

من داخل الأسوار:
اليهود أنفسهم يعلنون أن إسرائيل ليست نهاية الطريق

نبال عمر ـ كاتبة صحفية فلسطينية ـ سورية

في خضم التصعيد العسكري بين إسرائيل وإيران، وما يصاحبه من اضطراب داخلي متصاعد داخل الكيان الإسرائيلي، تتكشّف صورة أكثر تعقيدًا مما اعتاده المراقبون في السنوات الماضية.

لم يعد الصراع مجرد حلقات من «الردع المتبادل» أو موجات من «القلق الأمني»، بل بات المشروع الصهيوني نفسه على المحك، بينما تتصاعد في أوساط الداخل الإسرائيلي فكرة جريئة وقاطعة: «إسرائيل ليست نهاية الطريق»، وهي هذه المرة ليست صادرة عن خصومها، بل من داخل أسوارها ومن أفواه أبنائها أنفسهم.

بعيدًا عن الجبهات، يعيش الداخل الإسرائيلي حالة من التآكل الصامت. الانقسام لم يعد سياسيًا فقط، بل اجتماعي وثقافي وديني أيضًا. لم تعد المسألة خلافًا على الحكومة أو زعامة الحزب، بل مسألة وجود: ما الذي يوحّد هذا الكيان؟

وما الذي بقي من شرعية مشروعه؟ الاحتجاجات المستمرة، الانشقاقات داخل الجيش، انهيار الثقة بالمؤسسات، وتصاعد الكراهية بين التيارات العلمانية والدينية، كل ذلك يكشف أن ما يُسمى «الديمقراطية الإسرائيلية» ليس إلا قناعًا هشًا لمنظومة فقدت مبررات بقائها. التصريحات المتناقضة من السياسيين والعسكريين، والاتهامات المتبادلة بين الحكومة وجنرالات الجيش، أظهرت بوضوح حجم الانقسام في مراكز القرار، وسرّعت من اهتزاز ثقة الشارع بما يسمع ويرى.

لم يعد الإسرائيلي ينتظر الحقيقة من حكومته، بل يبحث عنها في المهجر.

خلال الأشهر الأخيرة، تحوّلت هذه العبارة من جملة معزولة إلى فكرة شبه جماعية يتداولها الشباب، والنخب، والمهاجرون الجدد، وحتى بعض العسكريين المتقاعدين. لم يعد الكثيرون يرون في «إسرائيل» نهاية للشتات اليهودي، ولا حتى بداية حقيقية لوطن مستقر.

بل باتوا يعتبرونها مرحلة عابرة، فُرضت تحت الخوف، وتنهار الآن تحت ثقل تناقضاتها. صحيفة هآرتس نشرت تقارير عن عمليات هروب بحرية عبر المتوسط باتجاه قبرص واليونان، في ظاهرة غير مسبوقة. بعض هؤلاء لم يكونوا لاجئين اقتصاديين، بل جنودًا سابقين، ومواطنين يحملون جوازات سفر أوروبية، فضّلوا القوارب على البقاء فيما يعتبره العالم «الوطن القومي الآمن». الانهيار هنا لا يحدث بالقوة العسكرية، بل بالإقرار الداخلي الصامت بأن الفكرة لم تكن قابلة للحياة. الدولة التي وعدت بـ «الاستقرار والهوية والحماية» فقدت الثلاثة معًا.

التصعيد مع إيران ليس مناوشة اعتيادية. القصف المتبادل بلغ مستويات غير مسبوقة، يتضمن استهداف منشآت إستراتيجية، وتهديدات بالرد من عمق الخليج إلى حدود لبنان. لكن الأهم أن هذه المواجهة فتحت الباب لما هو أخطر: حرب إقليمية مفتوحة.

اليمن يتوعّد بمهاجمة المصالح الإسرائيلية في البحر الأحمر. كل هذه المحاور مرتبطة بمستوى واحد: إذا ارتكبت إسرائيل، أو حليفتها الولايات المتحدة، خطأ إستراتيجيًا جديدًا، فإن كل الجبهات قد تُفتح دفعة واحدة.

وسط هذا التصعيد، تبرز فرضية مخيفة في الأوساط السياسية والعسكرية: ماذا لو قررت إيران إغلاق مضيق هرمز؟ هذا المضيق الذي يمر عبره أكثر من خمس التجارة النفطية البحرية في العالم، يُعتبر شريانًا حيويًا للطاقة. إغلاقه – حتى بشكل جزئي – سيكون بمثابة صدمة للاقتصاد العالمي، وتهديد مباشر لمصالح واشنطن وأوروبا واليابان. في هذا السيناريو، لن تبقى الحرب إقليمية. بل ستتحول إلى أزمة عالمية.

وستضطر الولايات المتحدة إلى تصعيد مباشر، وربما شامل، ما يجعل من الشرق الأوسط ساحة مواجهة مفتوحة بين القوى الكبرى، ويضع المنطقة أمام شبح حرب عالمية ثالثة، تبدأ بالنفط ولا أحد يعرف أين تنتهي.

الدور الأمريكي في هذه الحرب لا يمكن قراءته فقط في سياق «التحالف الإستراتيجي» مع تل أبيب. بل الأهم أن واشنطن ترى في هذه الجغرافيا نقطة إستراتيجية تحول دون استكمال الصين لمشروع «الحزام والطريق». طريق الصين التجاري العالمي، الذي يربط شرق آسيا بأوروبا وأفريقيا عبر البر والبحر، يمر من ممرات حيوية في الشرق الأوسط: الخليج، البحر الأحمر، قناة السويس، ثم المتوسط.

وجود كيان وظيفي مثل إسرائيل، مزروع داخل هذا المسار، يوفّر للولايات المتحدة قاعدة أمامية لقطع أو تعطيل هذا الطريق إذا لزم الأمر. ومن هنا، فإن الدعم الأمريكي لا يتعلّق فقط بـ «أمن إسرائيل»، بل بحماية مصالح إستراتيجية كبرى، تتجاوز إسرائيل نفسها. السؤال إذًا لم يعد: ما الذي تحميه أمريكا؟ بل أصبح: هل تحمي واشنطن «إسرائيل»، أم أنها تحمي موقعًا وظيفيًا يمنع استكمال الطريق الصيني؟ وهل باتت مستعدة لإشعال المنطقة كلها من أجل ذلك؟

في ظل هذا الانكشاف الإقليمي، يبدو الكيان الإسرائيلي أقرب إلى الانفجار الذاتي. ليس بسبب صاروخ إيراني أو تهديد خارجي، بل لأن مجتمعه لم يعد يثق بنفسه.

لا أحد يتحدث عن حل سياسي. النخبة السياسية تعيش على «المهدئات الأمنية» و«الدعم الغربي». الشارع يبحث عن أبواب النجاة: بالهجرة، أو بالصمت، أو بالكفر الكامل بالمشروع. إسرائيل لم تعد «الوطن النهائي»، بل محطة عابرة، منهارة، على طريق طويل من الفوضى.

بين التهديدات الإيرانية، والردود الإسرائيلية، والتدخل الأمريكي، والانهيار الداخلي، بات المشهد واضحًا: المنطقة على أبواب حرب شاملة، والكيان الصهيوني لم يعد قادرًا على الصمود داخليًا أو خارجيًا. أما العبارة التي تتردّد في الشوارع، وعلى الأرصفة، وفي رسائل الهاربين عبر البحر، فهي ليست شعارًا سياسيًا، بل حكم نهائي على مشروع انكشف زيفه: «إسرائيل ليست نهاية الطريق».

الاهداف الحقيقية الخطيرة وراء إستراتيجية الاغتيالات الصهيونية المنهجية ضد علماء الذرة الإيرانيين والعرب

نواف الزرو ـ كاتب وباحث سياسي ـ الأردن

-الدولة الصهيونية تخشى العلماء والمفكرين والباحثين، وترتعب من احتمالات اختراعات علمية تكنولوجية عسكرية من شأنها أن تخل بموازين القوى الإستراتيجية .

- يعود تاريخ سياسة الاغتيالات الصهيونية إلى بدايات القرن الماضي، حيث نظر وخطط وسوغ كبار المفكرين والمنظرين الصهاينة للإرهاب الدموي ضد الفلسطينيين والعرب.

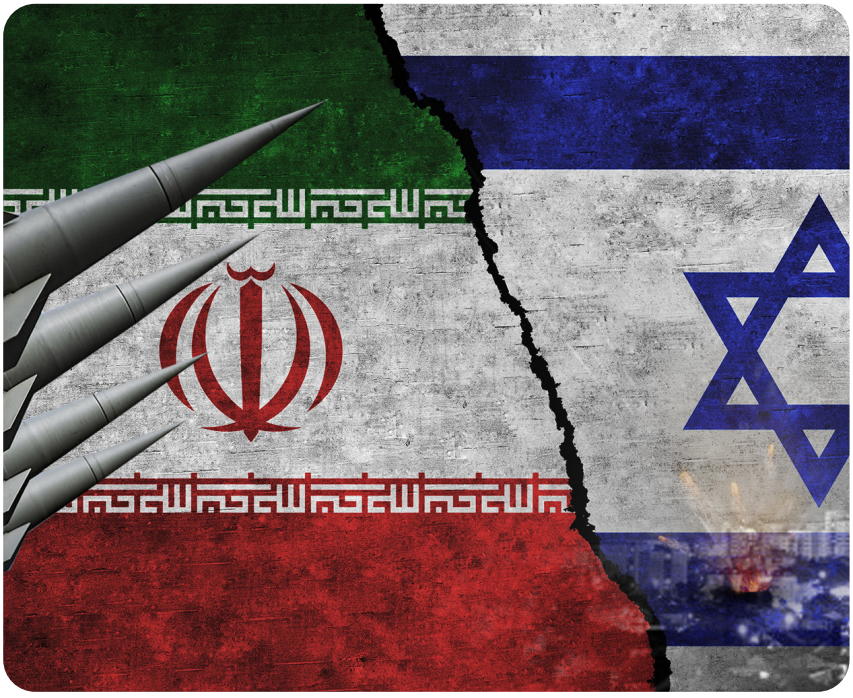

في أحدث وربما أخطر تطورات المشهد الصراعي النووي- الصهيوني- الإيراني تعرض في الأسبوع الاول من العدوان الصهيوني على إيران عدد كبير من علماء الذرة الإيرانيين إلى عمليات اغتيال مخططة مع سبق التبييت والترصد، وقد وصل عددهم إلى 14- 16 عالماً كبيراً، وقبلها ومساء الجمعة 11/27/ 2020 تعرض العالم النووي محسن فخري زادة لعملية اغتيال بالقرب من العاصمة الإيرانية طهران، وقالت الوكالة الإيرانية إنّ «فخري زادة من العلماء المؤثرين في مجال الأبحاث العلمية في إيران» وهو على «قائمة عقوبات الأمم المتحدة»، وفي دلالات التورط الإسرائيلي الصريح في عملية الاغتيال يشار هنا إلى أن رئيس وزراء العدو بنيامين نتنياهو، ذكر في أحد مؤتمراته فخري زادة عام 2018، وأعلنت وسائل إعلام إسرائيلية سابقاً أن «خطة لاغتياله فشلت قبل أعوام»، كما أن الموساد فشل في السابق في اغتيال فخري زادة، فذكر الكاتب يوسي مليمان في كتاب «جواسيس غير مثاليين» أن فخري زادة يعتبر «دماغ ومدير البرنامج النووي العسكري الإيراني» ويضيف أن الموساد وشعبة الاستخبارات العسكرية في الجيش الإسرائيلي (أمان) فشلا في السابق في تحديد موقعه.

يفتح مسلسل عمليات الاغتيالات بالتأكيد ملف الاغتيالات الصهيونية الطويل والخطير ضد العلماء العرب والإيرانيين من جديد على أوسع نطاق، فقبله تم اغتيال العالم النووي المصري، أبو بكر عبد المنعم رمضان، في ظروف غامضة في المغرب، فبحسب المواقع الإعلامية المغربية، أن رئيس الشبكة القومية للمرصد الإشعاعي بهيئة الرقابة النووية والإشعاعية في مصر، رمضان، شعر بمغص حاد، يوم الأربعاء: 2019/09/4، بعدما شرب كوباً من العصير أثناء إقامته في فندق بمنطقة أكدال في مراكش، ونقل إلى مصحة خاصة حيث فارق الحياة. وكان رمضان، وهو في العقد السادس من العمر، قد وصل مراكش للمشاركة في مؤتمر علمي حول الطاقة. وقالت مواقع مغربية إن رمضان كان مكلفاً منذ عام 2015 إلى جانب خبراء آخرين، بدراسة الآثار المحتملة للمفاعلات النووية في بوشهر في إيران وفي ديمونا في إسرائيل. وبذلك تكون عملية وفاة هذا العالم العربي المصري في دائرة الشك والاستهداف الصهيوني، نظراً لتشابه حالات وفاة عشرات العلماء

العرب مع هذه الحالة وليتبين لاحقاً أن الاستخبارات الصهيونية تقف وراء اغتيالهم. ومثل هذه الحالة أيضاً هنالك حالة مقتل الفتاة إيمان حسام الرزة من سكان نابلس، داخل شقتها السكنية في مدينة البيرة بمحافظة رام الله وسط الضفة الغربية المحتلة في آذار 2018، حيث لا يزال الغموض يلف ظروف مقتلها، فيما تواصل النيابة العامة الفلسطينية تحقيقاتها دون أي نتيجة، وهناك علامات استفهام كثيرة تحيط بهذه القضية التي ما تزال تشغل الشارع الفلسطيني بالضفة الغربية، خصوصاً بعد اغتيال العالم الفلسطيني فادي البطش في العاصمة الماليزية كولالمبور. ثم عملية اغتيال مهندس الطيران التونسي محمد الزواري الجمعة 16-12-2016 يضاف إلى كل ذلك عمليات الاغتيال التي نفذت ضد نحو 5500 عالم عراقي بهدف ضرب الجامعات والمؤسسات العلمية لتدمير مستقبل العراق.

قبل ذلك أيضاً، في هذا السياق الاغتيالي الإستراتيجي، وفي إطار الحرب المفتوحة ضد النووي الإيراني، كانت فتحت مسالة «احتجاز الجنرال علي رضا عسكري الذي اختفى عام 2007 ويحمل معلومات عن البرنامج النووي الإيراني وقد احتجز في سجن في إسرائيل»، وكذلك عملية اغتيال العالم النووي الإيراني الكبير مسعود علي محمدي وهومن كبار العلماء النوويين في إيران في انفجار دراجة نارية مفخخة قرب منزله في طهران، ونجاحها قبله في اغتيال ماجد شهرياري واستهداف فيريدون عباسي داواني، ملف الاغتيالات الصهيونية ودور الموساد الإسرائيلي المنتشر في دول المنطقة فيها»، وحسب المعطيات فإن اختطاف عسكري واغتيال محمدي إنما هما حلقة من ضمن سلسلة طويلة من الاغتيالات التي قام بها الموساد الإسرائيلي ضد علماء الذرة العرب والإيرانيين وغيرهم.

فالدولة الصهيونية تخشى في مقدمة ما تخشاه، العلماء والمفكرين والباحثين، وتقلق من قدراتهم العلمية والفكرية والبحثية، وترتعب من إمكانية توصلهم إلى اختراعات علمية تكنولوجية عسكرية أو مدنية سلمية، من شأنها أن تخل بموازين القوى وأن تلحق الضرر بالمصالح العليا للدولة الصهيونية، كما حصل في الحالة العراقية، حيث اعتبرت المؤسسة الأمنية السياسية الإستراتيجية الصهيونية أن التقدم العلمي التكنولوجي العسكري والمدني العراقي «يجمد الدماء في عروق إسرائيل»، ما شكل واحداً من أهم وأخطر الأسباب التي وقفت وراء الحرب العدوانية التدميرية ضد العراق، بل وأكثر من ذلك، حيث قام وما يزال الموساد الإسرائيلي باغتيال نخبة من العلماء والمفكرين العراقيين في ظل الاحتلال الأمريكي..

وهكذا، فإن ملف الاغتيالات الصهيونية ضد نخبة العلماء والمفكرين والأكاديميين والفنيين العرب والإيرانيين يفتح اليوم- أو هكذا المفروض أن يفتح- على أوسع نطاق وبمنتهى الجدية والمسؤولية الوطنية والعروبية لدى كل الوطنيين والعروبيين في كل مكان، في الوقت الذي يستدعي الأمر تحركات إيرانية وعربية -كما يفترض- ورادعة بمنتهى الجدية ودون تأخر على هذا التمادي الصهيوني....!

ولا يخفي الصهاينة سياسات الاغتيال والتصفية ضد العلماء والمفكرين العرب وغير العرب ممن يتعاونون مع العرب، والهدف الكبير لديهم من وراء ذلك، أن تبقى الأمة العربية متخلفة ضعيفة بلا مقومات علمية وتكنولوجية عسكرية، وسجل الاغتيالات النوعية على هذا الصعيد طويل وخطير، نقدم فيما يلي أبرز وأخطر عمليات الاغتيال الصهيونية التي نفذت ضد كبار العلماء والمفكرين العرب في هذا السياق:

1- د. سميرة موسى- عالمة الذرة المصرية

تلقت دعوة لزيارة واشنطن فقتلت هناك في أغسطس عام 1952 قيدت حادثة عالمة الذرة المصرية الدكتورة سميرة موسى ضد مجهول، وجاءت الثورة لتنسي الحكومة أمر متابعة هذه القضية ومحاولة معرفة هوية المتورطين فيها، خاصة أن د. سميرة موسى المولودة في 3 مارس 1917 بإحدى قرى مركز زفتي هي المسؤولة الرسمية عن قراءة الصحف لعمدة القرية، رغم أنها لم تدخل أي مدارس، فقد حفظت القرآن الكريم كله، وعندما لوحظ نبوغها الشديد أفتى شيخ القرية بأهمية تعليم هذه الفتاة التي سيكون لها مستقبل باهر، وبالفعل اصطحبها والدها للقاهرة وفي سن الحادية عشرة التحقت بمدارس الأشراف التي كانت تديرها نبوية موسى وتنبأ لها الجميع بمستقبل باهر ولكنهم لم يتوقعوا لها أن تموت في حادث سيارة شديد الغموض في أمريكا.

صبيحة يوم 15 أغسطس عام 1952 استقلت د. سميرة موسى سيارتها التي يقودها سائق هندي الجنسية واتجهت لكاليفورنيا بدعوة خاصة في هذا اليوم لزيارة معامل الأبحاث النووية بها، طريق كاليفورنيا وعر وذو مسالك جبلية وفجأة صدمت سيارة الدكتورة سميرة سيارةٌ أخرى وقامت بدفعها للهاوية فسقطت السيارة من أعلى الجبل لتموت د. سميرة موسى.

2- الدكتور العلامة علي مصطفى مشرفة

الدكتور علي مصطفى مشرفة وهو عالم فيزياء مصري أطلق عليه اينشتاين العرب ولد في دمياط 11يوليو 1898 ظهر نبوغه الشديد من صغره.. تخرج من مدرسة المعلمين العليا في مصر عام 1917 وأصبح أستاذاً في جامعة القاهرة وهو في سن الثلاثين أرسل في بعثة لإنجلترا وكان أول مصري يحصل على جائزة phd من إنجلترا أعجب اينشتاين بأبحاثه إعجاباً شديداً ووصفه بأنه من

أعظم علماء الفيزياء في العالم. وهو أحد العلماء القلائل الذين توصلوا إلى سر تفتت الذرة. وبنيت على نظرياته أسس صناعة القنبلة الهيدروجينية ولكنه لم يتمنَ أن تصنع ونادى كثيراً بعدم الشروع بأمر صناعتها.. وصنعت بعد قتله في حادث غامض لرفضه الحصول على الجنسية الأمريكية وله نظريات ضخمة في مجالات الذرة وإشعاعات المادة ومؤلفات ضخمة في هذا المجال وبعد وفاته نعاه اينشتاين قائلاً: (لا أصدق أن مشرفة قد مات. أظن أنه يعيش بيننا. حقاً لقد مات نصف العلم).

-3 الدكتور جمال حمدان

أهم جغرافي مصري، وصاحب كتاب «شخصية مصر»، عمل مدرساً في قسم الجغرافيا في كلية الآداب في جامعة القاهرة، وأصدر عدة كتب إبان عمله الجامعي. تنبأ بسقوط الكتلة الشرقية قبل 20 عاماً من سقوطها، وألف كتاب ‹اليهود أنثروبولوجياً› يثبت فيه أن اليهود الحاليين ليسوا أحفاد اليهود الذين خرجوا من فلسطين.

وفي سنة 1993 عثر على جثته والنصف الأسفل منها محروقاً، واعتقد الجميع أن د. حمدان مات متأثراً بالحروق، ولكن د. يوسف الجندي مفتش الصحة بالجيزة أثبت في تقريره أن الفقيد لم يمت مختنقاً بالغاز، كما أن الحروق ليست سبباً في وفاته، لأنها لم تصل لدرجة إحداث الوفاة واكتشف المقربون من د. حمدان اختفاء مسودات بعض الكتب التي كان بصدد الانتهاء من تأليفه، وعلى رأسها كتابة ‹اليهودية والصهيونية›، مع العلم أن النار التي اندلعت في الشقة لم تصل لكتب وأوراق د. حمدان، مما يعني اختفاء هذه المسودات بفعل فاعل.

وحتى هذه اللحظة لم يعلم أحد سبب الوفاة ولا أين اختفت مسودات الكتب التي كانت تتحدث عن اليهود.

-4 العالم سمير نجيب

يعتبر العالم سمير نجيب عالم الذرة المصري من طليعة الجيل الشاب من علماء الذرة العرب، فقد تخرج من كلية العلوم بجامعة القاهرة في سن مبكرة، وتابع أبحاثه العلمية في الذرة.

تم ترشيحه للسفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية في بعثة، وعمل تحت إشراف أساتذة الطبيعة النووية والفيزياء وسنه لم تتجاوز الثالثة والثلاثين.

-5 الدكتور سعيد السيد بدير

سعيد السيد بدير عالم مصري تخصص في مجال الاتصال بالأقمار الصناعية والمركبات الفضائية خارج الغلاف الجوي من مواليد روض الفرج بالقاهرة في 4 يناير1944 وتوفي في 14 يوليو 1989 بالإسكندرية في واقعة يصفها الكثيرون أنها عملية قتل متعمدة. وهو ابن الممثل المصري السيد بدير.

-6 الدكتور نبيل القليني

خرج من منزله ولم يعد..

قصته غاية في الغرابة، فقد اختفى منذ عام 1975 ولم يُعرف مصيره بعد. كان هذا العالم قد أوفدته كلية العلوم في جامعة القاهرة إلى تشيكوسلوفاكيا للقيام بمزيد من الأبحاث والدراسات في الذرة، فكشف عن عبقرية علمية كبيرة تحدثت عنها جميع الصحف التشيكية، ثم حصل على الدكتوراه في الذرة من جامعة براغ، وفي صباح 27 يناير (كانون الثاني) من عام 1975 دق جرس الهاتف في الشقة التي كان يقيم فيها الدكتور القليني، فخرج ولم يعد إلى الآن!

-7 الدكتور نبيل أحمد فليفل

نبيل أحمد فليفل عالم ذرة عربي شاب، استطاع دراسة الطبيعة النووية، وأصبح عالماً في الذرة وهو في الثلاثين من عمره، وعلى الرغم من أنه كان من مخيم ‹الأمعري› في الأراضي الفلسطينية المحتلة، فقد رفض كل العروض التي انهالت عليه – وفي الخفاء وعن طريق الوسطاء– للعمل في الخارج وكان يشعر أنه سيخدم وطنه بأبحاثه ودراساته العلمية وفجأة اختفى الدكتور نبيل، ثم في يوم السبت الموافق 1984/4/28 عثر على جثته في منطقة ‹بيت عور›، ولم يتم التحقيق في شيء.

-8 الدكتورة السعودية سامية عبد الرحيم ميمني

كان لها أكبر الأثر في قلب موازين عمليات جراحات المخ والأعصاب، كما أنها جعلت من الجراحات المتخصصة الصعبة جراحات بسيطة سهلة بالتخدير الموضعي، عرض عليها مبلغ من المال والجنسية الأميركية مقابل التنازل عن بعض اختراعاتها، ولم يكن المبلغ بسيطاً بل كان العرض خمسة ملايين دولار أميركي إضافة للجنسية الأميركية ورفضت العرض واستمرت الدكتورة سامية في دراستها وإنجاز أبحاثها ولم يصبها اليأس إلى أن حلت الفاجعة الكبرى عندما نشرت محطة الـCNN خبر وفاتها.

-9 الدكتورة سلوى حبيب

الدكتورة سلوى حبيب الأستاذة بمعهد الدراسات الأفريقية كانت من أكثر المناهضين للمشروع الصهيوني، وصبت اهتمامها في كشف مخططات القادة الإسرائيليين نحو القارة الأفريقية وربما كان كتابها الأخير «التغلغل الصهيوني في أفريقيا»، والذي كان بصدد النشر، مبرراً كافياً للتخلص منها، حيث عثر على جثتها وهي مذبوحة في شقتها وفشلت جهود رجال المباحث في الوصول لحقيقة مرتكبي الحادث، خاصة أن سلوى حبيب كانت نموذجاً أقرب لنموذج الدكتور جمال حمدان فيما يتعلق بالعزلة وقلة عدد المترددين عليها.

-10 الدكتور حسن كامل صباح (أديسون العرب)

يصل عدد ما اخترعه حسن كامل الصباح من أجهزة وآلات في مجالات الهندسة الكهربائية والتلفزة وهندسة الطيران والطاقة إلى أكثر من 176 اختراعًا.

وقد حدثت الوفاة المفاجئة مساء يوم الأحد 31 مارس 1935 وكان حسن كامل الصباح عائدًا إلى منزله فسقطت سيارته في منخفض عميق ونقل إلى المستشفى، ولكنه فارق الحياة وعجز الأطباء عن تحديد سبب الوفاة خاصة وأن الصباح وجد على مقعد السيارة دون أن يصاب بأية جروح مما يرجح وجود شبهة جنائية خاصة.

-11 العالم اللبناني رمال حسن رمال

أحد أهم علماء العصر في مجال فيزياء المواد كما وصفته مجلة لوبوان، التي قالت أيضاً إنه مفخرة لفرنسا كما تعتبره دوائر البحث العلمي في باريس السابع من بين مئة شخصية تصنع في فرنسا الملامح العلمية للقرن الحادي والعشرين،

جاءت الوفاة في ظروف مريبة حيث حدثت في المختبر ووسط الأبحاث العلمية التي تحدثت عنها فرنسا، كما جاءت الوفاة عقب وفاة عالم مسلم آخر هو الدكتور حسن كامل صباح.

لم يستبعد وجود أصابع خفية وراء الوفاة التي تتشابه مع وفاة العالم حسن صباح في عدم وجود آثار عضوية مباشرة على الجثتين.

-12 عالم الذرة المصري يحيى المشد

اعترفت "إسرائيل" والولايات المتحدة الأمريكية رسمياً قبل أيام، باغتيال العالم المصري يحيى المشد، وذلك من خلال فيلم تسجيلي مدته 45 دقيقة، وعرض على قناة ديسكفري الوثائقية الأمريكية، تم تصويره بالتعاون مع الجيش الإسرائيلي وحمل عنوان (غارة على المفاعل)، ويتناول الفيلم تفاصيل ضرب المفاعل النووي العراقي عام1981، وفى هذا السياق كان لا بد للفيلم من التعرض لعملية اغتيال الموساد ليحيى المشد، باعتبارها خطوة تأمينية ضرورية لضمان القضاء الكامل على المشروع النووي العراقي.

ويذكر الفيلم أن الموساد استطاع اختراق مفوضية الطاقة الذرية الفرنسية واستطاع تحديد شخصية عالم مصري بارز يعمل لصالح صدام في باريس، وقد عرضت عليه المخابرات الإسرائيلية الجنس والمال والسلطة مقابل تبادل معلومات حول المفاعل، وعندما وجد الموساد أن المشد لا يهتم بالتعاون معهم قرروا القضاء عليه، وينتقل الفيلم إلى المعلق عارضاً مشاهد للفندق الفرنسي وصوراً للعالم حيث يقول المعلق: في يوم السبت الموافق 14 حزيران 1980 قام الدكتور المشد بالحجز في فندق ميريديان باريس لكن عملاء الموساد دخلوا وقتلوه- وكالات- 24 / 06 / 2012».

*** قصة تدمير المفاعل العراقي**

وفي سياق متصل، في إطار الاعترافات بجرائم الموساد أيضاً، كان ناحوم أدموني رئيس الموساد سابقاً قد كشف النقاب مؤخراً عن «أن الموساد الإسرائيلي (الاستخبارات الخارجية) قام بعمليات عسكرية داخل الأراضي الفرنسية قبل قيام سلاح الطيران الإسرائيلي بتفجير المفاعل النووي العراقي في شهر حزيران (يونيو) من العام 1981/ عن صحيفة معاريف العبرية 13/ 4/ 2007 ».

وقالت الصحيفة العبرية إنه للمرة الأولى يوافق قادة الموساد الإسرائيلي على الكشف عن حيثيات العملية الإسرائيلية، وقال رئيس الموساد آنذاك أدموني «إن هذه العملية هي أكبر عملية عسكرية نوعية قام بتنفيذها الموساد الإسرائيلي في القرن العشرين».

وكشف أدموني في سياق حديثه «أن عناصر الموساد الإسرائيلي قاموا قبل قصف المفاعل النووي العراقي بعمليات داخل الأراضي الفرنسية قبل قيام الفرنسيين بتزويد العراقيين بالمعدات اللازمة لإقامة المفاعل النووي»، ووفق روايته فإن عشرات من عناصر الموساد أرسلوا بموافقة المستوى السياسي في الدولة العبرية إلى الأراضي الفرنسية، حيث قاموا هناك بأعمال تجسس وتحريات دون أن يتمكن الفرنسيون وأجهزة مخابراتهم من الكشف عنهم وعن المهمة المنوطة بهم».

ولذلك نؤكد دائماً: ابحثوا عن الأصابع الصهيونية وراء ليس فقط سلسلة الاغتيالات ضد نخبة العلماء العرب والإيرانيين بل ووراء كل التفجيرات الإرهابية سواء في العراق أو لبنان أو إسطنبول أو أي دولة أخرى على الطريق، طالما أن هذه التفجيرات إرهابية وتخريبية تستهدف أولاً إشعال نار الفتنة والفوضى والحروب الأهلية الداخلية، وطالما هي تخدم في محصلتها فقط الأجندة الصهيونية.

فكل المؤشرات والمعطيات الموثقة وجزء كبير منها من مصادر أمريكية وإسرائيلية، تقود إلى الاستخلاص الكبير الخطير: «الموساد» الصهيوني وراء الاغتيالات ضد العلماء والمفكرين، وكذلك وراء تفجيرات واغتيالات بيروت.. وقبلها تفجيرات واغتيالات العراق...وقبلها تفجيرات واغتيالات مصر ...!

ويبقى الغائب الكبير المخجل في هذا المشهد هو عدم الرد الحقيقي والرادع على هذا الإجرام الصهيوني من أي جهة كانت عربية أو إيرانية أو دولية/ أممية....؟!

تحقيق الهدف

النكسة ترتد على العدو: حزيران يحترق بنار إيران

أحمد زقوت ـ صحفي فلسطيني ـ غزة

تمر ذكرى نكسة حزيران هذا العام على الفلسطينيين في قطاع غزة وقد باتت «النكسة» بالنسبة لهم حدثًا يوميًا متكررًا، لا مجرد لحظة تاريخية تُستعاد في الذاكرة، فبينما تواصل آلة الحرب الصهيونية حصد الأرواح وتدمير الحجر والبشر، جاءت صواريخ إيران لتكسر جدار الصمت، وتحمل توقيعًا مختلفًا: رسالة نار في وجه الاحتلال، وصوتًا لا يشبه الانكسار بل يعلن رفض الهزيمة.

وفي الذكرى التي دفنت فيها الكرامة العربية تحت ركام الهزيمة عام 1967، يتشكّل هذا العام مشهدٌ جديد يحمل بعدًا رمزيًا وزمنيًا ثقيلًا، ففي شهر الانهيار الكبير، حيث سقطت فيه القدس والضفة وغزة والجولان وسيناء، اختارت طهران أن تردّ على طريقتها لا بالكلمات والخطب، بل بالرشقات الدقيقة والمسيرات المتفجّرة، في صفعة تاريخية تؤكد أنّ حزيران لا يجب أن يُكتب دائمًا بلون الهزيمة.

من نكسة إلى مواجهة واشتباك

المسنّ محمود عودة، البالغ من العمر 67 عامًا، استعاد في مقابلة مع «مجلة الهدف»، مشاهد الهزيمة التي لم تغادر ذاكرته منذ كان طفلًا في العاشرة من عمره، قائلاً: «كنت أسمع دوي الطائرات الصهيونية وهي تضرب العمق العربي، وشاهدت الجنود ينسحبون دون مقاومة تُذكر، وقتها، ورغم صغر سني، عرفت أن الأمة خذلت فلسطين».

ورأى عودة أن الخسارة كانت معنوية قبل أن تكون جغرافية، مضيفًا أنّ «الضفة سقطت، وغزة احُتلت، والقدس والجولان وقعوا في يد أكثر الناس دموية، واليوم بعد 57 سنة، غزة ما زالت محاصرة ومقصوفة، لكن لما سمعت عن صواريخ إيران وهي تضرب «تل أبيب»، شعرت أن الزمن تغيّر، وأنه ربما جاء وقت الردّ بالنار بدل الانتظار، فالضربات كسرت صمتًا عمره عقود».

وختم حديثه بنبرة مشوبة بالأمل والحذر: «ما بدي أوهام، بس كل صوت بيرعب الاحتلال، ولو لثوانٍ، هو خطوة لقدام، حزيران كان بداية الانهيار، ويمكن حزيران 2025 يكون بداية كسر المعادلة.»

أما المواطنة فاطمة اليازجي، من مخيم الشاطئ، وصفت نكسة حزيران بأنها بداية وجع طويل، لم يبرأ مع الزمن، مبينةً أنّها كانت شابة حينذاك، إذ شاهدت الوطن يُسلَّم قطعةً بعد أخرى، حيث لم تكن الهزيمة فقط على الأرض، بل في القلب والوجدان.

وحين سألتها «الهدف» عن الضربات الإيرانية الأخيرة، أجابت بصوت يملأه الأمل: «شعرت براحة لم أعرفها منذ سنوات، كأن هناك من يردّ على الظلم الذي يفتك بنا منذ عقود، قد لا تغيّر الضربات وحدها المعادلة، لكنها بداية تُنبئ بأن الهزيمة لم تعد قدرنا».

وفيما يتعلق بخذلان بعض الأنظمة العربية، أوضحت اليازجي بغضب، أنّ «الأنظمة التي تختار الصمت أو التعاون مع الاحتلال خذلت شعبها وقضيته»، لافتةً إلى أنّ «الكلمات وحدها لا تكفي، ولا تساوي شيئًا أمام الدم والدموع التي تسيل على أرضنا، والتطبيع خيانة كبيرة، ونحن بحاجة لأن تعود هذه الأنظمة إلى ضميرها قبل فوات الأوان، وأنّ يكون الصوت العربي واحدًا وحرًا.»

وأعربت المواطنة عن أملها في أن ترى الأجيال القادمة فلسطين حرة، بلا احتلال ولا ظلم، وأن يبقى صوت المقاومة حيًّا، وأن تمتد كل يد حرّة لنصرة غزة وشعبها، مؤكدة أنّه لا أمل دون وحدة ولا نصر بلا قوة.

الكرامة لا تُستجدى بالصمت بل تُفرض بالنار

من جهته، اعتبر الشاب غيث أبو صالح أن نكسة حزيران ليست ذكرى عابرة، بل واقعًا مريرًا ما زال يتكرر بأشكال مختلفة حتى اليوم، إذ قال في حديثه لـ«الهدف»: «النكسة لم تنتهِ، بل تم تغييبها وتجميلها، فيما بقيت نتائجها قائمة، ولم تكن الهزيمة في حزيران 1967 فقط عسكرية، بل كانت سياسية وأخلاقية، تكرّست بصمت الأنظمة وركونها إلى سلام زائف وتطبيع مهين».

وبشأن الضربات الإيرانية الأخيرة على الكيان، أوضح أبو صالح، أنّ «ما فعلته طهران يُعد ردًّا عمليًا يكسر حالة الجمود والهزيمة التي طغت على المشهد العربي، صحيح أن المواجهة المباشرة مع الاحتلال ليست خيارًا متاحًا للجميع، لكن رؤية صواريخ تخترق سماء «تل أبيب» هي بارقة أمل، ورسالة بأن المقاومة لا تزال حيّة، وقد لا تكون هذه الضربات كافية، لكنها خطوة في الاتجاه الصحيح».

وفي تعقيبه على موجة التطبيع العربي، عبّر أبو صالح عن أسفه وغضبه، قائلًا: «التطبيع خيانة كبرى ومذلّة، يمنح شرعية للاحتلال، ويُهمل جوهر القضية الفلسطينية، وفي كل يوم نرى اتفاقيات جديدة تُبرم، بينما تتساقط القذائف على غزة، وهذا الواقع يجعل من الصعب قلب المعادلة، ويشكّل صفعة لكل فلسطيني وعربي حر، ويُقوّض أي أمل في موقف عربي موحّد وفاعل».

ودعا الشاب غيث أبو صالح الشعوب العربية وأحرار العالم إلى كسر حالة الصمت، والتحرك الجاد لنصرة القضية الفلسطينية بالفعل والموقف، لا بالشعارات، مؤكدًا أنّ الأمل معقود على الشعوب لا على الأنظمة.

«كفى خيانة».. غزة لا تنكسر

بدورها، تحدّثت الشابة ليان الصوفي من مدينة غزة المحاصرة عن مشاهد الألم والدمار التي تملأ يوميات سكان القطاع، مؤكدة أن ما تعيشه غزة اليوم أشبه بـ«محرقة حقيقية».

وقالت في حديثها إلى «الهدف»: «الدمار والدموع يملآن كل زاوية، وتُهدم البيوت فوق رؤوس ساكنيها، يُفقد الأطفال أهلهم، ويعيش الناس ألمًا لا يُوصف، ورغم ذلك نبقى صامدين، لأننا نؤمن أن الحق لا يموت، وأن صوتنا، مهما حوصِر، سيبقى

عاليًا».

وعن القصف الإيراني الذي استهدف «تل أبيب»، أضافت الصوفي، أنّه «عندما سمعت الخبر، شعرت بنوع من العدالة بدأت تأخذ مجراها، وهذا الرد لم يكن مجرد ضربة عسكرية، بل رسالة واضحة للعالم، بأننا شعب حي، والمحتل لن يكون في أمان دائم، وصواريخ المقاومة تذكّرهم بأن دماء أطفال غزة ليست رخيصة».

أما عن الموقف العربي والدولي، فأكدت الصوفي بمرارة، أنّ «الخذلان العربي والدولي موجع حدّ الخيانة، فالعرب الذين يُفترض أنهم إخوتنا، باتوا يبيعون قضيتنا باتفاقيات التطبيع، والغرب، خاصة أمريكا وأوروبا، يموّلون القتل ويدعمون الاحتلال ويتجاهلون معاناة شعبنا».

وختمت الصوفي رسالتها بنداء إلى الضمير العالمي: «انظروا إلى غزة كما هي، لا كما تُشوهها روايات الإعلام الموجّه، ولا تغضوا أبصاركم عن دمائنا ودمارنا، ولا تتركوا الاحتلال يفلت من العقاب، والدعم الحقيقي لا يكون بالصمت أو التواطؤ، بل بالوقوف إلى جانب الحق، مهما كان الثمن».

لم تكن الضربات الإيرانية التي استهدفت عمق الكيان الصهيوني مجرّد ردٍّ عسكري، بل جاءت كرسالة نار في وجه الخذلان العربي والصمت الرسمي، تأكيدًا أن المقاومة ليست شعارًا يُرفع، بل فعل يُمارس.

وفي زمن التطبيع العربي المُذلّ، حيث تُباع المبادئ مقابل الصفقات، حملت تلك الصواريخ صوتًا مختلفًا: الكرامة لا تُشترى، وحزيران لا يجب أن يبقى نكسة أبدية، بل يمكن أن يكون بداية لعصر جديد من الرفض، والمواجهة، واستعادة المعنى الحقيقي للكرامة العربية.

فهل يدرك العرب أن الصواريخ التي اخترقت سماء «تل أبيب» هي صوت الغضب الذي لم ينبض من عواصمهم، ورسالة تُطالبهم بإعادة النظر في مواقفهم؟ أم سيظلون أصدقاء للمحتلّين وخونة لقضيتهم.

تقرير:

تكلفة المواجهة بين ايران والكيان

مع إعلان وقف إطلاق النار بين الطرفين، تكبدت إسرائيل خسائر مادية ضخمة خلال أيام الحرب، إذ قُدرت تكلفة العمليات الدفاعية بمئات الملايين من الدولارات يوميًا، فيما أشارت تقديرات خبراء، إلى أن تكلفة صواريخ الاعتراض بلغت نحو 200 مليون دولار يوميًا.

وتمتلك إسرائيل، عدة أنظمة متطورة باهظة الثمن تُستخدم لاعتراض الصواريخ القصيرة والطويلة المدى، منها نظام «مقلاع داود» التي بلغت تكلفته حوالي 700 ألف دولار لكل عملية اعتراض، بحسب يهوشوا كاليسكي، الباحث في معهد دراسات الأمن القومي في تل أبيب.

وفيما يتعلق بأنظمة الدفاع الجوي المتعلقة بالتصدي للصواريخ الباليستية فتمتلك إسرائيل، نظام «أرو 3» الذي أستُخدم لاعتراض الصواريخ بعيدة المدى فبلغت تكلفة كل اعتراض فيه نحو 4 ملايين دولار.

والنسخة الأقدم فهي «أرو 2» أستُخدمت أيضا لاعتراض الصواريخ الباليستية، كلفت ما يقارب 3 ملايين دولار لكل عملية اعتراض.

وتكبد الاحتلال أضرار داخلية وخسائر في البنى التحتية خاصة في معهد وايزمان (ملياري شيكل) ، ومصفاة بازان لتكرير النفط في حيفا ، بالإضافة إلى 25 مبنى يجب هدمها، حيث قُدرت تكلفة إصلاح المباني المتضررة في مدن مثل تل أبيب وحيفا وبئر السبع بأكثر من 400 مليون دولار. وفيما يخص الخسائر البشرية، وأعلن مقتل ما يقرب من 30 إسرائيليًا خلال المواجهات، بحسب ما نقلته وسائل وكالات أنباء دولية.

ونقل شاروني عن جامعة رايخمان تقديرها أن حربًا لمدة شهر ستُكلّف 40 مليار شيكل، وأن الأضرار التي لحقت بالممتلكات في الجبهة الداخلية (الشقق والسيارات ومحتويات المنازل) تقدر حاليًا بنحو 3 مليارات شيكل، وهذا لا يشمل الأضرار غير المباشرة مثل تعويضات الشركات (المُقدّرة بنحو 5 مليارات شيكل التي يرفض سموتريتش دفعها) والأضرار التي لحقت بالناتج المحلي الإجمالي.

و تحدث آدم بلومبيرغ نائب مدير الاقتصاد في الهستدروت في مقابلة إذاعية نشرتها صحيفة «معاريف» عن أن تكلفة إغلاق الاقتصاد الإسرائيلي بسبب الحرب تبلغ تقريبا مليار ونصف شيكل يوميا. (الدولار يساوي 3.42 شواكل تقريبا).

اعترف العدو بأن خسائره جراء الحرب تفوق (3) مليارات دولار وأن خسائر المستوطنين بلغت أكثر من مليار دولار/ وقد تلقى صندوق التعويضات في سلطة الضرائب الإسرائيلية نحو 39 ألف طلب للتعويض عن أضرار مادية مباشرة، جراء سقوط صواريخ إيرانية داخل (إسرائيل /(وذكرت صحيفة "يديعوت أحرونوت" أن صندوق التعويضات تلقى حتى 24 حزيران حوالي 38 ألفا و700 طلب تعويض منذ بداية الحرب الإسرائيلية الإيرانية في 13 يونيو/ حزيران 2025 ،ومن بين تلك الطلبات 30 ألفا و809 طلبات تعويض عن أضرار لحقت بمبان مباشرة، و3713 طلبا عن أضرار بمركبات و4085 طلبا عن أضرار بمعدات وغيرها.

و تعرضت إيران لأضرار مادية جسيمة في المواقع العسكرية والنووية والاستراتيجية، حيث تُشير التقديرات إلى أن تكلفة الخسائر قد تصل إلى عدة مليارات من الدولارات خاصة في منشآت نطنز وفوردو وأصفهان التي تعرضت لقصف أمريكي مباشر يوم السبت (2025/6/21).

وبالرغم من عدم توافر تقييم دقيق لحجم الضرر الذي لحق بإيران جراء الحرب، فإن سنوات من الاستثمار في هذه المنشآت تشير إلى تكاليف هائلة لإعادة بناؤوها مرة أخرى.

وأسفر الهجوم العدواني على ايران عن مقتل 650 شخصًا، وإصابة الآلاف بجروح متفاوتة، وفقا لما نقلته وكالة تسنيم الإخبارية.

وفقدت إيران علماء نووين بارزين، بالإضافة إلى كبار قادة عسكريين ومن أبرزهم رئيس الأركان محمد حسين باقري، وقائد الحرس الثوري حسين سلامي وقائد مقر «خاتم الأنبياء» وعدد من القيادات العليا في الحرس الثوري.ومن بين العلماء النوويين، فقدت إيران، العالم فريدون عباسي دوائي فهو عالم فيزيائي، وكان له دورًا بارزًا في برنامج تخصيب اليورانيوم. والعالم الفيزيائي النووي محمد مهدي طهرانجي وغيرهم من العلماء النوويين.

ترجمة

ترامب يعلن النصر... والاستخبارات تكشف الخديعة

ناتاشا برتراند، كاتي بو ليليس، زكاري كوهين - سي إن إن 2025/6/25

ترجمة: نور نوارة

الضربات العسكرية الأمريكية التي استهدفت ثلاثة من المنشآت النووية الإيرانية نهاية الأسبوع الماضي لم تُدمّر المكونات الأساسية لبرنامج إيران النووي، ومن المرجّح أنها أخّرته لبضعة أشهر فقط، وفقاً لتقييم استخباراتي أمريكي أولي، وصفه سبعة أشخاص اطّلعوا عليه.

تحليل الأضرار التي لحقت بالمواقع وتأثير الضربات على طموحات إيران النووية لا يزال جارياً، وقد يتغيّر مع توافر المزيد من المعلومات الاستخباراتية. لكن النتائج الأولية تتعارض مع تصريحات الرئيس دونالد ترامب المتكررة بأن الضربات «دمّرت بالكامل وبشكل تام» منشآت تخصيب اليورانيوم الإيرانية. كما قال وزير الدفاع بيت هيغسث، يوم الأحد، إن طموحات إيران النووية «تم تدميرها تماماً».

وذكر اثنان من الأشخاص المطلعين على التقييم أن مخزون إيران من اليورانيوم المخصب لم يُدمّر. وقال أحدهم إن أجهزة الطرد المركزي لا تزال «سليمة إلى حد كبير». وأضاف مصدر آخر أن المعلومات الاستخباراتية تشير إلى أن اليورانيوم المخصب تم نقله خارج المواقع قبل الضربات الأمريكية.

وقال هذا المصدر: «تقييم وكالة استخبارات الدفاع هو أن الولايات المتحدة أخّرت البرنامج ربما لبضعة أشهر، كحد أقصى».

وقالت كارولين ليفيت، المتحدثة باسم البيت الأبيض، في بيان لـ"سي إن إن" : «هذا التقييم المزعوم خاطئ تماماً وكان مصنفاً على أنه ‹سري للغاية›، لكنه تسرّب مع ذلك إلى "سي إن إن" من قبل شخص مجهول من المستويات الدنيا في مجتمع الاستخبارات في محاولة واضحة لتقويض الرئيس ترامب وتشويه سمعة الطيارين الشجعان الذين نفذوا مهمة ناجحة بكل المقاييس لتدمير البرنامج النووي الإيراني.

ورد ترامب، الذي يشارك حالياً في قمة الناتو في هولندا، على تقرير "سي إن إن" عبر منشور على منصة «تروث سوشال»، وكتب: «إحدى أنجح الضربات العسكرية في التاريخ»، مضيفاً بالأحرف الكبيرة: «المواقع النووية في إيران تم تدميرها بالكامل!»

وقال هيغسث، المتواجد أيضاً في قمة الناتو، يوم الأربعاء، إن التقييم «تقرير سري للغاية؛ وكان أولياً؛ ويعتمد على ثقة منخفضة»، مضيفاً أن هناك دوافع سياسية وراء تسريبه، وأن تحقيقاً من قبل مكتب التحقيقات الفيدرالي جارٍ لتحديد هوية المسرِّب.

وكانت إسرائيل قد نفذت ضربات على منشآت نووية إيرانية لعدة أيام قبل العملية العسكرية الأمريكية، لكنها قالت إنها بحاجة إلى قنابل خارقة للتحصينات الأمريكية زنة 30,000 رطل لإنهاء المهمة.

وعلى الرغم من أن القاذفات الأمريكية من طراز B-2 أسقطت أكثر من اثنتي عشرة من هذه القنابل على منشأتين نوويتين – وهما محطة فوردو لتخصيب الوقود ومجمع نطنز لتخصيب اليورانيوم – إلا أن هذه القنابل لم تدمر بالكامل أجهزة الطرد المركزي واليورانيوم عالي التخصيب، بحسب المصادر المطلعة على التقييم.

بدلاً من ذلك، اقتصر تأثير الضربات على المواقع الثلاثة – فوردو، نطنز، وأصفهان – على البنى التحتية فوق الأرض، والتي تعرضت لأضرار جسيمة، بحسب المصادر. ويشمل ذلك بنية الطاقة التحتية وبعض المنشآت السطحية المستخدمة في تحويل اليورانيوم إلى معدن لصناعة القنابل.

ووجد التقييم الإسرائيلي أيضاً أن الأضرار في فوردو كانت أقل مما كان متوقعاً. ومع ذلك، يعتقد المسؤولون الإسرائيليون أن العملية العسكرية المشتركة بين الولايات المتحدة وإسرائيل على عدة مواقع نووية أرجأت البرنامج النووي الإيراني لعامين، شريطة ألا تتمكن إيران من إعادة بناء منشآتها دون عوائق – وهو ما تقول إسرائيل إنها لن تسمح به. وكانت إسرائيل قد صرّحت علناً قبل العملية الأمريكية أن البرنامج النووي الإيراني تأخر بالفعل لمدة عامين.

وفي صباح الأربعاء، هاجم ترامب الإعلام، بما في ذلك "سي إن إن" ، لكنه تمسك بأن الضربات أخّرت طموحات إيران النووية لعقود. ومع ذلك، أقر الرئيس الأمريكي بأن المعلومات الاستخباراتية «غير حاسمة» وأولية، واقترح أن تقدم إسرائيل قريباً صورة أوضح عبر نتائج تقييماتها الخاصة.

وصباح الأربعاء، قال مسؤول رفيع في وكالة استخبارات الدفاع في بيان: «ما زلنا غير قادرين على معاينة المواقع الفعلية بأنفسنا، وهو ما سيمنحنا أفضل مؤشر.

من جهته، لم يرد النائب الجمهوري مايكل ماكول، الرئيس الفخري السابق للجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب، على مزاعم ترامب بأن البرنامج النووي الإيراني قد «تم تدميره» عندما سألته "سي إن إن" يوم الثلاثاء.

وقال ماكول: «لقد تم اطلاعي سابقاً على هذا المخطط، ولم يكن الهدف منه قط تدمير المنشآت النووية بشكل كامل، بل التسبب بأضرار كبيرة»، وأضاف: «لكن كان معروفاً دائماً أن التأثير سيكون مؤقتاً».

ووافق جيفري لويس، خبير الأسلحة وأستاذ في معهد ميدلبري للدراسات الدولية، الذي قام بمراجعة صور الأقمار الصناعية التجارية للمواقع المستهدفة، على التقييم الذي يفيد بأن الهجمات لم تنهِ البرنامج النووي الإيراني.

وقال لويس: «وقف إطلاق النار جاء دون أن تتمكن إسرائيل أو الولايات المتحدة من تدمير العديد من المنشآت النووية الرئيسية المحصّنة تحت الأرض، بما في ذلك بالقرب من نطنز وأصفهان وبارتشين»، في إشارة إلى اتفاق وقف إطلاق النار بين إيران وإسرائيل الذي أعلنه ترامب يوم الاثنين.

وفي وقت سابق من يوم الثلاثاء، تم إلغاء الإيجاز السري المقرر لكل من مجلسي النواب والشيوخ حول العملية دون أن يتضح سبب التأجيل أو موعد إعادة جدولته.

وقال النائب الديمقراطي بات رايان من نيويورك عبر منصة X يوم الثلاثاء: «ترامب ألغى للتو الإيجاز السري لمجلس النواب حول ضربات إيران دون أي تفسير. السبب الحقيقي؟ يدّعي أنه دمر ‹جميع المنشآت والقدرات النووية›، بينما يعلم فريقه أنهم لا يستطيعون دعم مزاعمه الفارغة والمضللة.»

كما أفادت "سي إن إن" سابقاً، لطالما كانت هناك تساؤلات حول ما إذا كانت القنابل الخارقة للتحصينات الأمريكية، المعروفة باسم القنابل الخارقة الكبرى، قادرة فعلاً على تدمير المنشآت النووية الإيرانية المحصنة جيداً تحت الأرض – وخصوصاً في فوردو وأصفهان، أكبر مجمع بحثي نووي في إيران.

ومن الجدير بالذكر أن الولايات المتحدة استهدفت أصفهان بصواريخ توماهوك أُطلقت من غواصة، بدلاً من استخدام قنبلة خارقة للتحصينات. ويعود ذلك إلى إدراكٍ بأن القنبلة من المرجّح ألا تتمكن من اختراق المستويات السفلى في أصفهان، والتي تُعد أعمق حتى من فوردو، وفقاً لأحد المصادر.

ويعتقد المسؤولون الأمريكيون أيضاً أن إيران تحتفظ بمنشآت نووية سرية لم تُستهدف في الضربة وتظل نشطة، بحسب مصدرين مطلعين على الأمر.

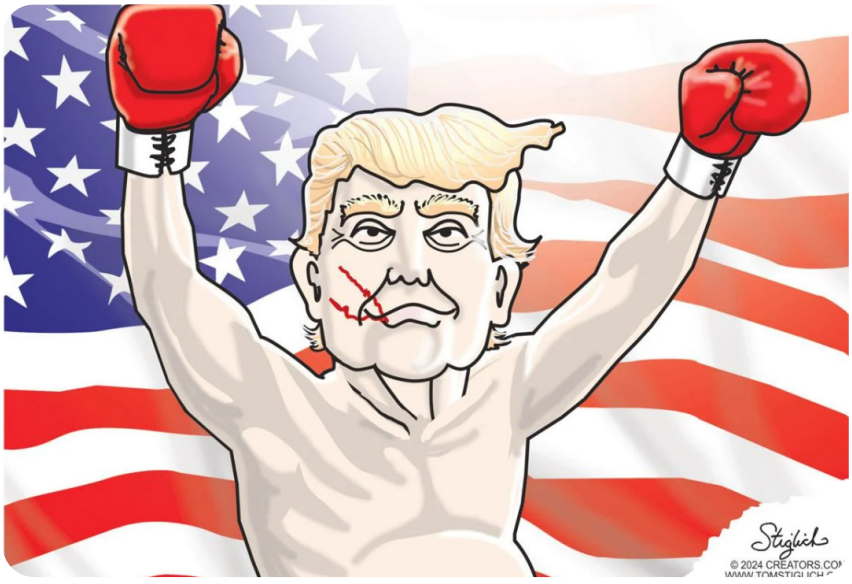

حوار الهدف الثقافي

مع المخرج نجاش عبد الرحمن

حوار: د. وائل الزريعي - نيروبي

على هامش الاحتفال بيوم التحرر الأفريقي بالعاصمة الكينية نيروبي يوم 25 مايو 2025، حاورت الهدف المخرج نجاش عبد الرحمن، وهو مخرج أفلام وكاتب سيناريو ومختص في تكنولوجيا التعليم من أصول إثيوبية. ومؤسس لشركة تقدم حلولاً متخصصة في مجال تكنولوجيا التعليم.

يشتهر المخرج نجاش عبد الرحمن بشكل خاص بفيلمه الوثائقي «كوبا في أفريقيا" الصادر عام 2021، والذي يروي قصة لم تُروَ كثيراً عن البعثات الدولية التي أرسلتها كوبا إلى إفريقيا في الفترة ما بين 1976 و1991. حيث يُبرز الفيلم دور المتطوعين الكوبيين من جنود وأطباء ومعلّمين وممرضين شاركوا في دعم حركات التحرر في أنغولا وناميبيا، كما ساهموا في الكفاح ضد نظام الفصل العنصري (الأبارتهايد) في جنوب أفريقيا.

يُقدّم الفيلم رؤية بديلة للتاريخ العالمي، ويسلّط الضوء على فكرة التضامن الثوري العابر للقارات، ويعيد الاعتبار لدور الشعوب في صنع التغيير .

نال فيلم (كوبا في افريقيا) إشادة دولية واسعة، حيث تحصل الفيلم على 20 جائزة لأفضل فيلم وثائقي قصير من مختلف أنحاء العالم، بما في ذلك مهرجان السينما والفنون الأفريقية (PAFF) الذي أُقيم في لوس أنجلوس في مايو 2022.

■ بداية نرحب بالأستاذ نجاش عبد الرحمن، أستاذ نجاش كيف بدأت فكرة الفيلم؟ وهل كان لديك اتصال شخصي أو تاريخي مع القصة التي تسردها؟

: شكراً للاهتمام، فيلم كوبا في افريقيا هو فيلم يحكي قصة دعم كوبا للتحرر في أفريقيا، وهي قصة تستحق أن تروى. في الحقيقة قبل هذا الفيلم، كنت أعمل في مجال آخر بالأخص في مجال التكنولوجيا، لكن زيارة لجنوب أفريقيا قلبت الموازين، عندما ذهبت لجنوب أفريقيا لاحظت وجود العديد من الكوبين هناك، أيضاً كان لي زيارة لسجون الفصل العنصري وشاهدت حجم المعاناة التي عاشها السكان الأصليون من الافارقة في ظل نظام الفصل العنصري، ومن خلال الحديث مع الناس، أخبروني عن الدور الكبير الذي قامت به كوبا فيدل كاسترو في دعم حركات التحرر في أفريقيا، فهكذا جاءت الفكرة.

■ ما هي التحديات الرئيسية التي واجهتها أثناء إنتاج الفيلم؟ وكيف تمكنت من تخطي هذه التحديات؟

الإعداد للفيلم استغرق مني وقتاً كبيراً لقراءة العديد من الكتب والمراجع، حول هذه الحقبة، كما اضطررت للسفر و الإقامة في كوبا لفترات طويلة و الالتقاء بمن عايش هذه الفترة. خلف هذا الفيلم عشر سنوات من العمل المتواصل، لقد كان العثور على تمويل أمراً صعباً، فأن تروي قصة تُظهر كوبا بصورة إيجابية، حتى وإن كانت حقيقية، يتعارض مع السرد السائد في الولايات المتحدة.

بصراحة لقد استنزفت مواردي المالية لإنجاز الفيلم، وتخلى عني الجميع، لكني تشبثت بالفكرة لإنجاز هذا الفيلم ليخرج بشكله الحالي في 20 دقيقة تعرض قصة ما قدمته كوبا لأفريقيا.

■ ما هي أبرز القصص أو الشخصيات التي أثرت فيك أثناء البحث عن هذا الموضوع؟

الفيلم يروي تاريخ هذه الحقبة ، من خلال عدة شخصيات منهم العسكريون الذين شاركوا في حماية استقلال أنغولا، ما زلت اذكر ذلك الرجل القوي الذي التقيته، و أنا أجمع الشهادات، وهو بالمناسبة أحد أفراد القوات الخاصة الكوبية الذين شاركوا في دعم استقلال أنغولا، و طلبت منه أن يحكي لي قصته، حكى لي عن أمه التي تركها خلفه مريضة عندما ذهب ليدافع عن أنغولا، في هذه اللحظة هذا الرجل القوي لم يتمالك نفسه وانفجر بالبكاء، هذه أحد المواقف التي لا أستطيع نسيانها.

■ كيف عملت على تحقيق توازن بين الجانب التاريخي والإنساني في الفيلم؟ وهل كان لديك أي هدف خاص في هذا الجانب؟

في الحقيقة لقد حرصت، على عرض القصة بتفاصيلها لكن من منظور الإنسان الكوبي الذي شارك فيها، هؤلاء الرجال والنساء الذين قدموا من كوبا لمساعدة أفريقيا لم يكونوا أبطالاً خارقين، كانوا بشراً مثلنا كانوا شجعاناً من دون تهور ولكن أيضاً بلا تردد.

■ بعد عرض الفيلم خلال يوم التحرر الأفريقي تدخلت للحديث عن نقطة تقنية هامة وهي الألوان، فهل كانت هناك أي عناصر أو تقنيات سينمائية استخدمتها لتدعيم الرسالة التي يحملها الفيلم؟

نعم، الألوان تلعب دوراً كبيراً في عرض الأحداث ورسم صورة الشخصيات في ذهن المشاهد، مثلاً السينما الغربية

الفلسطيني الذي يعرض قصته في الغرب دائماً يتحدث بغضب، وهذه اللغة لا يفهمها المواطن الغربي، وذلك في مقابل الطرف الآخر الذي يعرض قصته بهدوء وبلغة يفهمها الغرب، لذلك فمن السهل الترويج لسرديته

تتعمد اختيار ألوان معينة لتشويه صورة المناضل، أو الثائر، فالألوان جزء من أدوات التأثير، وأنا أدرك ذلك جيداً من خلال عملي في هذه الصناعة، لذلك تعمدت اختيار ألوان تظهر جمال شخصية المناضل والثوري، لكن دون مبالغة.

■ ما هي الرسالة الرئيسية التي تأمل أن تصل إلى المشاهدين من خلال هذا الفيلم؟

الرسالة هي أن كوبا قدمت الكثير لاستقلال أفريقيا، وكل ذلك دون مقابل. فقد تمكنت دولة كوبا الصغيرة، الواقعة على جزيرة في البحر الكاريبي، من إرسال نحو380,000 من أبنائها وبناتها لمسافة 11,000 كيلومتر للمساهمة في هزيمة النظام العنصري البغيض في جنوب أفريقيا، والذي كان يُعتبر قوة عظمى في القارة.

كوبا هي الدولة الوحيدة في التاريخ التي جاءت إلى أفريقيا ليس لاستغلالها أو استعباد شعوبها أو نهب ثرواتها مثل النفط أو الذهب، بل جاءت لدعم النضال ضد الاستعمار والتفوّق العرقي الأبيض في جنوب القارة، دون أن تطلب أي شيء بالمقابل.

إن قصة كوبا في أفريقيا هي قصة تضامن حقيقي، ودون تدخل كوبا، كان من الممكن أن يستمر نظام الفصل العنصري لعشرين أو ثلاثين سنة أخرى.

في النهاية، فإن قصة «كوبا في إفريقيا» هي قصة انتصار قضية عادلة على نظام ظالم.

■ إذا ابتعدنا قليلاً عن الفيلم كيف ترى الطريقة التي تعرض بها السردية الفلسطينية للعالم؟

في الحقيقة، هناك ضرورة لفهم اللغة التي من الممكن بها مخاطبة الجمهور الغربي، فمثلا الفلسطيني الذي يعرض قصته في الغرب دائماً يتحدث بغضب، وهذه اللغة لا يفهمها المواطن الغربي، وذلك في مقابل الطرف الآخر الذي يعرض قصته بهدوء وبلغة يفهمها الغرب، لذلك فمن السهل الترويج لسرديته.

■ ما هي مشاريعك السينمائية المستقبلية؟

في الحقيقة، هذا الفيلم استنزف طاقتي، فأنا الآن أحاول أن أستريح، واستمتع بعرض هذا الفيلم في المهرجانات المختلفة حول العالم .

■ في النهاية شكراً لك أستاذ نجاش عبد الرحمن على اللقاء.

شكراً لكم، لقد سررت كثيراً باللقاء، وتحياتي لكم ولمتابعيكم.

قراءة في كتاب: "مذكرات صهيونيّ... يوميات إيجون ريدليخ في معسكر تيريزين"

ترجمة وإعداد: د. عبد الحسين شعبان ـ مفكر عراقي

صدر حديثاً عن دار الرافدين كتاب "مذكرات صهيونيّ... يوميات إيجون ريدليخ في معسكر تيريزين"، ترجمة د. عبد الحسين شعبان، ويسلّط الضوء على يوميّات الصهيونيّ التشيكوسلوفاكيّ إيجون ريدليخ، العضو القياديّ في منظمة "ماكابي هاكير" الصهيونية، الذي كان معتقلاً في معسكر تيريزين قبل نقله إلى معسكر أوشفيتز، ويدمغ بصورة قاطعة تعاون القيادة الصهيونية مع الاحتلال النازيّ، باعتبارها طابوراً خامساً، ليس ضد مصالح الشعب التشيكوسلوفاكيّ فحسب، بل ضد مصالح الأغلبية من الجماهير اليهودية، كما تفصح ذلك يوميات ريدليخ.

يعتبر المفكّر العراقي عبد الحسين شعبان أن قضية كتاب "مذكّرات صهيونيّ" ليبرجي بوهاتكا، الكاتب والصحافي (كما ورد في تعريفه)، هو جزء أساسي من تجربته الفكرية الثقافية، فقد كشف بوهاتكا النقاب برؤيةٍ نقديّة عن مذكّرات أو الأصحّ "يوميَّات" إيغون ريدليخ عضو قيادة المنظمّة الصهيونية ماكابي هاكير في معسكر تيريزين.

يذكر شعبان أن الذي لفت انتباهه إلى مذكرات ريدليخ التي نشرت على 4 حلقات في مجلة "Tribuna" "المنبر أو المنصة" هو إحدى المستشرقات لمعرفتها باهتمامه بالقضيّة الفلسطينيّة، فبادر بترجمتها وإعدادها للنّشر. ويذكر بأن ذلك "كان عشيّة عودتي إلى العراق بانتهاء دراستي، وقد أرجأت النّشر في حينها لالتحاقي بالخدمة العسكريّة الإلزاميّة، ولكنْ يدُ الزمن كانت قد عبثت بها بعد مصادرة مكتبتي و3 مخطوطات من جانب الأجهزة الأمنيّة كنت قد جهّزتها للطبع في حينها، وذلك عند (كبْس) منزلي بعد مغادرتي بغداد إلى المنفى مرّة أخرى".

وعلى رغم مرارة المنفي لم ينسَ شعبان أهمية هذه المذكرات، ففور انتقاله إلى دمشق خطر بباله "فكرة إعادة ترجمة النص المذكور لإعداده للنشر، خصوصاً لِما له من دلالة فكريّة وعمليّة في ظرف يستوجب فيه معرفة بعض الحقائق التي ظلّت خافية إلى حدٍّ ما، فما بالك حين يتمّ الكشف عنها هذه المرَّة وعلى لسان أحد قادة المنظّمات الصهيونية". فعاود الاتصال بأحد أصدقائه لمساعدته في تأمين النصّ المذكور، فاستجاب لطلبه،

وقام بإرسال الأعداد الأربعة من مجلّة "تريبونا"، على الرغم من مضيِّ سنواتٍ على صدورها.

يقول شعبان إنه توقّف كثيراً أمام أسلوب بيرجي بوهاتكا عند قراءته لنص إيغون ريدليخ. ولذلك قرّر أن يكتب "تقديماً له، أشبه بخريطة طريق: كيف يُقرأ النص؟ وما هي الاستعارة الدلاليّة منه؟ وكيف يمكن توظيفه نضاليّاً كجزء من الكفاح ضدّ الصهيونيّة على الجبهة الفكريّة والحقوقيّة والقانونيّة، ولا سيّما على المستوى الدبلوماسي والدولي، وبشكل خاص على صعيد المجتمع المدني العربيّ"؟

ولأنّ شعبان على علاقة صداقة مع مجلة الهدف الفلسطينيّة التي أسّسها غسّان كنفاني، وأعقبه فيها بسّام أبو شريف، ومن بعده صابر محيي الدين. وينشر مقالاته فيها منذ الثمانينيات من القرن الماضي، فتم نشر المادَّة على خمس حلقات (خصّصتُ الحلقة التعريفيّة الأولى للمُقدِّمة) في المجلة ذاتها، وحين علِمَ بها صديقه هاني حبيب مدير التحرير خصّص لها مكاناً متميّزاً في المجلَّة، وسعى للاعتناء بإخراجِها لتظهَر بما تستحقّه، كما قام بنشر خبر عنها قبل نشرها، إدراكاً منه لأهميّتها للنضال الفلسطيني.

أحدث نشر المادة تأثيراً كبيراً داخل الأوساط العربية والفلسطينية، وبالأخص منها القيادية والنخبة، لدرجة جعلت مؤسس حركة القوميين العرب والأمين العام للجبهة الشعبية يتصل به عبر عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية ومسؤول العلاقات الراحل تيسير القبعة قائلاً: "الحكيم بدّو يشوفك" فما رأيك أن نلتقي عنده على الغداء؟

تمّ الاجتماع مع حبش الذي استمع بشكل مفصّل لشرح شعبان حول اليوميّات "المذكّرات" ومعسكر تيريزين في جمهورية التشيك، ومعسكر أوشفيتز في بولندا الذي سبق لشعبان أن زراهما، وموقف البلدان الاشتراكية السابقة من الصهيونية والنشاط الصهيوني، وكانت حينها قد تأسّست اللجنة الاجتماعية السوفياتيّة لمناهضة الصهيونيّة" عام 1983، بمبادرة من يوري أندروبوف الذي تولّى الأمانة العامّة للحزب الشيوعي السوفياتي، لكنّه لم يستمرّ طويلاً فقد وافتهُ المنيّة سريعاً، وموضوع تأسيس "اللجنة العربية لدعم قرار الأمم المتحدة 3379" على هامش ندوة نظّمها "الاتحاد العام للكتّاب والصحافيين الفلسطينيين".

ولأنّ "مذكّرات إيغون ريدليخ" تعتبر وثيقة تؤكد تعاون النازية مع الصهيونية والتي تضمّنت التضحية بعشرات الآلاف من اليهود مقابل وعودٍ زائفة. فقد سئل حبش "عن إمكانيّة الحصول على نصِّ المذكّرات (اليوميّات) الأصليّة كاملةً وبلُغَتِها الأصلية، خصوصاً وقد استوقفه وجود إيغون ريدليخ في معسكرَي تيريزين وأوشفيتز (أشهر المعسكرات النازيّة)، والذي تعاون مع جهاز الغاستابو لنحو أربعة أعوام، ومع ذلك فقد تمَ إعدامه هو وزوجته وابنه في العام 1944 من دون أن تشفع له الخدمات الكبرى التي قدّمها للنازيّة، بما فيها تعاونه ضدّ أبناء جِلدته بالتواطؤ على إرسالهم إلى المجهول، مقابل إرسال بضع عشرات أو مئات من اليهود القياديِّين والمتموِّلين إلى فلسطين، علماً بأنّه لم يُخفِ شعوره بالخجل والعار الذي يترشّح من نصوص اليوميّات المكتوبة بعناية فائقة على الرغم من أجواء الرعب واليأس وتبدُّد الآمال الخادعة".

يكشف شعبان بأنه تمّ العثور على تلك المذكّرات في سقفٍ لأحدِ البيوت الحجرية في شارع غودوالدوف في مدينة تيريزين العام 1967 على يدِ عمّال بناء، وقد كانت الدّهشة كبيرة جدّاً، فمع أن "المذكرات" كُتبت بطريقة حذرة خوفاً من وقوعها بيَد جهاز الغاستابو، لكنها تفصح عن الكثير من المعلومات بصورة مباشرة أو غير مباشرة، سواء بالإيحاء أو التلميح أو قراءة ما بين السطور بتأويلٍ للنصّ أو تفسيره، وحتى لو جاء المضمون يتعلّق بالإدارة أو التنسيق مع المحتل، لكنه يكشف التعاون والتنسيق بين القيادات النازية والقيادات الصهيونية، فيما يتعلق بمأساة اليهود الذين كانوا يغيّبون بالآلاف ويُرسلون إلى حتفهم بمساومات يشعر ريدليخ بالذات بخجله منها.

وتنفيذاً لما كان طلبه حبش من الحصول على نصِّ المذكّرات "اليوميّات" الأصليّة كاملةً وبلُغَتِها الأصلية. يروي شعبان رحلة التفتيش عنها: كنت أتوقّع أنّ الحصول على نصّ اليوميّات عمليّة سهلة ويسيرة، ولذلك أجبتُ الدكتور حبش بترجيح إمكانية تأمينها، ولكنّني فوجئتُ بصعوبة ذلك بعد الاتصال بصديقنا موسى أسد الكريم، والطلب إليه توفير نسخة من نصّ المذكّرات باللغة التي كُتبت فيها، علماً بأنّ مُحدّثي من براغ أبلغني بعد أسبوع من تكليفه أنّ بيرجي بوهاتكا هو اسم مستعار لضابط كبير ومسؤول عن ملف النشاط الصهيوني في "تشيكوسلوفاكيا"، وكان قد أُقيل من منصبه العام 1968 ثم سُمح له بالكتابة باسمٍ حركيّ لم يتمّ الكشف عنه.

والتقى الكريم بزوجته التي كانت تعيش في إحدى المصحّات بعد وفاته بعامين، وحاول الحصول على نسخة من المذكّرات حتى وإنْ دفع ثمنها، وكانت تلك إشارة من الدكتور حبش، لكنّها بعد أن وعدتهُ عادت واعتذرت من الاستجابة لطلبه، ثمّ امتنعت عن الحديث في الموضوع، بل إنها تهرّبت من مقابلته وأوعزت إلى عاملة الاستقبال في المصحِّ الطلب منه عدم الاتصال بها رغم المحاولات العديدة التي بذلها.

ومرة أخرى حاول شعبان خلال زيارته لبراغ عام 1985 أن يستفسر من صديقه حسين العامل الكاتب والمُترجم العراقي المُخضرم فيما إذا كانت لديه معلومات عن بيرجي بوهاتكا، خصوصاً وأنّ لديه علاقات متميّزة مع الإدارات التشيكية حيث عاش في براغ منذ أواسط الخمسينيات.

يسرد شعبان ذلك بقوله: بعد التدقيق أبلغني أنّ بيرجي بوهاتكا كان قد ألّف كتاباً عن "النشاط الصهيونيّ في الدول الاشتراكية"، واستلم حقوقه البالغة 50 ألف كورون آنذاك، وهو مبلغ لا بأس به في حينها، وقام بتصحيح المسوّدات، واطّلع على صورة الغلاف وعلى الكتاب مطبوعاً في المطبعة، لكن الكتاب اختفى قبل يومين (من صدوره)، إلّا أنّه لم يتعرّف إلى اسمه الحقيقي الذي ظلَّ لُغزاً مجهولاً،

ونقلتُ تلك المعلومات إلى الدكتور حبش الذي أصيب بدهشة وذهول مثلي وربّما أكثر منّي، ولا سيّما أن ذلك جرى في ظلِّ النظام الاشتراكي السابق.

ويكمل شعبان قصة كتاب "مذكرات صهيونيّ... يوميات إيجون ريدليخ في معسكر تيريزين"، فيروي أنه بحسب موسى أسد الكريم يكون ييرجي بوهاتكا قد توفّي بين العام 1982 و1983، وأن زوجته كانت ما زالت على قيد الحياة، حيث تعيش في مصحّة خارج براغ، وأغلب الظنّ على ما أتذكّر في كارلو فيفاري، وقد واصلتُ خلال العقود الثلاثة والنصف الماضية، السؤال عن ييرجي بوهاتكا، لكنّني لم أعثر حتى الآن على ما يُستدلّ عليه على الرّغم من التنقيبات العديدة عنه. وحسبما يبدو فقد ظلّ يحمل اسمه المستعار بدلاً من اسمه الحقيقي، وإن كانت بعض المقالات قد كُتبت، فهي بهذا الاسم وليس باسم آخر، ولم أعثر على من التقاه أو تحدّث إليه أو عرَفَ شيئاً عنه.

وقد سأل شعبان قيادات شيوعية عراقية وسورية وفلسطينية إن كان لديهم علم بهذه المذكّرات، إلا أنهم جميعاً لم يعرفوا شيئاً عنها حتى من كان على علاقات خاصة مع التشيك.

لم ييأس شعبان من التفتيش عن الوثيقة الأصلية لهذه المذكرات التي بقيت سرّاً مجهولاً يصعب الحصول عليها، "فرغم أنّ الكتاب طُبِعَ أكثر من مرّة وبأكثر من لُغة، لكنّه اختفى على نحوٍ شبه تام من المكتبات بما فيها القديمة، والتي كانت تُعلن عن وجود عدد من النُّسخ لديها، ولكن عند طلب شرائها تعتذر هذه المكتبات لعدم توفّرها.

وقد حاول صديقه عصام الحافظ الزّند، البحث عن يوميَّات إيغون ريدليخ حتّى عثر عليها مؤخراً بعد جُهدٍ جهيد، فوصلتهُ نُسخةٌ من طبعةٍ تعود إلى العام 1992، وقد استعنت بها عند مراجعتي للنصّ الذي سبق لي وأن ترجمته وأعددتهُ للطّبع في العام 1985، وكان أن طلبها من أكثر من مكتبة أميركية، إلّا أنّ النسخة الوحيدة التي نحن بصددها كانت متوفّرة في مكتبة أمازون، ويُعتقد أنها ليست كاملة، حيث تمّ حذف أجزاء منها أيام النظام الشيوعي.

ويتابع شعبان: "حين قارنت ما توفّر لديّ من ترجمة لما كتبه ييرجي بوهاتكا وجدتها أقرب إلى النصِّ الأخير الذي نشر بالإنكليزية، وهناك نسخة عِبريّة أيضاً، ويقع الكتاب في 175 صفحة، إضافة إلى عدد من الصُّور وخريطة لمعسكر تيريزين، كما هناك نُسخة تشيكيّة طُبعت في العام 1995 وهي الأخرى مفقودة، الأمر الذي يرجّحُ لديَّ أنَّ المدعو ييرجي بوهاتكا كان قد قرأ مخطوطة المذكّرات (اليوميّات) قبل نشرها بصيغتها المعروفة، بحكم موقعه حسبما يبدو في إدارة المخابرات التشيكية المسؤولة عن مكافحة النشاط الصهيوني، وذلك هو التفسير الذي توصّلت إليه".

لم يكتفِ الحافظ وكذلك زوجته ماريّا في البحث عبر الإنترنت أو من خلال مكتبات عامّة وخاصّة عن يوميّات إيغون ريدليخ والتفتيش عن تقريظ ييرجي بوهاتكا، بل بادر الحافظ بدأبٍ ومسؤوليّةٍ إلى الاتّصال بمتحف تيريزين لسؤال مديره عن كتاب ريدليخ الذي سبق وأن صدرَ باللغة التشيكيّة عسى أن يجده فيه، بعد أن يئسَ من الحصول عليه، إلّا أنه فُوجئ بأنّ المدير ذاته لم يسمع أو يعرف شيئاً عنه، وبعد اتصالات عديدة وجَدَ نسخة وحيدة في مكتبة "جامعة تشارلس"، وهيمن أقدم الجامعات في أوروبا تقع في براغ، عاصمة جمهورية التشيك.

لكنّها تمنع استعارتها خارجها، الأمر الذي يعني أنّ الكتاب نادرٌ من جهة وأنّ ثمَّة وراء الأكمَّة ما وراءها، بخصوص هذه اليوميّات، إضافةً إلى لُغزِ مَنْ قام بتقريظها لدرجة أنّ اسمه بقيَ مستعاراً على الرغم من مرور أكثر من نصف قرنٍ من الزمان.

يقول شعبان إنّ هذه المذكرات وبقدر ما تبيِّنُ دور إيغون ريدليخ فهي تعبّر عن طريقة التفكير الصهيونية الخاصة بالتربية والتعليم والتنشئة والعلاقات وغير ذلك من وسائل ميكافيليَّة يتمّ فيها تبرير الوسيلة بزعم الوصول إلى الغاية، علماً بأن الغاية هي من شرف الوسيلة، ولا غاية شريفة إن لم تكن الوسائل شريفة، وبحسب المهاتما غاندي فالوسيلة إلى الغاية هي مثل البِذرة إلى الشجرة، فهما مترابطان عضويّاً ولا يمكن فصمهما.

يوضح لنا شعبان أن المقالات الخمس التي يتكوّن منها كتاب "مذكّرات صهيونيّ... يوميات إيجون ريدليخ في معسكر تيريزين" التي نشرت في مجلة "الهدف" أحدثت صدى هائلاً بين أوساط النخبة الفلسطينية، ولهذا "بادر بالاتصال بي الصديق خالد عبد المجيد الأمين العام لجبهة النضال الشعبي الفلسطيني، وطلب منّي جمعها لنشرها في كتاب خدمةً للقارئ وللحفظ أيضاً، وذلك عبر دار تمّ تأسيسها من قبل جبهة النضال الشعبي، فصدر الكتاب بطبعة أولى عن "دار الصمود العربي" في دمشق ونيقوسيا عام 1986، وقد نفَد خلال أسابيع، وصدرت طبعته الثانية خلال فترة قصيرة.

نشير إلى أن من سيقرأ هذه المذكرات سيكتشف ما ذكره شعبان من أن هذه اليوميات كُتبت بحذر شديد خوفاً من وقوعها بأيدي سلطات الاحتلال النازي، كما سجل الشعور بالذنب والعار الذي شعر به ريدليخ لإجباره كعضو على اختيار افراد يتم نقلهم إلى وجهة مخيفة غير معلومة كما يقول.

وفي نهاية المطاف أُرسل ريدليخ وزوجته وطفله إلى معسكر أوشفيتز عام 1944 ليلقى حتفه مثل عشرات الآلاف من اليهود الآخرين وقبل ترحيله أخفى هذه المذكرات التي تعتبر وثيقة دامغة لتجربة "الهولوكوست" ودور الصهيونية فيها.

- **نشرت في موقع كنعان بنشرته الإلكترونية في 29 أيار / مايو 2025، علمًا بأن الموقع ينشر مجلةً فصلية. رئيس التحرير د. مسعد عربيد.**
- **الجدير بالذكر أن الكتاب تُرجم إلى اللغة الإنكليزية، دار نيلسون، بيروت، 2024، وكانت أول طبعة له قد صدرت باللغة العربية، دار الصمود العربي، دمشق - نيقوسيا، 1986، وقد نفذت بعد فترة قصيرة وتم إعادة طباعته في نفس العام، أما الطبعة الثالثة فهي مزيدة ومنقحة وصدرت عن دار الرافدين، بيروت - بغداد، 2022.**

عالمية أدب النكبة

د. ثائر يوسف عودة - ناقد وأستاذ جامعي فلسطيني - سورية

أقبل الحديث عن هذه الخاصية اللافتة في أدب النكبة لا بد من الإشارة إلى ثلاثة اتجاهات عامة يمكن تلخيصها كما يأتي:

الاتجاه الأول: التعبير بالبكاء والحزن والشفقة على الذات في مواجهة المحنة والبليَّة، فكان أشبه بالبكاء على الأطلال.

الاتجاه الثاني: يُحيي هذا النمط من الكتابة تاريخ المأساة وينبِّه القرَّاء إلى أصول النضال. وفي إشارة خاصة إلى صفات شعر المقاومة الفلسطيني، يؤكِّد كنفاني أنَّ هذا الأدب يمتلك «روحاً ثوريَّة مذهلة خالية تماماً من النزعة الحزينة والبكَّاءة». بل هو بالأحرى دليل على القوَّة والعزيمة في الشدائد.

إنَّ الاتجاه الثالث لأدب النكبة، الذي تطوَّر لاحقاً، هو العالميَّة، ويعني في أبسط معانيه تبنِّي موقف تجاه قضيَّة فلسطين، لا يرى هذا الشأن من الناحية السياسيَّة أو الدينيَّة، بأنَّه صراع بين المسلمين واليهود، أو العرب وغير العرب، بل هو صراع بين الظالم والمظلوم. بين قاتل وضحية، ويجب إيصال صوت الضحية إلى العالم بطريقة إنسانية وأدبية.

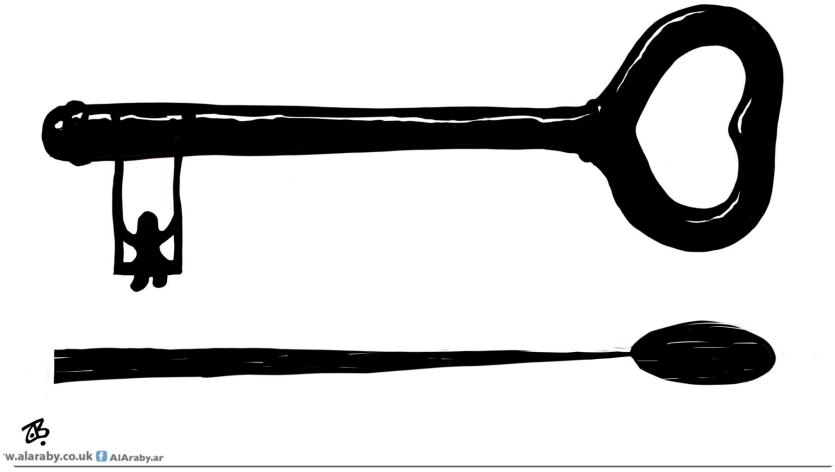

w.alaraby.co.uk AlAraby.ar

وبالتالي لم تقتصر مهمة أدب النكبة على توثيق المأساة (على الرغم من عظمة هذه المهمة) بل تجاوزت ذلك إلى مخاطبة الوجدان الإنساني العام، داعياً إلى إعلاء قيم الحرية والعدالة والخلاص من الاحتلال وحق الشعوب في تقرير مصيرها، والتأثير في الرأي العام العالمي من خلال نقل القضية الفلسطينية إلى العالم عن طريق التأليف باللغات الأجنبية أو الترجمة والنشر.

يقول الشاعر الأيرلنديّ شيموس هيني Seamus Heaneكلَّ قصيدة هي عمل مقاومة، تتضامن مع المنكوبين والمحرومين والضحايا والمهمَّشين، وفي هذا السياق، فإنَّ أيَّ شخصيَّة تصبح عندها الرغبة في قول الحقيقة، ومقاومة الإكراه على التماهي مع الظالم، والخضوع له، هي بالضرورة جزء لا يتجزَّأ من فن الكتابة الإنسانية.

ولو أشرنا إلى بعض النماذج على عالمية أدب النكبة، فيمكن الحديث عن علامة بارزة في أدبنا، وهي الشاعرة فدوى طوقان التي ظهر نهجها العالميَ من خلال اتِّباع إستراتيجيَّة رسم أوجه تشابه بين الاضطهاد الذي عانى منه الشعب الفلسطيني وذاك الذي عانت منه الجماعات والأمم الأخرى عبر التاريخ. وكنتيجة لذلك، فقد اختارت، هي وشعراء آخرون، تصويرَ مفهومٍ أكثر تجريداً للاضطهاد من أجل التعليق على السلوك غير الإنسانيِّ والظالم بالمعنى العامّ. ويتردد في قاموسها الشعري مفردات ارتبطت بالإنسان وما يسعى إليه، وما يُحدِّد شخصيّته، مِثل: الأمّ، الأبّ، الرّجل، المرأة، الطّفل، الإنسان بشكل عام، الفلسطينيّ، العربيّ، الشعب، والأمّة. تقول في إحدى قصائدها التي تنشد الحرية:

ويردّد النّهرُ المقدّس والجسور حريّتي!
والضّفتان تردّدان: حريّتي!
ومعابر الرّيح الغضوب والرّعد والإعصار والأمطار في وطني تردّدها معي:
حريّتي! حريّتي! حريّتي!
صوتٌ أرددهُ بملء فم الغضبِ
تحت الرّصاص وفي اللّهبِ
وأظلُّ رغم القيد أعدو خلفها
وأظلُّ رغم اللّيل أقفو خطوها
وأظلُّ محمولاً على مدّ الغضب
وأنا أناضل داعياً
حريّتي! حريّتي! حريّتي!

أما محمود درويش فقد أصبح من المستحيل الآن التفكير به دون التفكير مباشرةً في فلسطين، وفي المأساة الرهيبة التي حلَّت بشعبها المتألِّم، ومن ضمنهم الشاعر، وإنَّ الاتِّساق عينه ينطبق على الكتابات عنه، إذ لا يمكن الفصل بين الشاعر ووطنه. فقد صاغ درويش أيضاً قصائد مختلفة تتبنَّى رؤية عالميَّة مميَّزة عبر استخدام صور تجريديَّة. يقول في قصيدته الإنسانية المؤثرة (مقعد في قطار):

مناديلُ ليست لنا / عاشقاتُ الثواني الأخيرة / ضوءُ المحطة /
وردٌ يُضَلّل قلباً يفتّش عن معطفٍ للحنان /دموعٌ تخون الرصيفَ/ أساطيرُ ليست لنا
من هنا سافروا، هل لنا من هناك لنفرحَ عند الوصول؟
زنابقُ ليست لنا كي نُقبّل خط الحديد /

نسافر بحثاً عن الصِّفْر /
لكننا لا نحبّ القطارات حين تكون المحطات منفى جديداً /
مصابيحُ ليستْ لنا كي نرى حُبّنا واقفاً في انتظار الدخانِ /
قطارٌ سريعٌ يقصّ البحيراتِ / في كل جيبٍ مفاتيح بيتٍ وصورة عائلةٍ /
كُلُّ أهلِ القطارِ يعودون للأهلِ، لكننا لا نعودُ إلى أي بيتٍ/
نسافرُ بحثًا عن الصفر كي نستعيد صواب الفراش / نوافذُ ليست لنا /
والسلامُ علينا بكلّ اللغات...

وفي قصيدته الإنسانية (فكّر بغيرك) التي تعني كل المشردين والمظلومين في العالم، يقول:

وأَنتَ تُعِدُّ فطورك، فكِّرْ بغيركَ
لا تَنْسَ قُوتَ الحمامْ
وأَنتَ تخوضُ حروبكَ، فكِّر بغيركَ
لا تَنْسَ مَنْ يطلبون السلامْ
وأَنتَ تُسدِّدُ فاتورةَ الماء، فكِّر بغيركَ
مَنْ يرضَعُون الغمامْ
وأَنتَ تعودُ إلى البيت، بيتِكَ، فكِّرْ بغيركَ
لا تنسَ شعبَ الخيامْ
وأَنت تنام وتُحصي الكواكبَ، فكِّرْ بغيركَ
ثَمَّةَ مَنْ لم يجد حيّزاً للمنام
وأَنتَ تحرِّرُ نفسك بالاستعارات، فكِّرْ بغيركَ
مَنْ فَقَدُوا حَقَّهم في الكلامْ
وأَنتَ تفكِّر بالآخرين البعيدين، فكِّرْ بنفسك
قُلْ: ليتني شمعةٌ في الظلامْ

أما المفكر والمبدع إدوارد سعيد فقد كرّس معظم ما كتب لإثبات حق الفلسطيني في الحياة، ورصد الظلم والإكراه الذي طاله، فكان تعبير سعيد الشهير، الذي صاغه من باب الاحترام للفلسطينيِّين بأنَّهم «ضحايا الضحايا»، يعبِّر عن هذا النوع من العالميَّة، في إشارة إلى تمرير سلاسل الاضطهاد من أمَّة إلى أخرى، مع كون الرواية نفسها عن الأمَّة المضطهدة التي تنطبق الآن على الفلسطينيِّين، وكانت منطبقة في السابق على اليهود أنفسهم إبَّان الحرب العالميَّة الثانية.

مع تطور الزمن، لم يعد أدب النكبة يركز فقط على الحنين والمعاناة، بل أصبح أكثر انفتاحاً على قضايا الهوية العالمية، والعدالة الاجتماعية، وحقوق الإنسان، وبرز جيل جديد من الأدباء الذين دمجوا بين الهم الفلسطيني والقضايا العالمية، في نصوص حداثية أو ما بعد حداثية -إن جاز التعبير- تمزج بين المحلي والعالمي. فتطورت الموضوعات والأساليب مع الجيل الجديد من الأدباء الفلسطينيين، إلا أنّ موضوعة النكبة لم تغب عن كلّ السرديات الفلسطينية وإن تراجعت في الحضور فإن ظلّها لم يتراجع.

وتمكن الإشارة، في هذه الوقفات المضيئة، إلى نموذج واحد وهو الكاتبة الإنسانية سوزان أبو الهوى من الجيل الحديث الذي يكتب الرواية الفلسطينية بلغات عالمية، وتُعدّ رواياتها (بينما ينام العالم 2010) المكتوبة بالإنجليزية (While the world sleeps) علامة فارقة في أدب النكبة العالمي، إذ صدرت لأول مرة باللغة الإنجليزية في الولايات المتحدة في عام 2006 تحت عنوان «ندبة داود « (The Scar of David) تم ترجمتها إلى الفرنسية وصدرت تحت عنوان «صباحات جنين»(Les Matins de Jénine) ثم أعيد نشرها باللغة الإنجليزية في الولايات المتحدة في عام 2010 تحت عنوان «صباحات في جنين « (Mornings in Jenin) ، عن طريق دار بلومزبري للنشر. بعد تحرير بسيط. تمت ترجمتها إلى 33 لغة، بما في ذلك اللغة العربية بترجمة المترجمة سامية شنان تميمي التي أطلقت عليها اسم «بينما ينام العالم». حظيت الترجمة العربية بإشادة واعتراف واسع النطاق باعتبارها عملاً أدبياً عربياً جديراً بالاحترام، نشرت النسخة العربية الأولى عام 2012 عن دار بلومزبري - مؤسسة قطر للنشر.

تُسلّط الروايةُ الضوء على مأساة النكبة الفلسطينية ومعاناة اللجوء والشتات، وتسرد قصة عائلة فلسطينية منذ النكبة وحتى الانتفاضة الثانية، فقدت الهوية والانتماء، وترصد تأثير الأحداث السياسية على الأفراد والعائلات، عبر أجيال أربعة من عائلة فلسطينية، وكيف تحولت حياتهم إلى مأساة في الشتات بعد ترحيلهم قسراً من قريتهم، إذ تبدأ الرواية من 1948 وتنتهي في 2002 خارج المكان الفلسطيني في ولاية (بنسلفينيا) حيث تقيم الكاتبة، مما يجعلها قراءة ضرورية لفهم معاناة الشعب الفلسطيني، معزَّزة بالوثائق التاريخية الممزوجة بالفن الروائي، وقد توقفت عند الانتهاكات والمجازر التي ارتكبها جيش الاحتلال، الذي أتخم بالأسلحة المتطورة، وتشبع بالحقد والكراهية على البشر والحجر، مثل مجزرة جنين عام 2002. وبشكل إنساني مؤثر. وكما قال مايكل بالين، الممثل والإعلامي والرحالة البريطاني المعروف: فيها رؤية قوية وإنسانية لما اضطر العديد من الفلسطينيين لاحتماله منذ إنشاء دولة إسرائيل، تأخذنا سوزان أبو الهوى عبر الأحداث الدامية المشحونة بالغضب والمليئة بالرقة، بحيث تخلق صوراً لا تُنسى للعالم؛ حيث تعيش الإنسانية واللا إنسانية، نكران الذات والأنانية، الحب والكراهية، بعضها بجانب بعض..

لقد أصبح للرواية دور مهم في بناء الوعي العالمي بالقضية، لأنها كانت وما زالت أداة فاعلة في إيصال الرواية الفلسطينية للعالم، وكسر السردية الصهيونية المهيمنة، وزرع الإحساس بالتاريخ والانتماء في أجيال ما بعد النكبة. فتحولت رواية النكبة إلى شهادة إنسانية حيّة تتوارثها الأجيال، وهي مرآة للمنفى، وتعبير عن الحق في الأرض، ووسيلة لإحياء الذاكرة في وجه النسيان.

إنّ هذا النوع من الإبداع الأدبي هو «إعادة كتابة في التاريخ لما تمَّ محوه عمداً» وعليه، فإنَّ أدب النكبة المقاوم يرفض المحاولات الصهيونيَّة لمحو وجود فلسطين وثقافتها من التاريخ. وإنَّ كلَّ كلمة في الخطاب صاغها كتَّاب فلسطينيُّون يعكسون واقعهم اليوميَّ، هي مثل صاروخ يُلقى على العدوِّ أو رصاصة موجَّهة بعناية، تهدف إلى الدفاع عن حقِّهم في الوجود، وهي فعل من أفعال المقاومة الجريئة المليئة بالمفردات الإنسانية وسعيه إلى التحرر من الاحتلال والظلم في العالم.

وليد عبد الرحيم مقاوم السرطان محب للحياة

بسام سفر- كاتب وإعلامي سوري

مرت سنوات طويلة على تعارفي بالصديق الراحل وليد عبد الرحيم، فإذا كان لغرف مكتب الحرية مخيم اليرموك أن تحكي قصص وحكاية عملنا الصحفي فيها، ولقاعة خالد نزال في مبنى إقليم الجبهة الديمقراطية حكاية الأسابيع السينمائية والنشاطات الثقافية، واللقاءات المطولة بمكتب مجلة الهدف في المخيم بوجود الصديق الراحل أحمد جابر، والدكتور الصديق محمد أبو ناموس. وإذا كان لشوارع المخيم أن تحكي المشاوير في نهاية كل يوم لنطقت، كما النادي العربي، وسينما النجوم في بروفات مسرحية «رسائل سريعة». وبيت الصديق «نعيم الماضي» ولعب الورق بوجود الراحل الفنان التشكيلي إبراهيم مؤمنة، والصديق أبو علي الشهابي..

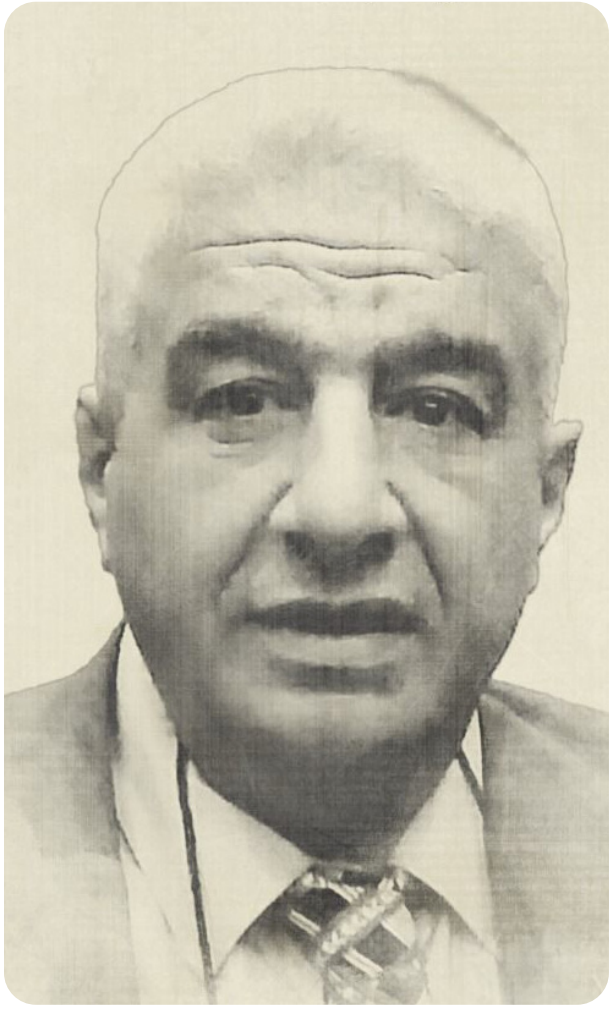

وبعد الخروج من المخيم كان للدويلعة وجرمانا دور كبير في لملمة ما تبقى من رفاق لعب الورق والثقافة، لكن المخيم لم يغب عن هذه السهرات الطويلة، وحتى أعداد مجلة الهدف التي كان يحملها لي والكتب السياسية التي تصدرها الجبهة الشعبية، وتوقيع روايته الأولى في مكتبه الثقافة الوطنية بدمشق (مكتبة الأسد سابقاً)، والبقاء حتى الانتهاء من التوقيع مع إغلاق المكتبة أبوابها.

لكن دخان صديقي الراحل وليد لعب دوراً كبيراً في إنهاء حياته بمرض سرطان الرئة، وأثناء العلاج كتب يوميات أطلق عليها «سرطان2023»، وهذا يوضح طبيعة صديقي التي تهضم المحيط الذي يعيش به، ويعيد توظيفه بما يخدم حياته ككاتب وروائي لا يخذله عقله وقلمه، أو» كيبورد لابتوبه»، وصدرت هذه اليوميات عن دار دلمون الجديدة، وكتبت مديرة الدار هدباء العلي تقديماً لها، كما كتب الصحفي إسكندر حبش قراءة في اليوميات، وكتبت ابنته روزا جزءاً من معاناة العائلة في مرحلة العلاج.

سرطان وليد:

لا يفصل الكاتب والروائي وليد عبد الرحيم معاناته مع مرض السرطان عن معاناة السوريين من خلال رسم ملامح مرحلة سياسية واجتماعية عاشها الدمشقيون، كما عاشها صديقي الراحل حيث يتذكر كيف ذهب لمركز اتصالات الدويلعة قرب باب شرقي، فيقول: «هناك عائق ما، ربما هو بسبب التدخين أو اشتمام رائحة القذائف التي تتساقط على الأحياء السكنية والتي شهدتها سواء في مخيم اليرموك أو في جرمانا، وكان نصيبي دائماً أن تسقط العديد منها بالقرب مني، تلك مسألة كانت تشتد قرابة مني، كأنني ابن عمها اللازم الملزم».

في إحدى المرات، في العام2013، كنت متوجهاً بسيارتي المثقوبة بالشظايا، تلك الشظايا التي لفظت علاماتها بصاقاً معدنياً من جهة الدويلعة نحو باب شرقي، أي نحو أول طريق الغوطة- المليحة لأدفع فاتورة الهاتف الجوال، فقد قيل لي بأنه لا ازدحام هناك حيث يقع مركز هاتف الدويلعة وربما باب شرقي، سبب التوجه إلى هناك هو أن مركز سيرياتيل كان يشهد طوابير بالعشرات لمن يرغبون بدفع فواتير الهاتف الجوال والساكن حيث كانت العشرات من المراكز قد أغلقت بسبب الإضرابات ولم يبقَ سوى القليل منها فازدحمت».

ويصف وضعه بعد سقوط قذيفة أنه «حينها أكاد أختنق، لذا صارت طريقة النوم فقط على أحد الجانبين، غالباً ما ينتقي النعاس الجانب الأيمن. أدرك الآن بأن ذلك اليوم افتتاح تاريخي إصابتي بسرطان الرئة الذي لم أكتشفه إلا قبل أشهر في بدايات العام 2024، بعد عشر سنوات من حادثة القذيفة».

ويعود في اليوميات إلى حياة المدرسة الابتدائية حيث زميله نبيل الذي قاد عملية التصويت التي أقرت التوجه إلى دكان أبي خليل

جرياً على الأقدام الذي يتطلب مسافة طويلة تبدأ من اختراق حارة الفدائية حتى ولوج شارع اليرموك، وتجميع الشجاعة الكافية للطلب من البسكليتاتي مساعدتنا في نفخ الكرة، بقينا متسابقين، وما وصلنا حتى كنا نلهث من الجري بما يكفي لنفخ كرات كثيرة».

ويفتح ملفه الطبي إذ يطلب الطبيب مختص طبقي محوري في مشفى أمية بدمشق، كانت النتيجة «ظهور ورم في الرئة اليمنى بحجم(9،5سم)، هذا كبير قياساً بما هو معهود».

ويضيف الراحل وليد حتى في لحظات الألم شيئاً من المرح والسخرية في لحظات المعاناة: «ها هي بقاع الدم تبدو مع القشع وثمة غرغرة في الحلق غير مبررة، بلا طعم ولا لون، ما يغير لونها فقط هو الدم المختلط بها، والذي يطل بلونه الزهري أولاً بين حين وآخر، ثم يزداد كثافة مع الألوان حتى يصبح بلون أحمر واضح أشبه بأحمر شفاه وضعته غجرية يافعة».

ويشبه محاورة الطبيب تبدو من جانب ما كحوار فأر مع الصياد، وربما تذكر البعض من خلال اللحظة السجون والمعتقلات، فالمسألة عنا تشابه إلى حد ما الحوار مع السجان، من جانب السجين تتكرر هزات الرأس بالموافقة على القول والخضوع، ومن جانب السجان إصدار الأوامر.

هذه السخرية تأخذ مساحة مع لحظات الألم، وكيفية التطلب في إطاعة أمر بالرغبة الشديدة في الوصول إلى حالة من حالات السخرية المرة من المرض، وعقب سيجارتين ونيف، كأن ألماً في الصدر يشبه آلام البرد. تلك المألوفة لدى جميع البشر والحيوانات، وفي لحظات التحضير للنوم ليلاً. انطلقت رصاصته مؤلمة في الجهة اليمنى للظهر، كانت تلك أول طلقة أتلقاها من داخلي وليس من فوهات بنادق الأعداء، ربما تصلح لأن تسمى طعنة سقطت أرضاً أتلوى، زوجتي وابنتي مستغربتان، ربما مذهولتان لم تريا مني شيئاً كهذا من قبل قط.

ويتعمق خط السخرية في حالة المرض عندما يكون مخدراً بوجود الزوجة التي تروي له حين «سردت لي كل ما قلته بخاصة مغازلتي للطبيبة (نوار)، وقولي لها بأنني سأكتب لها قصيدة غزلية تجعل منها شهيرة، وبأنني لست خائفاً ولا جباناً بل كدت أختنق، فأنا لا أهاب الموت أبداً، وابنتي الصغرى تضحك وتكرر تأكيداً، أما أنا فعاجز عن الإنكار بسبب غيابي عن الوعي».

فلسطين التي تغيب:

يسرد الروائي وليد حكاية صديقه «أبو خليل» في أكثر من رواية إلا أنه يؤكد أنه ساعد الفلسطينيين بخاصة عبر إسعاف الجرحى أثناء الصدام مع الجيش الأردني ومجازر أيلول الأسود، فجرده الملك الحسين بن طلال من الجنسية الأردنية وسجنه سنتين في أقبية المخابرات ثم تم طرده من الأردن حيث رمته سيارة مدنية خلف الحدود من جهة معبر نصيب الحدودية فصار في محافظة درعا، وهو ما يفسر مكوثه فيها لفترة ربما كانت سنتين قبل القدوم إلى مخيم اليرموك.

- هذه الرواية كان يتبناها الفدائيون من الفصيلين الأساسيين في الثورة، هي رواية بعض من فدائيي حركة فتح والجبهة الشعبية.

ويعرض سرده لما خطر في باله من مشاريع أمريكا النووية التي تخطط لترويض العالم بالقوة، وإسرائيل التي تحلم بإبادة الغوييم، عبر تصنيف كل الشعوب والديانات بـ «الأغيار»!، فكل مواطن غير كل الشعوب أغيار أما اليهود فهم الـ «نحن» الوحيدون الذين كلفهم يهوه الوثن الصامت بإبادة من يحلو لهم.

ويقارن ما جرى في المدن السورية حلب واللاذقية ومدن سوريا التي سلبتها تركيا، فدفعت بلغتها وأسمائها عن دمار كبير يشبه استكمال تدمير أكثر من تلك القرى الفلسطينية التي يفوق تعدادها أربعمئة قرية ونيف، هناك دمرتها عصابات الإرهاب وذبحت أهلها، وهنا دمرتها عصابات العلماء السريين عالمياً والتكنولوجيا، وذبحت ساكنيها بمدافع الاهتزازات الأرضية التي ترسم في جوف الأرض منذ سنوات كي لا تكون أية مدينة بلاد العرب إلا خضعت لرغبات وأوهام الوثن.

شهادة روزا:

تقدم روزا شهادتها عن وليد الأب والإنسان في الحياة الأسرية، بأنه كان معلمها في نقاوة روحه، وشجاعة قلبه، وعلاقته بجدتها التي غادرت بلدتها صفد في فلسطين بتغريبة النكبة الأولى التي لم تكل من سرد روايتها.

وكيف علم روزا وأخواتها معاني الرجولة الحقة التي جعلت منه إنساناً حراً متحرراً من جميع أشكال التبعية السياسية والارتهان لأحلام الطوباوية الوطنية وتجلياتها العاطفية مؤمناً بحتمية النصر والعودة، كان رجلاً بالفعل، ولم يكن ذكورياً بالمعنى التقليدي، آمن بحقوق المرأة ووفر لها المكان رحباً وتوجها سيدة لها الصدارة ولها القرار.

وبين ذهابه إلى عمان للعلاج، وعودته إلى دمشق كمن يعود إلى صدر أمه بعد فطام قسري. دمشق التي عاش فيها وعاشت فيه لعقود ستة لم تكتمل، دمشق وما أدراكم ما دمشق، شقيقة القدس وأختها، برباط مقدس ووشائج لا تنفصم، في حاراتها وزواريبها عاش طفولته، وكان مخيمها أحسن وأجمل في يومياته الثرية بكل ما هو إنساني وحتى فوضوي، من عواصم العالم الأخرس المتحضر، فلا أصوات الباعة تقلق صباحاتها ولا صوت المنادي يعلن عن رحيل ما لأحد الأعيان مع قائمة عن سجاياه ونضالاته على طريق العودة الذي انتهى إلى سراب بعد هجرة الأبناء وضياعهم في أصقاع الأرض.

أخيراً: إن «يوميات سرطان2023» للروائي والكاتب والشاعر وليد عبد الرحيم تحفل بحب الحياة والدعوة لمقاومة مرض السرطان في أحلك اللحظات التي عاشها الكاتب ما بين أسرة المستشفيات وأجهزة التصوير والتحليل بحضور الممرضات والأطباء الذين حاولوا تقديم أيام إضافية في حياة الكاتب عبد الرحيم، ورغم الدفاع الذاتي الإنساني لجسد وليد كانت فلسطين وسوريا ودمشق والجليل حاضرة في أشهره وأيامه الأخيرة، فالمرض لم يأخذه إلى حالات الضعف الإنساني، وإنما بقي كما عهدته أسرته وأصدقاؤه مقاوماً في المرض والحياة التي كان من خيرة دعاتها، التحية لروحه ومقاومته المحبة للحياة.

ويستمر الأدب الفلسطيني شباباً ورسوخاً

غرز الدين جازي ـ ناقد أدبي ـ سورية

تتصفح الشعر في أدب الشباب الفلسطيني فيأخذك الألم والأمل مترافقين سيما من بقوا تحت القصف و«المقتلة» التي يمارسها الاحتلال عليهم، رافضين النزوح تشبثاً بترابهم والابتعاد عن تكرار النكبة المريرة .. يصارعون الموت والجوع بسلاح مفرداتهم وبيان أشعارهم لهيباً يضرم الحماس في نضالهم ومشاعر إنسانية تفيض داخلهم وتفضح ممارسات آلة القتل والتدمير الإسرائيلي الممنهج

يتبادلون أدوار المقاتلين في تصديهم لمحو إنسانيتهم بعنفوان المفردة وبلاغتها حساً وجدانياً وسلاحاً ممضاً في مقاومتهم للاحتلال ونشر قضيتهم عالمياً يفندون مزاعم وتزوير الصهاينة لحق الفلسطينيين المغتصب أرضاً وتاريخاً وتراثاً .

أدباء شباب بعمر الورود، حملوا سلاح الكلمة، قاتلوا الجوع والتهجير والقتل الممنهج ، صرخوا بمفرداتهم في وجه آلة التدمير والإبادة والجرائم الإنسانية التي طالتهم وطالت عوائلهم، جاعوا وعطشوا وتناهبهم البرد والحر، فكانت قصائدهم ملاذاً لصمودهم وعدالة قضيتهم ..

برزت أقلام الأدباء الشباب المقاوم والرافض للنزوح ومغادرة غزّة، يؤثرون الاستشهاد ويرفعون راية المفردة الأدبية الشعرية رسالة للإنسانية .. وكما السلاح، وكما الحجارة ، تأتي المفردة الأدبية الفلسطينية بكل عنفوانها ورونقها الأدبي لتنضم إلى إنسانية الفلسطيني سداً في وجه جرائم الإبادة الوحشية التي ينتهجها الجيش الإسرائيلي.

فكان لا بد من تسليط الضوء على نضالهم المتمثل في أيقونتي رفض النزوح عن أرضهم وبقائهم بين ركام وحطام المنازل بفعل وحشية الاحتلال الصهيوني، وروح الشباب التي ترتديهم وتزيّن أدبهم، فكانت الشاعرات «هند جودة، رهام البلبيسي، ومضة تتمتعان بروح الشباب وشاعرية المفردة الأدبية سطّرن بوح قصائدهن بمباشرة ظاهرة وواضحة فنياً، وأخرى باطنة مرتبطة بالمعنى المراد توصيله من قبلهن كشاعرات متميزات يملكن إعادة تشكيل مفرداتهن الشعرية في أبهى جمال وبديع البيان .

يعيشون الداخل الفلسطيني .. يلتحفون غزّة الجريحة الدامية التي تودّع كل يوم

عشرات الشهداء من الأطفال والنساء والكهول ناهيك عن التدمير .. يعانقون الموت ويرتشفون الألم، ويسطرون الأمل شعاعاً بأقلامهم التي رفضت النزوح واختارت النضال والمقاومة بل وحتى الشهادة.

شاعرات فلسطينيات تربعن على ركام المفردة الشعرية وتحت خيمة بديع أدبها الذي أفرزته معاناتهن من خوف وجوع وشظايا صواريخ تقتل دون رحمة.. يُسطّرن بالكلمة، ينفثن بالمفردة، حق فلسطين في أرضها وتاريخها وتراثها ووجودها.. يبحثن عن أبسط مقومات الحياة التي سلبتها منهن جرائم الاحتلال.. يبحثن عن إنسانياتهن وعن أبسط مقومات الحياة وسط ظروف القهر التي فرضها الاحتلال.

تراكيبهن الشعرية تمتد بياناً متدفقاً وصوراً تُحلّق في بنية القصيدة المكلومة دون رفاهية مفرداتها.. يتألم لها المتلقي، ويحزن لها القارئ، فأرستا بناءً شعرياً عميقاً في الأدب، وداعبتا إنسانيته.. أعدن هندسة الإنسان وفق هندسة القصيدة وبنائها المتوازن المتكامل بتعدد أوجهه الحسية والنمطية والعقلانية:

- هند جودة : شاعرة فلسطينية غزّاوية، قاصة وشاعرة ولها العديد من الكتابات والأمسيات الثقافية، كما عملت في إعداد البرامج الإذاعية، وقدمت برنامج صباحي في راديو الحرية بغزة باسم «صباح الخير يا وطن ، لها ديوان شعري بعنوان « دائما» يرحل أحد» .

- رهام حسن البلبيسي : مواليد غزّة، تعمل في مدارس الأونروا، حصلت على بعض الجوائز المحلية في الشعر ، ولها مجموعة شعرية بعنوان «وجهي يلوح لي» .

- رهام حسن البلبيسي :

تهمس «رهام» بديوانها «وجهي يلوح لي» بجذورها التي غرستها في غزّة رافضة النزوح، وفي عتبتها النصيّة المتمثلة بالإهداء .. تهمس لغزّة :

«إليكِ ..

وأنت تعبرين كل هذا الموت وحدكِ :

إلى غزّة ..»

وتؤكد :

«أنا الجرحُ الهجينُ من تعبٍ، ومن تَعَبْ»

تهدي ديوانها إلى غزّة ومن يحتضن غزّة، فهي مدينة الحياة كما رأيتها في قصائدها وليست مدينة الموت رغم استخدامها مفردة «الموت» مجازاً تعبيرياً أدبياً ساعد في تشكيل شاعريتها ..

غزّة لدى الشاعرة «رهام»، الولادة المستمرة لحياة بلغت أصقاع كل الأحرار والمثقفين في العالم الذين هتفوا وافترشوا الساحات ومدرجات الجامعات ومدرجات ملاعب كرة القدم، ومدرجات الذات الإنسانية في أوج توهجها وعنفوانها، فتقول في قصيدتها «حزن المدينة» :

«ورثتُ الحزنَ عن أبي،

وأبي ورث حزن المدينة»

هذا الحزن المعشش في قلب الفلسطيني ترسمه الشاعرة بدقة بيانها الإبداعي واختزال الصورة المكثفة لتربط الفكرة السيكولوجية مع الحياتية وتوارثها أباً عن جد بما تحمله من ذكريات «المقتلة» التي سخرت لها الآلة الصهيونية الهمجية كل ويلات الدمار :

«حين ينهشك التعب عارياً

هارباً إلى صومعة الروح

لترتدي يقين الأنبياء

وامضِ

كأني ميت في هذا الوطن

يخبئ موته في اكاليل البنفسج

خبةً خيبة

هكذا نبني الأمل»

الشاعرة رهام البلبيسي أبدت مفهومها الشعري بصور وطنها الممزق بأيدي مجرمون لا مكان للإنسانية لديهم ولذا ترى ذاتها طفلة لا تأبه لعمى الرمال المحيطة بها، وتصرخ حين يسرق أحد لعبتها أو حلوتها فهي لا تريد من الحرب أن تصفعها حين تنتزع منها بحرها وأيامها التي دمرتها الحرب وسرقت منها فرح طفولتها :

«أنا طفلة الحروب الصغيرة

لا أبالي

بعاصفة من الرمال

وأصرخ حين يسرق أحد لعبتي

أو حلواي من يدي ..

أنا طفلة الحروب الصغيرة

فلا تلطمي وجهي أيتها الحرب

حين أسرق من عينيك

بحري وأيامي

وأشيائي التي أحب ..»

فللصورة دلالات مختلفة لديها، هي تشكيل جمالي متفرد، ولها دلالة مادية وذهنية، المادية تضمين لفظ الصورة دلالة على الأشياء الحسية المدركة بإحدى الحواس، أما الذهنية فهي تزيّن اللفظ بمعانٍ وإيحاءات مرتبطة بالأشياء الحسية كارتباطها بـ «المخيّم» :

«المخيّم

ألف موت

وألف نَدب

ذلك اليُتْم

لا حدود للضياع هنا

كما لا حدود للإبداع»

ذنوب ليل غزّة بقذائف وصواريخ الموت لا يمحوها هيجان الرؤيا، ولا صراخ التأوهات لأطفال الموت والحياة، ونساء الاعتكاف بين ردهات خيامهم.. فوجهها يلوح لها، تُطفئ ظمأ الأنبياء في

رسالتهم الخالدة وانبعاث الأجيال من رحم الأمهات الفلسطينيات:

«وجهي يلوح لي

لماذا لا أرى عيني؟

الوقت قوافل من الضباب

كم من زهرة تقطف حولي؟

الحب يُمضغ في أفواه الشياطين

والعالم لا يمر من حولي»

- هند جودة :

للشاعرة هند جودة دلالات بلاغية أيضا لا بد منها وتترافق معها في البنية والتركيب اللغوي وترتكز على مفردات تُنسح الفضاء رحباً في ذهن المتلقي بعذوبة استخدامها وإجادة تركيبها، فاستخدمت التجسيم الحسي للقصيدة المكثفة المضغوطة، واستطاعت إثارة ذهن المتلقي لتشكيل المعنى المُراد به والذي توخت الشاعرة به للوصول إلى غايتها المقصودة بتشكيل المادة الأدبية وصوغها محسنةً بديعيةً تؤكد براعة استخدامها وتوظيفها في متن القصيدة كما في قصيدتها «فزّاعة» التي تصف لهاثها و»فزّاعة» الحياة تطاردها :

«هذا اللهاث لي

مذ كنت أركض راجفة على أول الطريق

كانت فزّاعة الحياة تعدو خلفي

وكلّ هذا التيه لي»

رغم أنها :

«عالقة في متاهة

لا تعيدني إلى بيتي جهة آمنة

ولا طريق واضحة للخلاص»

استطاعت توظيف حواسها في تأطير صورها الشعرية رمزاً وبناءً ضم تركيبة القصيدة بمجملها لتكون القصيدة نفسها صورة حسّية وعقلية بما يتلاءم مع تجربتها دونما زيف، انبثق من رحم معاناتها نشيجاً يعانق اللغة الشعرية الكامنة في قصائدها وإيقاعها وترادفها وتضادها لتعيد تركيبها وتضعها في قالب متحد ومنسجم مع رؤاها وبُعد حدسها :

«اخلع أنيابك واقترب

كلّ هذه الدماء في عروقي النافرة

يجب ألا تغريك لتمزيقي

هذا العنق لي

وهذه الحياة»

استخدمت الشاعرة التكثيف الشعري والإيجاز في التركيب البنيوي لقصيدتها فاختزلت طول الأسطر المتكاملة لديها وداعبت إيقاع المفردة بمجمل تصويرها ضمن سياق الصورة المتكاملة لديها مستندة إلى أفكارها ومشاعرها، فخلقت نمطاً محدداً لتركيبة قصائدها وشكلها وإفرازاتها مضموناً وفنا» :

«دوري أيتها الأرجوحة

لا كهرباء في المدينة أيتها الشقية»

استندت الشاعرة في تجسيد خواطر صورها الشعرية على دلالة لفظ المفردة بما يوحي لوجدانها التعبير عما يجول في مكنوناتها ومخزون ذائقتها وتلمّس معانيها، فعززت بذلك صمود الفلسطيني بإبراز الجاني الإنساني لديه وما تعرض له من قهر وقتل ومحرقة :

«أيها الحطّاب

ستظل تضرب بلا وعي في حطام الخشب

وستأتي النار على آخر ما سيبقى

مثلك لا يندم

ومثلي تعرف كيف تنبت من جديد شجرة كاملة

بثمار مثقلة وعصافير»

تكتفي بالتلميح إلى الأشياء وتتجنب الأسلوب المباشر والخطاب والشروح والتفصيلات، وتعتمد على الرمز التعبيري في أفكارها وعواطفها ورؤاها، فتميل إلى التكثيف وشدّة الإيجاز وتوغل في الخيال فأغنت بذلك الصورة الأدبية ووسعت دلالاتها المكانية والزمانية عن طريق إسقاط دلالات الرمز على الواقع المعاصر وحياة الفلسطيني اليومية ببؤسها وشقائها ومرارتها :

«لا فراش يليق بجسد متعب

أجزاء من امتار يحيط بها القماش

لا جدران ولا دورة مياه خاصة

كم تبدو تلك الـ»خاصة» جارحة ومضحكة

لا شيء هنا يشبه البيت»

تالا جودة :

شاعرة بعمر الورود، لم تتجاوز السابعة عشر من عمرها، تفترش حطام غزّة المدمّرة غطاءً لتشبثها بركامها رافضة النزوح عنها .. صاغت روحها قصائداً تتسلل إلى عمق المتلقي دون رقيب .

لملمت صفات المتعة الحسية للمفردة ضمن سياق تركيبها وترتيبها بإيقاعها الشعري رغم حداثة بوحها الشعري وبداياتها الأدبية، فكانت في غاية الجودة بوقعها واتساقها المعنوي لباطن الرمز الذي تتوخاه :

«قتلتني رتابة الأيام في السابق

والآن تقتلني العشوائية

فما أقسى هذه الحياة

في قانونها أنا دوماً الضحية»

أبرزت سمات مفرداتها في تواتر صورها الشعرية بأجناسها وأحوالها مكتملة الأوصاف، فأبدعت في رسمها بألق بديعها اللغوي بتناغم جميل يترافق فيه المعنى والعاطفة.. الخيال والأسلوب :

«تتسابق الطرقات على باب قلبي

تباعاً

يتسلل الخوف

من تحت الباب

ويقفز القلق

من تحت الوسادة»

لم تقتصر بنية النص لديها على التداعيات والتخيّل، بل ساهمت في إبراز نصوصها بدقة شاعريتها المترفة جمالاً ومتعة، فجاءت قصيدتها تحمل في طيّاتها كل ما يلزم لفهمها لدى المتلقي وفق سياقها الأدبي الذي شكلت مفرداتها معالمه وأسسه :

«لا أعود إلى الماضي

فألقي نفسي في الهاوية

ولا أمضي للمستقبل

فأعانق جثتي الدامية»

يقودها الخيال الشعري حنيناً إلى الذاتية كأداة سلوكية لنصها الشعري وتوظفها في إبراز المعنى العميق لدفء حسها الفني بكثافة وعمق واتساع للمعنى، مما يمنح المتلقي التفاعل مع جوانب حياتها ومعاناتها وحرمانها من أبسط مقومات الإنسانية، إذ لا تلفاز ولا «غسّالة»، بل لا مياه تجري في الصنابير : «أريد أن أسمع صوت التلفاز بداخل كل بيت

وامرأة تدندن مع لحن غسّالة تدور

أريد أن أرى قطرات مياه تتزاحم

من سينزل أولاً من الصنبور»

في داخلها تختزن رؤىً ومواقف لا بد من البوح بها لتكتمل بها دعائم القصيدة وبديعها الأدبي وألمها الحياتي، تستند في ذلك إلى الاسترجاع الذهني لحياة فقدتها بسبب آلة الحرب المدمرة التي تقضي على مدينتها وأحلامها وذكرياتها، وتعبّر عن أحاسيسها وإدراكها في خلق مستقبل تأمل به يعيد لها حياتها، فلا احتمال للمزيد :

«مدينة كبيرة ليس فيها جدار من الطوب

لأحمل همومي

فما عادت الخيام تحتمل المزيد»

هي ذكرياتها، جوع وضعف وهُزال :

«ذكريات حائمة

تقطف خصلات شعري

تقضم أظافري كوجبة عشاء

ومئات الجوعى

في داخل عقلي

يطبخون حساء الماء

مع كل قدر يفرغون كيلو غرام

من وزني»

فقد :

«علقت في سجن الحياة

فلا نهارها راحة

ولا لياليها سكينة»

تُريد غزّة :

«أسمعها تهمس لي دوماً

تعدّ الأيام مثلي

تقول :

يوم مضى .. وعشرون لا»

فتصرخ الشاعرة الشابة رهيفة الإحساس، عنيدة الألم، تصرخ ملء مفرداتها وبحّة حروفها:

«أو ماذا لو يوم جديد

مع رائحة القهوة في الطرقات

وجلبة طلاب يتوافدون

إلى المدرسة وإلى بائع الكعك»

وتهمس برجاء وأمل :

«ماذا لو كان

يوم جديد بلا حروب»

- دمعة لم أستطع حجبها :

راسلني بحرارة اللهفة التي تجمعني به برداء فلسطين وعشقنا لها .. أصالته الفلسطينية المتجذرة في تراب غزّة تأبى عليه النزوح منها :

أنا طارق رزق محمد جبريل، مواليد غزّة 1979، ولا زلت في غزّة، ولن أغادر غزّة .

كتبت العديد من الأغاني المعروفة في غزّة وفلسطين، وكتبت لفانين أمثال محمد عساف، ودلال أبو آمنة، وعدنان الحلاق، ووائل اليازجي، وعبد المجيد عريقات .. وكتبت أيضاً مجموعة مسرحيات تم عملها في غزّة .

شاركت عام 2.13 في يوم الشعوب في القاهرة في عدة حفلات في جامعة القاهرة ومسرح ساقية الصاوي .

فقدت في هذه الحرب أخوتي الاثنين وابن أخي، وأُصبت إصابات طفيفة نتيجة القصف .

أخوتي، الشهيد عمرو الذي اغتالته طائرات الاحتلال في مخيم البريج، وأخي مهند جبريل صاحب المقولة الشهيرة «حلل يا دويري» والذي استشهد مدافعاً عن تراب الوطن .

قصفوا بيتي الأول في أول الحرب في غزّة، وبعد عام قصفوا بيتي في مخيم البريج، ثم قصفوا بيت أهلي، ولذا فمعظم كتاباتي بل جُلّها راحت في القصف .

- همسة :

أصدقائي، صديقاتي ، رهام البلبيسي، هند جودة، تالا جودة، طارق جبريل، خليل أبو عامر، عبد الله الزيود، حمزة أبو الطرابيش، وغيرهم وغيرهم من الأدباء والكتّاب والفنانين الشباب رافضي النزوح تشبثاً بغزّة وترابها المقدس ..

تواصلكم معنا، وتواصلنا معكم هو أدبنا الذي نقاتل به عدواً مجرماً همجياً لا يمت للإنسانية بصلة ..

منكم نستمد عشق فلسطين ..

وعلى جدار فنكم نستند صموداً في وجه المحتل ..

ومنكم نرى الأفق شعاعاً للنصر القادم لا محال ..

وسنراكم على شاطئ غزّة نحلم سوية بمستقبل النصر .

قصة أغنية:

يا يما في دقة ع بابنا والمغني الشعبي «أبو عرب»

موسى سعيد مراغة ـ صحفي وإعلامي ـ سورية

هناك الكثير من الأغاني والأناشيد والأهازيج الشعبية التي سمعناها وحفظناها ورسخت في الوجدان، وأصبحت جزءاً أصيلاً من ذاكرتنا، وشكلت بكلماتها وألحانها ذكرى جميلة، فتحملنا إلى الماضي والزمن الجميل.

وفي تراثنا الشعبي الفلسطيني الكثير من الأغاني التي كان لها الحضور الجميل، يرددها الناس في المناسبات الوطنية وفي الأعراس والأفراح العامة.

ولكل أغنية حكاية تؤرخ الحدث وقصة ترتبط بظروف مسوغات لتداولها. لا سيما أن تلك الأغاني ارتبطت بأحداث ومناسبات وشخصيات في تاريخنا الماضي والمعاصر على حد سواء، وأصبحت جزءاً من التراث الشعبي وإضافة إلى دورها الملتزم بالخط الوطني والكفاحي...

من تلك الأغاني الشعبية الفلسطينية أغنية «يا يما في دقة ع بابنا» والتي كان يغنيها المطرب الشعبي الفلسطيني «أبو عرب» وهي من تأليفه وألحانه.

وقد غدت هذه الأغنية أيقونة الأغاني عند المطرب (أبو عرب) لما تحمله كلماتها من معاني البطولة والتضحية للفدائي المقاتل، وما تثيره من شجن في حب الأرض والوطن والأمل في العودة والنصر والتحرير.

ولهذه الأغنية الذائعة الصيت قصة وحكاية كان دوماً يرويها المطرب أبو عرب حتى انتشرت هذه القصة بين الناس. وكان لي شرف سماع تفاصيلها من الشخص نفسه الذي أوحى للمغني (أبو عرب) بنظم كلماتها. كما كان لي شرف حضور أكثر من حفل لمطربنا الشعبي عندما كان يروي قصة تلك الأغنية وبعدها كان يصدح صوته بمفرداتها «يا يما في دقة ع بابنا»..

تقول الحكاية: إن دورية من المقاتلين الفلسطينيين دخلت الأرض المحتلة لتنفيذ عمليات فدائية ضد العدو الصهيوني، وكان ذلك في منتصف سبعينيات القرن الماضي.

وكان هدف هذه الدورية المكوث لوقت طويل داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة، ولذلك أدخلت معها كميات كبيرة من الأسلحة والمتفجرات والصواريخ التي تكفي لتنفيذ الكثير من المهام العسكرية ضد قوات العدو الصهيوني وجنوده ومستوطنيه. كما أدخلت المجموعة معها كميات من المواد الغذائية، لتكون زاداً لهؤلاء المقاتلين في مهمتهم النضالية.

استمرت تلك الدورية الفدائية لمدة سنتين، وكان نطاق عملها في مدن القدس وبيت لحم والخليل. وقد نفذت تلك المجموعة عديداً من العمليات العسكرية من أشهرها قصف مقر (الكنيست) الصهيوني، وقصف العديد من المستعمرات الصهيونية. إضافة إلى اشتباكات ومواجهات مع دوريات جنود العدو الصهيوني. حيث كانت المجموعة الفدائية تقوم بنصب الكمائن والإغارة على المعسكرات والمراكز والتجمعات العسكرية.

وقد اتخذت تلك الدورية الكهوف والمغاور المنتشرة في جبال الخليل مكاناً للتواري والاختباء نهاراً، ومع حلول الظلام كانت تقوم بأعمالها الموكلة إليها في الاشتباك مع العدو.

ومع مرور الوقت بدأ الطعام ينفد من المجموعة، وكان لا بد من حل لهذه المعضلة، كان بين أعضاء تلك الدورية مقاتل فدائي اسمه (بلال) ولحسن الحظ أن أفراد الدورية كانوا يمكثون في أحد الكهوف القريبة من قرية ذلك الشاب المقاتل. فعزم على الذهاب إلى بيت أهله هناك وإحضار ما يحتاج من طعام وماء. فتسلل ليلاً إلى القرية، وعندما وصل باب منزلهم قرعه، فجاءه صوت والدته من وراء الباب: من الطارق؟

فرد عليها ابنها: أنا ولدك، افتحي يا أمي. ولكن الأم لم تصدق هذا المقال، لشكها أن الطارق يمكن أن يكون جاسوساً متعاملاً مع العدو ليعرف منها حقاً أن ابنها في المقاومة الفلسطينية، فقالت للطارق: إن ابني توفي منذ زمن في لبنان.

مع ذلك حاول ذلك الشاب الفدائي وبشتى الوسائل أن يقنع والدته بأنه هو ابنها، ولكنه لم يفلح، وحتى لا يفتضح أمره إذا تم اكتشاف وجوده في القرية، فلم يجد بداً من الرحيل خائباً. ولكنه وفي طريق عودته، ذهب إلى إحدى الناشطات في العمل الوطني والفدائي من أهل قريته والتي كانت على علم بأمر هذه الدورية الفدائية. وطلب منها بأن تذهب إلى والدته في صباح اليوم التالي وتخبرها بحقيقة زائر الليل الذي لم يكن سوى ابنها، وأنه سيعود في الليلة القادمة، وطلب منها أن تبقي هذا الأمر سراً.

وعندما علمت الأم بهذه الحقيقة دخلت في بكاء ونحيب مريرين حزناً على عدم استقبالها لابنها في تلك الليلة، وطلبت من تلك الفتاة وألحت عليها بأن ترسل خبراً من أجل أن يحضر ابنها في الليلة القادمة. وفعلاً تم تحديد ساعة متأخرة من الليل موعداً للقاء.

وتحت جنح الظلام، ذهب ذلك الفدائي ومعه زميلان آخران من أفراد الدورية المقاتلة. وعندما طرق الفدائي الباب وكان بكامل عتاده العسكري حاملاً بندقيته بيده.. فتحت الوالدة الباب وبدل أن تأخذ ابنها بالأحضان، أخذت بندقيته وقبلتها وبعدها ضمت ابنها وباقي أعضاء الدورية الذين قضوا وقتاً قصيراً في المنزل وأخذوا حاجتهم من الماء والطعام وسعدوا باللقاء مع تلك السيدة التي كانت بمثابة الأم لهم جميعاً.

وبعد مدة انتهت مهمة تلك المجموعة الفدائية داخل فلسطين المحتلة وعادت إلى قواعدها في لبنان.

وفي إحدى المناسبات، كان ذلك الشاب الفدائي حاضراً وكان المطرب الشعبي أبو عرب موجوداً أيضاً .

وسمع قصة ذلك الفدائي، الذي كان منخرطاً في صفوف تلك الدورية العسكرية.. وكيف تسلل ليلاً إلى منزله وكيف كان استقبال والدته له.

وبعد أن أتم الفدائي سرد تلك الحكاية للمطرب (أبو عرب) ثارت قريحته وألهمته كلمات تلك الأغنية، التي شاعت وذاعت وأصبحت على كل شفة ولسان.

وتقول بعض كلمات تلك الأغنية:

يا يما في دقة ع بابنا
يا يما هاي دقة أحبابنا
يا يما هاي دقة قوية
يا يما دقة فدائية
يا يما عشاق الحرية
بدقوا ع بوابنا
يا يما هذول النشامى
يا يما طلاب الكرامة
يا يما هذول الغوالي
يا يما طلاب المعالي
يا يما بيسهروا الليالي
يا يما تا يحرروا ترابنا..

الأديب المناضل يسري الغول

وفاء حميد ـ صحفية فلسطينية ـ سورية

الروائي والقاص المشتبك يسري الغول، الذي عاش كل أنواع القهر والحرمان الذي فرضه الاحتلال وبقي مرابطا في خيمته على أطلال منزله المدمر رافضاً النزوح أو مغادرة بلاده، مؤكداً أن على النخبة ألا تهرب وتعزز الصمود لأنه يعتبر بقاءه في المخيم عمقه الإستراتيجي.

يسري الغول مواليد 1980 من مخيم الشاطئ، صدر له العديد من الأعمال القصصية منها «على موتها أغني، وخمسون ليلة وليلى، قبل الموت بعد الجنون، الموتى يبعثون في غزة، وكان آخرها جون كندي يهذي أحياناً»، وأما الروايات مثل « غزة 87 ، مشانق العتمة، وأخيراً رواية ملابس تنجو بأعجوبة»، كتب العديد من المقالات في الصحف والمجلات الدولية والمحلية والعربية في المجالين الثقافي والسياسي، يسري الغول حاصل على درجة ماجستير في قسم دراسات الشرق الأوسط بجامعة الأزهر في غزة، والعديد من الدورات الدولية والمحلية في مجال الكتابة الإبداعية والدبلوماسية المتخصصة والقانون الدولي الإنساني وحقوق الإنسان. خريج تحالف الحضارات بالأمم المتحدة ضمن برنامج UNAOC.[2]، حصل يسري على زمالة في منظمة UNAOC التابعة للأمم المتحدة.

يسري الغول لديه شخصية منفردة في كتاباته يحب أن يوسع المفاهيم ويحلل الأحداث كما في مقالاته منفتح على واقعه بطريقة تجعله ثابت في أدائه ومتطلعاً برؤية ثاقبة للأحداث رغم الآلام والجوع والحرمان وما هو عليه كما هو كل حال غزة يقول يسري الغول:&

«أصبحت تستيقظ أكثر من مرة على صوت القذائف، وتتململ في فراشك بينما تسقط الصواريخ قريباً من مخيمك، ونسْف البيوت واضح جداً، فقد بتَّ تملك الخبرة الكافية لتحديد ماهية الصوت؛ إنه صوت حزام ناري من طائرة F-35، وذلك صوت طائرة مسيّرة «زنانة»، أمّا هذه الأصوات، فهي لنسف بيوت بمتفجرات يزرعها الجنود أسفل المنازل، أو عبر روبوت متحرك. بتَّ تعرف أنواع السلاح عبر الطلقات التي تخرج من فوهات البنادق؛ فهذا صوت كلاشنكوف يستخدمه رجال المقاومة، فتدعو لهم بالتوفيق والحماية وتسديد الرمي».

لنتعرف أكثر عن هذا المناضل المشتبك:

يسري الغول المعبأ بالمشاعر الجياشة والحنين إلى الراحة وهدائة البال هو ابن اللغة ابن حياض القرآن الكريم وابن قرأ الأدب الإنكليزي، فقد تعلم كل شيء من أجل أن يصنع نصا مغايرا جيدا. فهو يهدف من كتابته لصناعة التاريخ وإيصال الصوت للأجيال الموجودة الآن واللاحقة، وإن أبناء فلسطين أبناء حق وسينزعون حقهم عاجلا أم اجلا، ويرى أن مسيرته الأدبية لم تبدأ بعد، لكنه في ظل هذه الإبادة يعتقد أنه من الواجب أن يسجل أهم وثيقة من شمال غزة في ظل الإبادة بعنوان (النزوح نحو الشمال)، سيرة الجوع والوجع، وهي علامة فارقة في تاريخ الإبادة ووصمة عار على الجميع الصامتين تجاه الإبادة التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني.

كما يرى أن الأدباء هم أنبياء هذا الزمان الجديد، هم الذين يعملون أصوات الحق دائما هم صوت الخير صوت الوعي ولذلك يقول: « يا أدباء العالم أين أنتم من فلسطين أين أنتم من القضية الفلسطينية أنتم ستحاكمون أخلاقيا لاحقا في حال لم تفعلوا لما يجري في قطاع غزة، يجب تحريض همم الشعوب على الثورة في وجه السفارات المتواطئة مع اسرائيل على التظاهر أمام العالم في كل مكان لنقرع جدران الخزان لنوصل صوت فلسطين الذي يتعرض للإبادة أمام مرأى العالم في بث حي ومباشر « .

يسري الغول بدأ الكتابة منذ كان في الثانوية العامة، بدأ بالقراءة منذ نعومة أظفاره كان أكثر ما يحبه في ظل الإحتلال اللجوء إلى القراءة ولذلك من القراءة بدأ يكتب، من عام 1996 حصل على دورة فن القصة القصيرة للمبتدئين وهو يحاول ويتمنى أن يكون قد وفق في أن يكون كاتب جيد، وقد خاض العديد من التجارب، سافر إلى أصقاع العالم إلى الولايات المتحدة وبعض الدول الأوروبية أذربيجان، ماليزيا وغيرها من الدول، وللأسف يقول: «إنه وجد الفلسطيني مهمش غير معروف وحتى تجربة المهاجر الفلسطيني الذي يعاني لم يسمع به أحد «، وكان يشعر للحظة أن يصل صوته إلى كل العالم لأن صوته صوت كل فلسطيني في الوطن المهجر الذي يعاني من الإحتلال والذي يعاني في الخارج من

الحنين والعودة إلى وطنه والإجراءات التي تختلف عن إجراءات وعادات وثقافة بلده .

وفيما يتعلق بالأساليب والإلهام، فكل قصة عنده تختلف عن الأخرى وكل حدث يختلف عن الآخر وكل مقال يختلف عن الآخر، تبعا للظروف والمواقف- أحيانا يكتب بطريقة الرمزية نتيجة اعتبارات سياسية وخوف من الملاحقة أو الإستهداف، وأحيانا يكون أسلوبه السهل الممتنع ليوصل الرسائل إلى الفلسطيني كما رواية (ملابس تنجو بأعجوبة)، وهو يعمد إلى استخدام جميع الأساليب ولا يكون رهينة لأي نقد ، لأنه يرى أن الكاتب الجيد لا يهاب النقاد هو الذي يجعل النقاد يلجؤن إلى أعماله ليقيموا أعمال الآخرين من خلال أعماله. وهو دائما يطمح أن يكون مدرسة في الأدب مثل (زكريا تامر، كابريل ماركيز، خورلي بوخرس ، غسان كنفاني، وسميرة عزام)، وأدباء آخرين...

ويرى أن رؤية الفلسطيني للأدب الفلسطيني أنه يكافح في أكثر من جانب، فهو يحارب الجهل والإحتلال والتبعية ويتعرض لأقصى أنواع الإضطهاد ويتحكم فيه الإحتلال بمنعه من السفر من خلال الحدود، وإن الدول العالمية والغربية والعربية قد يتحكمون بموقفه السياسي والثقافي، وتحاسبه على ما يكتب، فقد كتب يسري الغول مقالا عن النخبة أمام إمتحان غزة الغياب المؤلم، ويجد أن الأديب الفلسطيني يقاتل وحده في الميدان بينما منظومة المثقفين العرب انشغلت بقضايا حياتها اليومية وبمجتمعاتها وبيئتها وبلدانها وتركت الفلسطيني يناضل في سبيل انتزاع حقوقه المشروعة...

يسري الغول ابن بيئته ومجتمعه ومصدر إلهامه في كتاباته، من الواقع الذي يعيش فيه، وما يوجعه أكثر مما يلهمه لذلك يضطر أن ينقل صوته للعالم..غزة هي التي يختارها في مواضيع كتاباته لأنه ابن غزة، وليست هي الوحيدة، مثل روايته في (مشانق العتمة)، كان أبطالها من بلدان شتى سراب الفتاة السورية الحلبية، هتلر، اجتمعوا في تركيا للسفر عبر بحر إيجا للسفر إلى أروبا في الظروف التي تحتم على الكاتب وطبيعة الحدث وطريقة الكتابة والأسلوب..

تتأثر أعمال يسري الغول بشخصيته، فهو كل الأبطال في داخل النص وكل الأعداء في داخل النص، هو (الشيطاملائكي)، وهو الإنسان الذي يسعى ليكتشف نفسه قبل أن يكتشف الآخرين، ورؤيته للعالم، ما يجري في غزة تختلف، العالم قبل معركة السابع من أكتوبر تختلف عن العالم بعد السابع من أكتوبر، فهو يصنف العالم إلى صنفين، دون النظر إلى دين أومذهب ، فهناك أناس تدافع عن حق الشعب الفلسطيني في التحرر كأي مجتمع وكأي أمة وصنف، يوالي الإستعمار الإمبريالي والرأسمالي، ويرى الإنسان خلق بين الحق والباطل والخير والشر، ولذلك كل من ينتصر لعدالة أي شعب يعيش تحت نير الإحتلال هو يكون عنصر خير، إذا كان فاعلا ويسعى بإيجابية...

والكتب التي تؤثر بيسري الغول بشكل كبير، فهو يحب القراءة وكتب الفكر والفلسفة، (لأحمد الراشد، والقرضاوي وكافكا، ومحمود شقير، وماركيز وبورخس، سعيد النجراوي، ابراهيم الكوني، ابراهيم أصلان، حنا مينا، ابراهيم نصرالله)، ومازال يقرأ لكل الأدباء والكتاب سواء في الوطن العربي وغيره، والأعمال الأدبية المفضلة لديه (عبد الرحمن منيف (مدن الملح)، ومحمد البساطي، وحنا مينا، وبهاء طاهر وزيد مطيع دماج)، ويؤكد من وجهة نظره أن عملا واحدا للأديب ذات قيمة كبيرة بالنسبة له.

وهو كأديب يمضي وقته في هذه المحنة المؤلمة منذ حرب الإبادة على قطاع غزة، بالإستيقاظ صباحا لإشعال النار إن وجد من الملابس في حال لم يوجد حطب أو النايلون المواد المسرطنة، لكي يصنع كوبا من الشاي بلا سكر إذ لا سكر في المدينة، وبعد ذلك في الساعة ال11 يذهب لتعبئة ماء حلوة بإرهاق شديد مع الركض والحمل ثم شحن الهواتف واللاب توب ويكون قد استنزاف...والأولاد دون دراسة ..

كانت ليسري الغول هوايات مثل لعب التنس والقراءة والسباحة، والآن عند هذا القصف يقول: لم يعد هناك حاجة... فهو لم يعد لديه أهداف ولا هواية فقط أن يعيش أبناءه وأبناء شعبه بسلام وكرامة رغم أنه صغير، وأنه أخذ حظه وحقق نجاحات، وأعماله ترجمت وفازت بجوائز، يكفيه شرف أنه صوت المقاومة في قطاع غزة ويتمنى أن تتوقف المقتلة ويحققون الإنتصار الذي سيحدث عاجلا أم اجلا

يسري الغول الذي يفتخر أنه ابن غزة التي تصيب أعدائها باللعنة ولا تنهزم وتظل تقاتل حتى آخر رمق.. وإن موقفه الأدبي هو موقف سياسي مع ما يجري ويتبنى شعار المقاومة لأنه لا يمكن لأي شعب أن يرزح تحت نير الإحتلال لن يتحرر بالورود لابد من دفع الثمن، فنعم المقاومة هي الواعية المدركة لقدراتها التي تعرف كيف تحصل على حقوقها..

و أفكاره عن الحياة والأدب يرى الأدب بلسم أي مجتمع هو الناظم وصمام الأمام، الأدب فاكهة يتغذى بها على الأيام الصعبة، ويؤكد أن من يقرأ الأدب يفهم الماضي ويعيشه ويدرك الحاضر ويستشرف المستقبل، وذلك عندما يقرأ الأدب يفهم الحياة بشكل جيد، وحين سؤل فولتير عن الذين سيقودون العالم قال: (الذين يعرفون كيف يقرأون)، والقيم التي يؤمن بها هي القيم العامة، وهو لايسعى إلى مجتمع طوبوي تربوي مثالي، لكنه يسعى لمجتمع ناهض ناضج يؤمن بالتنوع والتعددية والإندماج...

وهو ليس ضد أي رأي سواء متفق أو مخالف لكن الهجوم على دعم فكرة المقاومة ضد الاحتلال وكأن المقاومة أصبحت عبء، وهولا يدين هؤلاء ولا ينكر عليهم، لأن الظروف التي يعيشون فيها استثنائية فهم يعيشون إبادة جماعية أمام مرأى العالم دون أن يتحرك ساكنا..

قصة المواطن الفلسطيني لن تنتهي، هو الصمود الأسطوري الذي ترخ ومازال يترخ أصعب لحظات الصمود، وتعليم الأجيال القادمة معنى الإنتماء وحب الوطن، وإن من خلق من هذا التراب الخالص بالنقاء من هذه الأم الرؤوم لا يمكن ان يخذلها، فجذورهم متأصلة من أرض سكنها ومر عليها أطهر الخلق، فلسطين فخورة بأبنائها وقيدها سيكسر بسواعدهم السمراء، وتتحرر من دنس هذا الاحتلال، ويعود الأبناء إلى حضن أمهم الرؤوم.

صوت (الأنثى) في الأدب الفلسطيني
مقاومة ناعمة وجبهة صُلبة (1)

تماضر سعيد عودة ـ صحفية فلسطينية

تُعد النسوية في الأدب الفلسطيني مرآة لتحولات الوطن والشتات، إذ لم تكن المرأة الفلسطينية مجرد شاهدة على الأحداث، بل فاعلة أدبية وثقافية عبّرت عن معاناة الإنسان الفلسطيني، وناضلت بالكلمة، كما ناضل الرجل بالسلاح. تتبدى خصوصية التجربة النسائية في الأدب الفلسطيني في كونها مزدوجة الوجع، فهي تحمل في طياتها همّ الوطن وهمّ النوع (الجندر)، وتتقاطع مع مساحات المنفى، الاحتلال، القهر المجتمعي، والمقاومة الثقافية.

هذا الأدب النسوي الفلسطيني، لا يطلب إذنًا ليدخل الوجدان، ولا يتوسل اعترافًا، بل يشق طريقه من صلب الألم، ومن عناد الجذور. هو صوت الأنثى التي لم تكسرها القضبان، ولم تُنهكها المخيمات، بل جعلت من قصتها مرآةً لوطنها، ومن وجعها وعدًا بالمقاومة. صوت أنثى من فلسطين.

أولاً: المرحلة التأسيسية - ما قبل النكبة (حتى عام 1948)

قبل النكبة، كان المجتمع الفلسطيني مجتمعاً محافظاً تقليدياً، محدود الأطر التعليمية للنساء، مما انعكس على حجم المشاركة النسائية في الأدب. مع ذلك، بدأت تظهر بوادر صوت أنثوي متعلم يسعى للكتابة والنشر في الصحف والمجلات، وأبرز الأديبات في هذه المرحلة:

فدوى طوقان (1917-2003)

ولدت في نابلس لعائلة محافظة، مُنعت من التعليم النظامي، فتلقت تعليمها في البيت على يد أخيها الشاعر إبراهيم طوقان. ومن أبرز أعمالها: وحدي مع الأيام (سيرة ذاتية) - اللحن الأخير- أمام الباب المغلق. ومزج أسلوبها بين الحزن الأنثوي والحس الوطني، ومرت بتحول كبير من الرومانسية إلى الواقعية السياسية. تركت أثرًا عميقًا حيث كانت صوتًا نسائيًا سابقًا لعصره، وتعد من أهم رموز الشعر النسوي العربي.

سميرة عزام (1927-1967)

وُلدت في عكا، اضطرت للجوء إلى لبنان بعد النكبة، ثم عملت بالإذاعة والصحافة. ومن أبرز أعمالها: قصص أخرى، الساعة والإنسان، العيد من النافذة الغربية. وتعد رائدة في القصة القصيرة، تستخدم لغة بسيطة ومباشرة مع عمق نفسي واجتماعي. رسّخت شكل القصة القصيرة كفن أدبي لدى الكاتبة الفلسطينية.

ثانيًا: مرحلة النكبة والمنفى الأول (1948-1967)

في عام 1948، لم تكن النكبة مجرد حدث سياسي، بل زلزالًا إنسانيًا اقتلع شعبًا من أرضه، وحوّله إلى شتات مفتوح الجراح. وما بين عامي 1948 و1967، لم يكن المنفى فقط مسافة جغرافية، بل كان امتحانًا للهوية والكرامة. ورغم القهر، بدأت الملامح الأولى للأدب الفلسطيني في المنافي تتشكل، وكانت تلك الفترة مرجعية وجدانية وإنسانية، ولّدت وعيًا جديدًا بأن النكبة لم تكن نهاية، بل بداية صراع طويل من أجل البقاء، والعودة، واستعادة الصوت؛ فعلا صوت الأديبات، ومن أبرزهن:

رجاء نعمة

من أصل فلسطيني لبناني، ساهمت في رفد الثقافة الفلسطينية من بيروت. ومن أبرز نشاطاتها: شاركت في تحرير مجلات أدبية، وكتبت مقالات ذات طابع اجتماعي سياسي. واهتمت بتحليل أثر النكبة على النساء، وناقشت خطاب العودة والنكسة. ساهمت في تشكيل وعي نسوي- وطني خلال أصعب مراحل الشتات.

مي الصايغ

شاعرة من الجليل، تكتب منذ الخمسينيات، عملت في التعليم والصحافة. ومن أبرز أعمالها: مجموعات شعرية مبكرة، مقالات أدبية. وتكتب بأسلوب تأملي، يحمل طابعًا وجدانيًا ووطنيًا مع تركيز على شخصية المرأة. ساهمت في رسم ملامح الشخصية الأنثوية الفلسطينية في الشتات.

ثالثًا: مرحلة ما بعد النكسة وبروز الكفاح الوطني (1967-1987)

منح احتلال الضفة وغزة عام 1967 القضية الفلسطينية بُعدًا عالميًا. في هذا

الوقت، اندمجت الكاتبة الفلسطينية في الفعل المقاوم، وتنامى دورها داخل منظمة التحرير، والمخيمات، والشتات العربي. ومن أبرز أديبات تلك المرحلة:

لمياء عرفات

من عائلة فلسطينية منفية، نشأت في بيئة مثقفة. وكتبت القصص القصيرة وشهادات عن المرأة في اللجوء. أسلوبها واقعي ساخر في أحيان، يرصد تفاصيل الحياة الصغيرة. قدمت صورة مغايرة عن الأنثى اللاجئة، لا الضحية فقط بل بوصفها كائنًا واعيًا.

سحر خليفة

من نابلس، درست الأدب والمرأة، حصلت على الدكتوراه من أميركا. ومن أبرز أعمالها: الصبار، باب الساحة، الميراث. تناولت في رواياتها صراع المرأة داخل المجتمع الفلسطيني والمقاومة، وقد كانت سببًا في ظهور الرواية النسائية كأداة مقاومة، تقاطع الوعي الجندري مع التحرر الوطني. ونقد الأعراف الذكورية داخل السياق النضالي، وكتبت عن تناقضات المجتمع ومكانة المرأة داخله.

رابعًا: الانتفاضة الأولى (1987-1993) وبروز الأدب المقاوم النسائي

في انتفاضة الحجارة، لم يكن الحجر وحده سلاحًا، بل كانت الكلمة أيضًا بندقية. بين أزقة المخيمات وحارات المدن المشتعلة، برز صوت المرأة الفلسطينية لا كمرافقة للحدث، بل كصانعة له. في تلك السنوات، تبلور الأدب النسوي المقاوم كجزء حيّ من الانتفاضة، فكتبت النساء عن الأسر، والمطاردة، والأمومة تحت القصف، وعن الحب الذي يولد في ظل الحواجز.

جاء هذا الأدب ليكسر الصورة النمطية للمرأة بصفتها ضحية، وليقدّمها مقاتلة بالقلم والقصيدة، توثّق اليومي المقاوم، وتعيد تعريف البطولة من موقعها الإنساني والأنثوي. كانت الانتفاضة الأولى لحظة انكشاف، ولحظة ولادة لصوتٍ نسائي جريء، يكتب ليُذكّر: أن المرأة لم تكن يومًا ظلًّا، بل جذعَ الانتفاضة، ومن أبرز كاتبات هذه المرحلة:

رقيّة الكرمي

نشأت في طولكرم، وبرزت إعلامية وشاعرة. مزجت الشعر بالنشاط السياسي. أسلوبها وجداني مقاوم، يمزج العاطفة بالحماسة الوطنية. وكانت من الوجوه النسوية العامة التي جمعت بين السياسة والأدب.

جميلة شُرّاب

من غزة، عاصرت الانتفاضة، وعملت في التعليم والثقافة. واهتمت بالقصة القصيرة والشعر. كان أسلوبها سرديًا شعبيًا قريبًا من الحياة اليومية للمرأة الفلسطينية. وشكلت صوتًا من غزة يعبر عن أنثى الانتفاضة.

من خلال استعراض بعض النماذج الأدبية النسوية، يبدو جليًا أن المرأة الفلسطينية لم تكن مجرد تابعة في المشهد الأدبي، بل شكّلت عموداً أساسياً في الثقافة الوطنية، من الشعر الرومانسي إلى السرد المقاوم، ومن التأمل في النكبة إلى استشراف المستقبل. عبر مراحل القهر والشتات، ظل صوت الأديبة الفلسطينية مرافقًا لصوت الأرض، والأنوثة، والحرية. (يتبع)

شربل

ركان حسين ـ كاتب فلسطيني ـ ألمانيا

مات شربل. لكنه قبل أن يرحل، قرر أن يسرق من الموت مشهده الأخير. دعا الأصدقاء والرفاق والعائلة إلى حفل يشبه التأبين، لكن من دون جثّة. كان هو الحاضر والمتكلم، والمحتفى به أيضاً، يروي النكات السوداء، ويفتح خزائن الذكريات كما لو كان يتفقد أرشيف مقاومته، لا حياته فقط.

بين الضحكات المتناثرة، عاد إلى تلك اللحظة التي تخلّى فيها عن اسمه القديم، مشعل الخيطان هلسة، ليرتدي اسم شربل، لا كتسمية بل كوصمة.

في منتصف السبعينيات، وفي لجة القصف المحموم على مخيم تل الزعتر، كان مشعل الذي ترك جامعته في ألمانيا شاباً يافعاً يقاتل في صفوف اليسار الفلسطيني واللبناني، يؤمن بالثورة، ويكتب الشعر حين تسكت البنادق. يومها، وهو يوجّه الكاميرا على المقاتلين، قالها ضاحكاً: "بدي أصوركم عشان أعمل بوسترات استشهادكم". كان يمزح، لكنه مسّ وتراً حساساً في رفاقه، فصرخ أحدهم: "شربل! إنت متل شربل تبع القوات!" — في إشارة إلى شربل القائد اليميني الذي يقود الميليشيات التي تهاجم المخيم.

تحوّل الاسم إلى تهمة مرحة، لقب لاذع يذكّره يومياً بأن حدود العدو ليست دائماً خارجية. لكنه قبِل بالاسم، وتبنّاه، كما تبنّى التناقضات التي شكّلت مسيرته كلها: ماركسي يحمل اسم خصمه الطائفي، مسيحي يقاتل في سبيل اللاجئين، ساخر وسط المأساة، ومشتبك مع كل ما هو ثابت ويقيني.

في حفل تأبينه، كان يتحدث عن تلك الأيام وكأنه يروي مشهداً من مسرحية عبثية، لا معركة دموية. ضحك الحضور، كما كان يريد. فشربل آمن أن السخرية، ليست فقط مقاومة، بل خلاص أيضاً.

قبل أكثر من خمس وثلاثين سنة، أعطاني الرفاق خارطة، لا لبريد ميت كما اعتدنا، بل لرجل حيّ.

قالوا:

- اذهب إلى الأردن. هناك رجل في هذه النقطة نريده هنا. سترافقه وتضمن وصوله.

ركبت دراجتي كأنني أركب قدري. كنت أؤمن أن الطريق هو من يعرّفك بالوجهة.

كان الجو مشبعًا بما قبل العاصفة، والريح تعزف بجنون على أسلاك الكهرباء. عبرت المسافة بين خربة غزالة وتلشهاب كمن يعبر سنوات لا كيلومترات. وعندما وصلت حافة الوادي، أخفيت دراجتي خلف الصخرة التي أصبحت تعرفني لكثرة ما احتفظت بأسراري، وتقدّمت نحو النقطة المتفق عليها: بين عمراوة والشجرة.

هناك، رأيته لأول مرة بين أشجار الزيتون، كما لو كان يخاف أن يوقظ الغصون. اقتربت، ناديته باسمه، فنهض كأنه ظلّ لا يريد أن يُرى. صافحني بحرارة تشبه استعجال النجاة، وقال لي بصوت خفيض:

- دعنا نغادر... لا تخف.

هو من قالها، لا أنا. مع أنني أنا من يعرف الطريق، وأنا من عبره مرارًا. لكن صوته كان مطمئنًا بطريقة أربكتني. كأنني أنا الهارب، لا هو.

سرنا بحذر في حقل الريبة. كنت أمشي، وهو يضع خطواته فوق خطواتي، كأننا في رقصة نجاة. لكنه لم يثق بي تمامًا، كان يتفحّص التراب بأصابعه، يتحسسه كمن يطلب منه الإذن بالمرور. وعندما تجاوزنا الحقل وصرنا قرب الوادي، قال مازحًا:

- شكلك بدوي ونازح.

ضحكت، لم أُجب.

ركبنا الدراجة وانطلقنا إلى خربة غزالة، وبين بيوت تلشهاب، عند زاوية الجامع القديم، انزلقت الدراجة بنا فوق العبّارة، فحلّقنا للحظة، ثم سقطنا، ثم ضحكنا كما لا يضحك إلا الهاربون من الموت.

سألته إن كان بخير، فنظر إليّ بغضب هزلي:

- لعنت سمواتي وبتسألني إذا كنت بخير!؟ ما لاقوا أجحش منك يبعثوه يرافقني؟

ضحكت، وأجبته:

–اسأل الرفيق أسامة زايد، أنا بس بنفذ.

وصلنا بعد ساعة، كان الجميع بانتظاره. دخل المكان كمن لا يحتاج لتعريف، لا اسم ولا سيرة. فقط شربل.

الضوء دخل معه، والضحكة أيضاً.

في اليوم التالي، استيقظت فلم أجده. كأنه حلم عبر الجحيم على عجل، تاركًا وراءه الأسئلة معلّقة في سقف الذاكرة.

مرت شهور قبل أن أراه مجددًا. كنت قد نسيت ملامحه، لكني لم أنسَ صوته، ولا الشتيمة الساخرة التي ختم بها لقاءنا الأول. رافقت أبا سمير في زيارة إلى دمشق، إلى بيتٍ في حي الزاهرة. دخلنا دون أن نطرق الباب، ومضينا إلى فسحة سماوية صغيرة، تتدلى منها ياسمينة مجنونة تعبق بالرائحة حتى الجنون.

وفجأة، نزل شربل من الطابق العلوي بخفة ساحر يهبط على درجات المسرح، وقال لي وهو يضحك:

- تذكرتني؟ بعدها ركبتك بتوجعك؟

أجبته وأنا أضحك:

- مستحيل أنسى اللي علّمني أتقبل الشتيمة كأنها مديح.

كانت زوجته الألمانية التي نزلت وراءه وجلست معنا، تنظر إليه كما تنظر قارئة مفتونة ببطل رواية عظيم. ومعهم كاتلينا، التي لم تكن ابنته، لكنها كانت كل شيء بالنسبة له.

ذلك المساء، شربنا ويسكي JB، وضحكنا من كل شيء، وأكلنا طعامًا لا يشبه مطبخًا بعينه، بل يشبه من عبروا كل العواصم دون أن يسكنوها.

وحين ودعته على الباب بعد زيارتي اليتيمة قال لي: إن نسيتني، فتذكر فقط ألا تكون جادًا أكثر من اللازم... فالحياة، لا تُحتمل بلا سخرية.

يقول عبد الله، الذي كان في بحمدون أول أيام الاجتياح للبنان، وقد ظن يومها أن اسمه الحقيقي ليس مهماً، وعرفه الجميع بالمهندس. أنه التحق بإحدى المجموعات، واستلم قاذف B7 وبدلة عسكرية فضفاضة. لكنه عندما ارتداها، بدا كمهرج فاشل، فرماها وارتدى ملابسه المدنية. وفي الاجتماع الأول، حضر شربل الذي يقود العمليات في منطقة الجبل، والذي لم يسبق أن رآه من قبل، رمقه وقال مستنكرًا: "بدك تقاتل بملابس مدنية؟" وطلب منه فتح حقيبته خلف باب الغرفة، وقال إن فيها بنطالًا على مقاسه، لكنه طلب طلبًا غريبًا، عليك إعادته بعد انتهاء الحرب.

بعد أربع ساعات، أنزلت الطائرات المروحية عددًا من الآليات الحربية والجنود في ساحة بحمدون. كانت النهارات تبدأ عادية وتنتهي بما لا يمكن توقعه. كان الصباح طموحًا ممتلئًا بالحماس طوال الطريق من مخيم اليرموك إلى هذا المكان الذي لا يعرف عنه شيئًا. اشتبكوا معهم وانسحبوا بعد نفاد ذخيرتهم. كان وجه شربل المتفائل والواثق بالنصر يسند المهندس القادم من الصحراء الليبية حيث حقول النفط، وضحكته الجسورة تملؤه بالقوة.

في اليوم التالي، وقع المهندس في الأسر مع اثنين من الرفاق في كمين عند

أحد الطرقات المؤدية إلى قرية بيصور. في معتقل أنصار، حين رأى شربل ضمن مجموعة أخرى من المعتقلين يقف في الصف، صرخ باسمه ليسأله إذا كان لا يزال يريد البنطال، فضربه الرفيق الواقف إلى جانبه بمرفق يده وحذره من العبث، قائلاً: "انس هذا الاسم وإياك أن تذكره من جديد أمام أحد."

أخطأ المهندس حين أعطى اسمًا غير حقيقي للصليب الأحمر، ما جعل أهله يظنون أنه قُتل، فأقاموا بيت عزاء، بعد أن فشل الصليب الأحمر في اكتشاف مكانه باسمه المستعار. بينما كان إنكار شربل لاسمه سببًا للحرية التي حصل عليها قبل رفاقه. شربل يحمل جواز سفر يمني باسم مستعار، لذلك ادعى أنه يعمل راعيًا، واليمن طالبت الصليب الأحمر بتحريره كمواطن من رعاياها.

وحين خرج شربل من معتقل أنصار. مرّ على بيروت كما يمر طيف على شبابيك الماضي، ثم مضى إلى تونس، إلى العنوان المؤقت للثورة، حيث الأبواب مصمتة كأفواه خائفة، والنوافذ مكمّمة كالقصائد المهملة، واللافتات ترفرف في الداخل لا في الخارج، معلّقة كأنها صور شهداء في مكتب بريد.

هناك، في ركن منسي من مقر الجبهة، وجد رواية "اللاز" للطاهر وطار، فافترسها كما يفترس جائع رغيفًا ساخنا، دون زبدة ولا ملح. قرأها في ليلة واحدة، وكأنها تُروى له وحده، وكأنها كتبت عنه باسم مستعار. وحين أطفأ النور وتمدد، بدأ يحلم. الرواية حفرت في صدره خندقًا، وملأته بأشباح رفاقٍ غابوا في غمام الأيام.

في الحلم، رأى نفسه مخمورًا، هائمًا في شارع السلط، يتمايل مثل أغنية على شفاه نَسِيَت اللحن. كلّ من يمرّ لا يراه، حتى أوقفه أحدهم فجأة، رجل يشبه ضميره الذي نسي أن يُحاسب، وقال له:

"مش إنت شربل اللي كان مع الفلسطينية؟"

رد عليه بخجل:

"أنا هو."

فنظر إليه الرجل بإشفاق وقال:

"الله يغظب عليك! ليش ما رحت معهم على فلسطين؟ ما هي تحررت!"

سؤال طيّر الخمرة من رأسه كما تطير الحروف من ساحة الذاكرة.

أراد أن يقول شيئًا ذا معنى، لكن كل ما خرج منه كان:

"أنا داري... والله منا داري..."

ولأن "أنا داري" لا تُقنع أحدًا في الحلم، قرر في الصباح أن يفعل شيئًا يليق برجلٍ نسيه الرفاق. ارتدى قميصًا قديمًا، ومضى إلى عمّان، إلى سفارة فلسطين التي كانت تشبه مقهىً حكوميًا بلا نراجيل.

فتّشه الحرس كما يُفتّش الشعر في قصيدة رديئة، وساقوه إلى موظف استعلامات جامد الملامح، سأله عن حاجته، فرد شربل بحماسة رجل يعرض قلبه للبيع:

"بدي أرجع عَ فلسطين."

ابتسم الموظف ابتسامة متهكمة، وسأله عن أوراقه.

قال شربل:

"ما عندي، بس كنت معهم، كنت معهم بكل شي!"

هز الموظف كتفيه وقال:

"ارجع لما يكون معك جواز."

عاد في اليوم التالي، بجوازه الأردني مثل جثّة في ظرف. أعطاه للموظف، فقيل له:

"المعاملة لازم تمر عَ القنصل. تعال بعد أسبوع."

عاد بعد أسبوع، وفي الممر، لمح اسمًا على باب: "زهير قبعة".

تجمّدت قدماه، ثم اندفع كمن اقتحم ذاكرته، وصرخ من خلف الباب:

"زهير! بطلت تعرفني؟! نحنا كنا ننام على نفس البطانية ؟!"

رفع زهير عينيه ببرود موظف في نهاية الدوام، وقال:

"ما إحنا ثورة أممية... يعني معقول نعرف كل واحد ناضل معنا؟"

شربل، الذي قضى عمره في ساحات العمل، شعر أنه يذوب في الهواء.

لكن زهير ختم الحديث كمن يغلق ملفًا قديمًا:

"روّح، السفير هو اللي بقرر."

ذهب شربل إلى مكتب السفير، وعينه لا تصدق الاسم على الباب:

"حاتم اسطنبولي".

دفع الباب، كمن يفتح صندوق العجائب، وقال صارخًا:

"حاتم! إنت صرت سفير؟ وأنا داير سكران بشوارع الكرك؟! ولك يا قواد؟!"

وقف حاتم، خلف مكتب فخم يعانق علَم فلسطين المثبّت على سارية نحاسية تلمع كما يلمع خطاب رسمي. قال بصوت جافّ كقانون طوارئ:

"احترم حالك، وإلا بنادي الشرطة."

تذكر شربل طبائع البشر في قصة الجاحظ وهو يقول في نفسه لو خرجت من جلدي، ما حدا عرفني... واستيقظ يضحك بأعلى صوته.

لكن شربل لم يمت كما يموت الغرباء، لم يمت سكرانًا على رصيف النسيان، ولم يذُب اسمه في أرشيف الثورات المهجورة.

عاد.

عاد إلى الكرك كما يعود الأبطال الحقيقيون، أولئك الذين تأخروا عن التكريم لأنهم كانوا مشغولين بالقتال، أو بالحلم.

استعاد اسمه... مشعل الخيطان.

استعاد دفء العائلة، ووهج الذاكرة، والهوية التي لم تكن يومًا بطاقة، بل طريقًا طويلاً محفورًا بالخطى.

عاد محاطًا بأحبته، مغمورًا بالمحبة التي تأخرت، لكنها جاءت مثل غيث ماطر بعد صيف طويل.

ومضى في النهاية بالكرامة التي تُنسيك تعب السنوات.

غادر، نعم، لكنه فعلها كما يجب: بكلمات تشبهه، وصيّة صافية كالينابيع. قرأتها بعد رحيله، فارتجفت كمن يسمع الصلاة لأول مرة. وصية تعادل النصوص الخالدة... وفي نهايتها قال:

"لن أعتزل الحياة ما دمتم أحياء."

وقد صدق. لأننا ما زلنا نذكره، ونضحك كما كان يضحك، ونمشي بين ألغام الحياة بأسلوبه: بخفة، وبكامل السخرية. وها هو تمامًا كما أراد. حيّ في ضحكة، أو شتيمة، أو في ظل شجرة زيتون على تلال الكرك أو على ضفاف طبريا.

الفيسلوفة اليهودية
«جوديت بتلر»:
أمنيتي أن ينتهي الاحتلال ويتوقف عنفه الفاشي

وسيم السلطي - صحفي فلسطيني - سورية

ليس غريباً أن نقرأ ونشاهد مفكراً أو مؤرخاً يهودياً يوجه، نقدا لدولة الاحتلال وعنفها، فقد عمل بعض المؤرخين، مثل، إيلان بابيه، على إعادة النظر في السرديات المؤسِسة لهذه الدولة، الدينية منها والقانونية والحقوقية. بينما صدرت أبرز الانتقادات من قبل الفيلسوفة جوديت بتلر.

جوديت بتلر، هي فيلسوفة يهودية أميركية، ذات أصول مجرية - روسية. فقدت جزءاً من عائلتها في المحرقة النازية، إذ أبيدت عائلة جدتها في قرية صغيرة جنوب بودابست.

ترفض، بتلر، العنف تحت أي مبرر، وترى أنها كانت دوماً «ميّالة إلى الفعل السياسي اللاعنفي». وهي تنقد عنف الاحتلال، وتنقد مصادرته للاراضي وقصفه العنيف للسكّان المحاصرين، فأمنيتها هي: «أن ينتهي الاحتلال، ويتوقف العنف بكل أشكاله».

برز صوت، جوديت بتلر، بعد عملية طوفان الأقصى، في السابع من أكتوبر، كأحد الأصوات الفلسفية الناقدة لكل من وصف العملية بأنها عملية «إرهابية» ورفضها واعتبرها ليست مقاومة، إذ أوضحت في أكثر من مكان: «قد يكون لدينا وجهات نظر مختلفة حول حماس كحزب سياسي، ويمكن أن تكون لدينا وجهات نظر مختلفة حول المقاومة المسلحة، لكنني أعتقد أنه من الأصح والأكثر دقة القول إن انتفاضة ٧ أكتوبر، كانت انتفاضة نابعة من حالة القهر، لقد كانت عملاً من أعمال المقاومة المسلحة، إنها ليست هجوما إرهابياً، وليست هجوماً معاديا للسامية».

وصرحت في عام ٢٠٢٤، في «جامعة لندن للاقتصاد»، أن ما يقوم به جيش الاحتلال هو إبادة جماعية. وأشارت إلى أن عنف الاحتلال يمكن تفسيره بأكثر من طريقة، واقترحت العنف على الطريقة «الفاشية» حينها، ليس، فقط، لأن المستوطنين يتم تسليمهم أسلحة ويصرح لهم التصرف كجماعات خارجة عن القانون، بل لأنهم يكسرون كل القوانين سعياً لنشوة القتل.

وفي محاضرة لها بعنوان «الحياة الهشة»، تتناول، بتلر، كتاب «آيخمان في القدس» للمفكرة، حنة آرندت، الصارد في ستينيات القرن الماضي، الذي يروي مجريات محاكمة الضابط النازي «آدولف آيخمان»، أحد المسؤولين عن المحرقة، وتقول: «بحسب أرندت، لقد اعتقد آيخمان بأنه يحق له أن يختار أي الشعوب يحق لها أن تحيا أو تموت، بهذا المعنى، اعتقدَ أنه بإمكانه اختيار مع من سيتعايش على الأرض». وعلى هذا الأساس، قام بإبادة اليهود والغجر والشيوعيين والمرضى وذوي الاحتياجات الخاصة. لذلك، أي اختيار لمن يمكنه أن يعيش ومن لا يمكنه أن يعيش، يحمل مسبقاً حركة إبادية.

وإذا ما قاربنا ذلك الوضع مع ما يجري في فلسطين، وتحديدا في غزة، فكم من ضابط في جيش الاحتلال، اتخذ قراراً مشابهاً لقرار آيخمان، في قصفه وقتله لآلاف الغزيين، على اعتبار أنهم «حيوانات» ولا يستحقون العيش، كما نادت بذلك أصوات المستوطنين بعد السابع من أكتوبر.

وفي قراءة لنقد الفيلسوفة جوديت بتلر للاحتلال وعنفه في ظل صمت مفكرين وفلاسفة آخرين لهم وزنهم مثل، هابرماس، ومعارضتهم للمقاومة، يرى الفيلسوف

التونسي، فتحي المسكيني، أن: «ما قالته بتلر يضع كل تردّدات الفلاسفة أكانوا يهوداً أم مسيحيين تحت ضوء جديد: كلّهم كانوا يخاتلون «معاداة السامية» ويتعاملون مع «المسألة اليهودية» بقفّازات «الانتهازية « الأخلاقية. إنّ قصة اليهودي الناجي من المحرقة قد وضعت سدّا حاجباً على جرائم الدولة الإسرائيلية ضد السكّان الأصليين في فلسطين. ولذلك كلّ ما قيل تحت توقيع «فلاسفة» عن الدولة الصهيونية إنّما كان يتحدّث عن «اليهودي الناجي من المحرقة» وليس عن «الإسرائيلي» المحتّل أو عن الفلسطيني المهجَّر. الصهيونية هي بذلك حجاب سردي يحمي عنف الدولة الإسرائيلية بغطاء قصة اليهودي الناجي من المحرقة. لم يكن الفيلسوف الأوروبي طيلة القرن العشرين، أكان يمينيّاً أم يساريّاً، يستفيد من أيّ مسافة نقدية بين القصّتين: قصة اليهودي الناجي من المحرقة وقصة الفلسطيني المهجَّر».

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
Popular Front for the Liberation of Palestine

الشّهيد الرّفيق القائد

محمد بودية

أيقونة الثورتين الفلسطينية والجزائرية ورفيق درب القائد وديع حداد

الخبز المر

أحمد علي هلال

ليست محض قصص أو حكايات لكاتب شهيد عنونها ذات يوم ليبني سردية التراجيديا الفلسطينية.. إنها يوميات غزة المفتوحة والطليقة، إذ المسافة إلى ما يصنع الرغيف من حصة الطحين في غزة وحدها، هي مسافة الدم، فكم من مجوع يغامر بما تبقى من حياته ليسد رمق صغاره ولو بكسرة، لعلها كسرة حلم مغمس بدم الأيائل، بضع خطوات معدودات إلى ذلك الموت المؤجل، يمشيها الشيخ والمرأة والفتى، لهاثاً مع وقت لا يشبه إلا ذاته، وإن عاجله الرصاص في إثر كيس الطحين لمن انتظروه، يسقط مضرجاً بالدم والحلم، ويداه المفتوحتان إلى السماء، تتخثر في عروقهما الدماء، ويبقى اللسان وحده مشبعاً بنداء موجع وعميق، يا الله.. ذلك حال ذاكرة لم تعد تقوى على حفظ الأسماء، حسبها أن تتذكر فقط ملامحهم المتعبة والمرهقة، حدَّ الموت البطيء.

مجوعوا غزة مازالوا يقدمون دمهم رغيفاً ليومياتنا، المحترقة لنتذوق خبزهم المر، ونتجرع كأس مراراتهم... إنها الحرب وإن تنوعت عناوينها، وما الذي يقنع تلك الطفلة الباحثة عن أبيها أو أخيها، أو من تبقى من عائلتها، بأنه لا شيء سوى السراب، فالسماء واجفة والأرض تغص بالجثث، ولا حدَّ لهذه السوريالية/ العبثية، فهي الواقع الذي طاول الخيال وفككه، في مخيلة الرواة والسرديين جميعهم.. حسناً بنيَّ سأعود لك بما يصنع الرغيف، لكنك ستعثر عليَّ بين ذرات الطحين المتناثر شاحب اللون وبلا طعم، وليس من نار تطهوه، وسأظل
أركض بلا اتجاه حيث ترسم الطائرات لنا طريق
الموت فقط، لا طريق الحياة،
حيث تقتات القذائف من دمنا
ولحمنا وشجرنا، وبقية من حلم
وما لا يطلبه المستمعون..
إنها الحرب أخيراً كي نُجتث من
جذورنا، ونُمحى كأننا لم نكن،
لكننا الأرض ذاتها تحت سماء
عارية، فمن يقوى على اجتثاثها من
ذاكرة المجوعين، وإلى جمهور
المتفرجين لا تعتادوا المشهد
فالحقيقة هي الناجية الوحيدة.